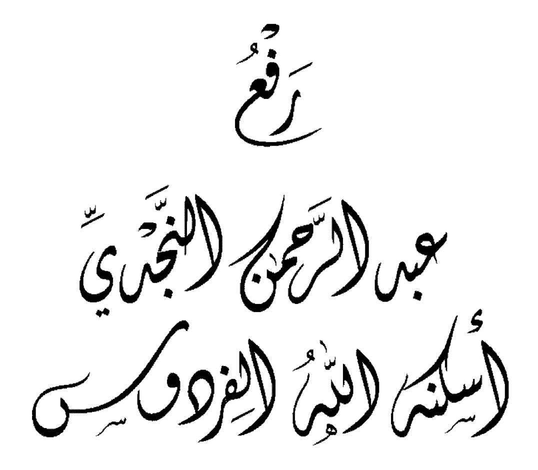
ابراهيم السامرائي

من معجم المتنبي

دراسة لغوية تاريخية



منشورات وزارة الاعلام ـ الجمهورية العراقية

صدر بمناسبة مهرجان المتنبي

بغداد ـ تشرين الثاني ١٩٧٧


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

مقدمة

كنت قد شرعت في دراسة لغة المتنبي واستعمالاته الخاصة منذ ما يقرب من عشرين سنة • ولم أكن قد اتخذت من مواد الدرس غير ديوانه ، فاستقريت شعره استقراء وافياً فتهيأ لى من ذلك قدر يسمح ان أقيم منه كتابي هذا •

ولقد حفزني الى ان أقوم بهذا العمل شعور بأن الحاجة تدعو الى أن يكون لنا منهج تطبيقي في دراسة اللغة وتطورها ، ومن ثم يتهيأ من هذا العمل مشاركة في دراسة حقبة من تاريخ العربية • ولقد درج المعنيون بتدريس ما يسمى بـ « فقه اللغة » على شيء غبرت أيامه يعرضون فيه لشيء يتصل بالكلمة وأبنيتها وما يكون من ترادفها وتضادها ونحتها وتركيبها والمشترك والمختلف منها • ومن غير شك ان قدراً يسيراً مما هو موجود في كتب ابن جني وابن فارس يفي بكثير من هذا الغرض • وليت القوم فطنوا الى ما فطن له أولئك المتقدمون الأفذاذ •

ومن المعلوم ان هذا المنهج القديم لا يكفي بادىء ذي بدء ، ثم ان أشياء كثيرة جدّت في علم اللغة الحديث Linquistique ينبغي للطالب أن يكون على معرفة بها • ولقد رأيت في منهج الدراسات اللغوية لدى الفرنسيين مثلاً ان يعرض الدارس للمنهج اللغوي في النصوص الادبية المشهورة لعصر من العصور فيدرس اللفظ مؤرخاً له ، مبيناً علاقته بالبيئة ، شارحاً طريقة الاديب صاحب النص في استعماله ، وما جدّ على هذا الاستعمال وما عكس من الظلال الى غير ذلك من الفوائد •

هل كان لنا شيء من هذا ؟

لم يكن شيء من هذا في دراستنا للنصوص في عصرنا هذا والعصور التي سلفت ، لقد ورثنا كثيراً من الشروح للنصوص القديمة فقد شرحت دواوين الشعراء كما شرحت الدواوين الأخرى التي انصرفت الى مجاميع كبيرة من النصوص لشعراء عدة مثل كتب الحماسة وما يتصل بها أو ينهج نهجها . ولعل التصانيف التي خلصت الى الشواهد ــ وهي كثيرة ــ شيء من هذا .

ولكن هذا التراث على قيمته العالية التزم منهجاً خاصاً ، فلم يؤمن النقدة من اهل اللغة الى ما ندعوه في عصرنا هذا بالتطور . لقد عدوا الصحيح الفصيح ما أثر في استعمال المتقدمين من الشعراء جاهليين واسلاميين ممن ثبت انهم لم يتصلوا بالحواضر .

جاء في مصادر الأدب واللغة أن ابا حاتم السجستاني سأل الأصمعي فقال : أتقول في التهديد أبرق وأرعد ؟ فقال : لا لست أقول ذلك إلا ان أرى البرق وأسمع الرعد فأنشد له قول الكميت :

أبرِقْ وأرعِدْ يا يَزيـ ـدُ فما وعيدُكَ لي بضائرْ

قال : الكميت جَرْمقاني من أهل الموصل ليس بحجة ولكن الحجة هو الذي يقول :

اذا جاوزتْ من ذات عِرق ثنيّةً فقلْ لأبي قابوس ماشئت فارعد

وهو شاعر جاهلي وشاعرك هذا متأخر لا يؤخذ بقوله . قال ابو حاتم فأتيت أبا زيد الانصاري وقلت له : كيف تقول من البرق والرعد فعلت السماء قال : رَعَدت وبَرَقت . قلت : فمن التهديد ؟ قال : رَعَدَ وبَرَق ، وأرْعَدَ وأبرَقَ فأجاز اللغتين ولم يُجز الأصمعي إلا واحدة[1] .

وهكذا حكموا على فصيح اللغة فقصروه على جماعة دون أخرى ،

---

(١) الأمالي (ط دار الكتب) ١/٩٦ .

فهي تؤخذ عن هذا ولا تؤخذ عن معاصر لـه لصفة من الصفات لم تتوفر في أحدهما •

ان اولئك النقاد اللغويين قد صرفوا همهم الى جمع الغريب والنوادر • ومن أجل ذلك حفز اهتمامهم هذا الأعرابَ الذين صارت لهم الرواية ما يشبه الحرفة • وكان من ذلك ان حفلت العربية بالصحيح والموضوع ، فمن المعروف ان الحطيئة قال حين حضرته المنية : ويل للشعر من الرواة السوء[2] •

وقد ذكروا ان الخليل قال : ان النحارير ربما أدخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب ارادة اللبس والتعنيت •

قال ابن فارس : فليتحرَّ آخذ اللغة وغيرها من العلوم أهل الأمانة والثقة والصدق والعدالة فقد بلغنا من أمر مشيخة بغداد ما بلغنا[3] •

لقد أشار هؤلاء المتقدمون من اللغويين الى طريقة جمع اللغة ونصوصها وكيف عرض لها الوضع والافتعال والتزيد •

وهذا يعني ان الحاجة ما زالت قائمة لدراسة اللغة وضبط تاريخها والتوجه اليها بالنقد والتجريح لنخلص الى حقائق واضحة من تاريخ لغتنا القديمة •

أقول فما بالنا لا نعنى بلغتنا على نحو ما يعنى به الغربيون في هذا العصر • أليس من المعيب اننا لا نملك معجماً لعربيتنا الحديثة ، بل لا نملك معجمات للمثقف بوجه عام ، وهل وجد أصحاب الاختصاصات المختلفة معجماتهم المتخصصة • وهل كان لنا معجم تاريخي يؤرخ للالفاظ ويثبت المسيرة التاريخية للكلمة وكيف تحتل مكانها بين سائر الكلمات طوال العصور •

---

(٢) الشعر والشعراء (ت أحمد شاكر) ص ٢٨١ .

(٣) الصاحبي في فقه اللغة ص ٣٠ .

لم يكن لدينا شيء من ذلك ، ولعل السابقين كانوا اكثر عناية منا بهذه اللغة • من المشهور ان العرب في ما خلا من القرون قد صنعوا للغتهم الشيء الكثير ، فلم يكتب في نحو أية لغة من اللغات ما كتب في نحـو العربيـة • وبسبب من هذا كان للدراسات العربية اجل نصيب في الخزانة العربية التي انصرفت لتسجيل وضبط التراث العلمي القديم •

غير ان هذا التراث الضخم الذي تركه لنا المتقدمون في نحو العربيـة وصرفها وما يتصل بالعلم اللغوي قد ناله الضيم مما عرض لـه بسبب من المنهج الذي اتبعه اولئك المجتهدون •

وقد اجتهدت أن أقوم بعمل يتصل بعناصر من لغة المتنبي فأقف عليها وقفة أعرض فيها لشيء من تاريخها وطريقة استعمالها ، وما كان للشاعر فيها من أثر فردي • وقد رتبت عملي على حروف المعجم فجعلته شيئاً من عمـل معجمي في لغة هذا الشاعر العبقري • وأنا حين أباشر هـذا العمل تحضرني مقولة ابن رشيق القيرواني في « العمدة » وقد تحدث عن كبار الشعراء .

« ثم جاء المتنبي فملأ الدنيا وشغل الناس »

أقول : لعل شيئاً من هذه المقولة ما زال صادقاً ذلك أن المعنيين بالأدب القديم وغيره منذ عصر الشاعر الى يوم الناس هذا يحفلون بالمتنبي ويكبرونه ويعدونه أحد عباقرة الشعراء العرب ان لم يكن رأس هذه الطائفة • وما زال أدبه على كل لسان وفي كل مقالة وكتاب •

وكأنه أحسَّ في نفسه الكبيرة شيئاً من ذلك حين قال :

انا الذي نظـر الاعمى الى أدبي   وأسمعت كلماتي من به صَمَمُ

فقد كان المعري اذا أنشد هذا البيت يقول : انا الأعمى •

لقد أرسل أدبه ارسالاً فبهر به جمهرة الشعراء والنقاد وأهـل الأدب وراحوا ينظرون فيه بين مكبر معجب أشد الاعجاب وحاقد مستنكر يتصيد السقطات والهفوات وكأنه عنى هذه الجمهرة الكبيرة حين قال :

أنامُ ملِءَ جفوني عن شواردِها   ويسهرُ الخلـق جرّاها ويختصمُ

وتصدى له نفر من اولئك الحاقدين من الشعراء وغيرهم وقد دفعهم فلان، أو فلان من ذوي السلطة والشأن كالوزير المهلبي وغيره الى أن يقولوا فيه وفي شعره شيئاً فصنعوا ولم يكن صنيعهم هـذا بمحقق غرضـاً من ذاك الذي « ملأ الدنيا وشغل الناس » •

ولم يكترث بشيء مما صنعوا ولكنه قال :

أرى المتشاعرين غَـروا بذمّي ومن ذا يحمَـد الداءَ العُضالا

ومن يكُ ذا فمٍ مُرٍّ مريضٍ يجـدْ مُرّاً بـه الماء الزلالا

لقد انطوت أشعار اولئك المتشاعرين وبقي المتنبي على ألسنة المعجبين، يرددون قوله :

وما الدهـر الا من رُواة قصائدي اذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا

فسـارَ بـه من لا يسـير مشمراً وغَنَّى به من لا يغنّي مُغرِّدا

وقوله :

وما تَسَعُ الازمانُ علمي بأمرها وما تُحسن الأيام تكتب ما أملي

وتحدث ضياء الدين بن الأثير صاحب « المثـل السـائر » في كتابه « الوشي المرقوم »(٤) فقال :

« وكنت سافرت الى مصر سنة ست وتسعين وخمسمائة ورأيت الناس مكبّين على شعر أبي الطيب المتنبي دون غيره فسألت جماعة من ادبائها عن سبب ذلك وقلت ان كان لان أبا الطيب دخل مصر فقد دخلها قبله من هـو مقدَّم عليـه وهو أبو نواس الحسن بن هانيء • فلم يذكروا لي في هـذا شيئاً • ثم إني فاوضت عبدالرحيم بن علي البيساني (القاضي الفاضل) رحمه الله في هذا فقال لي :

(٤) الوشي المرقوم عن مقدمة الدكتور عبدالوهاب عزام في « ديوان ابي الطيب المتنبي » .

« ان ابا الطيب ينطق عن خواطر الناس » .

ولقد صدق فيما قال .

وأنت تدرك اعجاب ابن الأثير بأدب الشاعر واكباره له في كتابه[5] « المثل السائر » حين عرض غير مرة لشعره ناثراً في فصل أسماه « حل المنظوم » فقد اتخذ نموذجاً لذلك قول المتنبي :

تَلَذُّ لـه المروءة وهي تؤذي ومـن يعشَقْ يلـذّ لـه الغـرام

قلت : لقد تصدى للمتنبي نفر من الشعراء وغيرهم من النقاد . لقد صنف اولئك النقاد مصنفات في نقد المتنبي اشتملت على « سقطاته » و « سرقاته » استجابة لفلان من ذوي الشأن كالوزير المهلبي ممن أعرض عنهم الشاعر فلم يخصهم بشيء من شعره . فكانت « الابانة عن سرقات المتنبي »[6] ، و « الكشف عن مساوىء المتنبي »[7] و « الرسالة الحاتمية »[8] و « الرسالة الموضحة »[9] وغير ذلك . ثم جاء القاضي الجرجاني فألف كتابه المشهور « الوساطة بين المتنبي وخصومه » . وهذا الكتاب الأخير من الكتب النافعة لانه عرض بشيء من القسط للموضوع فكان من كتب النقد المعدودة .

وأنت اذا فحصت هذه المصنفات أنكرت الكثير مما عُدَّ سَرَقاً فقد تجد تشابهاً في معنى من المعاني ذكره شاعر متقدم على المتنبي أو معاصر له . وبسبب من هذا التشابه زعموا أنه سرق المعنى .

---

(٥) المثل السائر (فصل حل المنظوم) .

(٦) الابانة عن سرقات المتنبي لابي سعد محمد بن احمد العميدي (دار المعارف ١٩٦١) .

(٧) الكشف عن مساوىء المتنبي للصاحب بن عباد (طبعت في ذيل « الابانة » وطبعت ببغداد منفردة غير مرة بتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين .

(٨) الرسالة الحاتمية للحاتمي (طبعت في ذيل الابانة) كما نشرها فؤاد افرام البستاني في بيروت .

(٩) الرسالة الموضحة لابي علي الحاتمي (بيروت ١٩٦٥) .

ألا ترى معي انهم خرجوا عن الصدق وابتعدوا عن الحق حين ادعوا ان المتنبي في قوله :

اذا اكتسب الناس المعاليَ بالندى فانك تعطي في نداك المعاليا

قد أخذ المعنى من قول ابي العتاهية :

أحييت ذكراً طيباً نشره تفصيله اذكى من المُجمل

وأنت فرع طيب أصله لابد للآخر من أوّل

وأنا أتساءل كيف كان قول المتنبي مأخوذاً من هذا « المفصّل والمجمل » الذي جاء به أبو العتاهية ؟ !

وقد ادعوا ان المتنبي أخذ جملة كبيرة من معاني شعره من شعراء لم يعرفهم أدب العربية لولا هذه الاشارات النافرة في مصنفات اولئك النقاد. ولعل أغلبهم لم يرزق شيئاً من شهرة في عصره الذي عاش فيه ، وإلا فمن يكون محمد البيذق الشيباني من أهل نصيبين القائل :

إني لأنصف من اخائك دائماً حاشاك من ظلم فَلِمْ لا تُنْصِفُ

الظلم طبعك والعفاف تكلّف والطبع أقوى والتكلف أضعف

أكان جائزاً ان المتنبي نظر الى هذين البيتين حين قال بيته المشهور :

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفّةٍ فلعلة لا يظلم

صدق المتنبي فالظلم من شيم النفوس ، نفوس اولئك النقاد الاقدمين . ومن يكون ذاك « العوني » « الشاعر » الذي قال :

تحت أضلاعيَ اللهيبُ وعيني في رياض من الجمال تجول

فادّعى النقاد ــ سامحهم الله ــ ان المتنبي اخذ المعنى فقال :

حَشايَ على جمر ذكيٍّ من الهوى وعيناي في روض من الحسن ترتع

وهل لنا ان نؤمن ان المتنبي سطا على قول ذاك « العوني » ؟ !

وقالوا أخذ المتنبي من ابي تمام وبشار والبحتري وغيرهم فقالوا في قوله :

اذا جازَ مالاً فقد حازَه   فتى لا يُسَرُّ بما لا تَهَبْ

أخذه من قول بشار :

فلا يُسَرُّ بمالٍ لا يجودُ به   وليس يَقنَع الا بالذي يَهَبُ

ومن قول البحتري :

ما احتجَّ يوماً كما احتجَّ البخيل ولا   يُحِبّ من ماله الا الذي يَهَبُ

أقول : ان هذا المعنى مما يعرفه الخاص والعام وهو يَرد في اذهان السوقة من الناس فما بالك بالشعراء ؟ ولا أدري كيف توسعوا في مفهوم السَرَق !

وأنت تجد جملة كبيرة من المتشاعرين الذين خَلَّدت هذه « المصنفات » اسماءهم ولولا ذلك لكانوا في عداد من طوتهم الأيام ومن هؤلاء : ابن ابي الرعد ؟ ومعبد بن طوق البصري وابو حويه السكسكي ، وعثمان بن عمارة الخزيمي ، ومخيم الراسبي ، ورزين العروضي ، والمعوّج الرقيّ ، والناشيء الأكبر ، والواسطي ؟ ، والعجيفي الكوفي ؟

وكيف يكون قول المتنبي :

حُشاشة نفس وُدِّعَت يوم ودّعوا   فلم أدر أيَّ الظاعنين أشيِّعُ

أشاروا بتسليم فجدنا بأنفسٍ   تسيل من الآماق وا لسمُّ أدمع

مأخوذاً من قول العجيفي الكوفي :

دمعي جرى من جفوني يوم بينهم   فلست أدري أدمعي كان أم روحي

ومثل هذا كثير اجتزىء منه بهذا القدر الموجز • ولقد نسيت هذه المصنفات التي أريد بها النيل من المتنبي وأدبه حتى نهض بنشرها جماعة من ادباء عصرنا فكشفوا عنها فكانت سوأةً من سوءات مصنفيها ولم تكن من « مساوىء المتنبي » •

ولعل الناس أسرع لنشر الشر والسوء واظهار ما أدعي انه سرق وسطو وأخذ • وإلا فما بالهم لم ينشروا « معجز احمد » لابي العلاء المعري الذي أكبر المتنبي ايّما إكبار حتى قرنه بالانبياء أصحاب المعجـزات فكان شعره « معجزاً » والى هذا أشارت التسمية •

ثم لِمَ لم ينهدوا الى نشر « الفسر الكبير » صنعة اللغوي الشهـير ابي الفتح عثمان بن جني[10] ؟ وفي هذا الكتاب وقفات على لغة المتنبي نظر فيها المصنف بعين اللغوي البصير بدقائق العربية فأتى بفوائد كبيرة • وقد صنف غير هؤلاء مصنفات ما زال كثير منها مخطوطاً[11] انصرفت الى شاعرية الشاعر واصالته في لغته ومعانيه •

---

(١٠) اراد الدكتور صفاء خلوصي ان ينشره فعمد الى تغييره ولم يحظ منـه بأية عناية وقد سماه « ديوان ابي الطيب » ! ولم يكن « الفسر » ديوانا ولكنه شرح لما اراد ابن جني ان يشرحه من شعر المتنبي •

(١١) طبع اخيرا في دمشق « شرح مشكل شعر المتنبي » لابن سيده •

كلمة في منهج البحث

قلت ان عملي هو جهد لغوي معجمي أعرض فيه للكلمة وأصلها وتطورها واستعمالها واتصالها بالظروف الطبيعية والاجتماعية . وهذا الجهد اللغوي قائم على الفاظ منها ما استعملها المتنبي فكانت ذات مكان خاص في شعره بسبب من طريقة الاستعمال وأنها لم تكن كغيرها من سائر ما استعمله المتنبي من مواد لغوية شاركه فيها غيره من الشعراء ، ومنهـــا ما وردت في شعره واستعملها كما استعملها غيره ولكنها في ذاتها جديرة بالبحث من حيث انها ذات مسيرة طويلة فهي ذات حياة تكشف عن قوة العربية وأصالتها وحيويتها . ومن هنا فالمواد التي يضمها هذا المعجم مواد خاصة آثرت أن أدرسها فأعرض مكان الشاعر في طائفة منها وطريقة فهمه لها كما أعرض لمواد أخرى وردت في شعره فكانت كما أشرت من المواد التاريخية التي تتصل بالبيئة العربيــة فتكشف عن بداوة تارة كما تنبيء عن قــدرة فائقــة في التعبير عن مواد الحضارة .

وبعد فان هذا العمل اللغوي مشاركة في معرفة شيءٍ من تاريخ العربية خلال عصور عدة .

المعجم

قلت لم يكن هذا المعجم الا عملاً لغوياً لطائفة من الالفاظ التي كان فيها ضرب من المشكل . ولا اريد بالمشكل على نحو ما أريد بالمشكل لدى اللغويين الأقدمين ولكني أريد به ان اللفظ خاص في بنيته خاص في استعماله ، معوز لما يستحق ان يقال فيه مما هو جديد في البحث اللغوي من الناحية التاريخية .

حرف الألف

١ ـ ابل

قال المتنبي :

تجري النفوس حَواليه مُخَلَّطة منهـا عُـداةٌ وأغنـام وآبالُ

من قصيدة يمدح بها ابا شجاع فاتكاً في سنة ٣٤٨ مطلعها :

لا خيـلَ عندكَ تُهديهـا ولا مـال
فليُسعِدِ النطقُ ان لم تُسعِدِ الحالِ

الشرح(١) :

يعني بالنفوس الدماء يقول : تجرى عنده الدماء مختلطة دم الاعداء ودم ذبائحه للأضياف . انتهى كلام الشارح .

اللغة :

أقول : جمع اِبِل على آبال .

والغريب فيه ان « ابل » من أسماء الجموع التي لا واحد لها من لفظها نحو الضأْن والمَعَز والغَنَم ونحوها .

---

(١) الشرح من شرح الواحدي ص ٧٠٨ وسأثبت هذا الشرح في كل مادة من المواد التي أعرض لها في هذا الموجز من المجموع اللغوي .

ولم نجد في العربية التي بين أيدينا في مصادر اللغة ومعجماتها جمعاً لـ « إبِل » على « آبال » ذلك ان « إبِل » وهو اسم جمع يغني عن هذا الجمع الا في « التهذيب » للازهري فقد اثبت « آبال » .

قال الجوهري :

وهي مؤنثة لان اسماء الجموع التي لا واحد لها من لفظها اذا كانت لغير الآدميين فالتأنيث لها لازم ، واذا صغّرتها دخلتها التاء فقلت : أُبَيلة وغُنَيمة ونحو ذلك ، قال : وربما قالوا للإبِل « إبْل » يسكّنون الباء للتخفيف .

وحكى سيبويه : إبِلان قال : لان إبِلاً اسم لم يُكسَّر عليه ، وانما يريدون قطيعين .

قال أبو الحسن (الأخفش) : انما ذهب سيبويه الى الايناس بتثنية الأسماء الدالة على الجمع فهو يوجهها الى لفظ الآحاد ، ولذلك قال : انما يريدون قطيعين ، وقوله : لم يكسَّر عليه لم يضمر في « يُكَسَّر » .

والعرب تقول : انه ليروح على فلان إبِلان اذا راحت إبِل مع راعٍ وإبِل مع راع آخر .

تعليق :

أقول : لم يرد جمع إبِل على « آبال » في نص فصيح غير بيت المتنبي . اما كلمة الازهري في أنه يجمع على « آبال » فقد انفرد بها ولم ترد في نص من النصوص القديمة . ولعله أجاز هذا الجمع لان «إبِل» بكسرتين قد تخفف فتسكّن الباء وهي عندئذٍ نظير سِمْط وشِلْو ، ومن المعلوم إن وزان فِعْل بسكون العين يجمع على أفعال .

اما المتنبي فوجد على سبيل التوهم ان « آبال » مثل « اغنام » من غير ان ينظر الى المفرد . وهذا هو القياس على سبيل التوهم . ومثله كثير في العربية . وهو من غير شك اجتهاد وتوسع وسعة نظر . ومن المعلوم ان « التوهم » هذا ليس وهماً وانما هو اتساع في النظر والقياس ، وهو باب من ابواب الوضع الذي اتسعت به العربية . وفي شعر المتنبي كثير من هذا الذي ذهب فيه وهو عارف ان القياس شيء آخر وسنأتي على شيء كثير من هذا .

ثم ماذا ؟ ألم تكن اللغة وليدة الحاجة ، ولا أريد ان اتقبل كثيراً مما خرج على الأقيسة بحجة ان القائل محتاج ممتحن مجتهد ، ولكني أقول ان الاديب الذي اكتملت أدواته يبصر من الأمر غير ما يبصر النقدة الحاقدون الذين لم يستجيبوا الى علم قائم على أصوله الثابتة .

ان الكلمة « ابل » تعني الجمع وبها جاء التنزيل : « افلا ينظرون الى الا ِبِل كيف خُلِقت » . ودلّ على ذلك انها مؤنث بدلالة الفعل بعدها . ومن هنا لم تكن حاجة الى أن تجمع هذه الكلمة على « أفعال » فيقال « آبال » بسبب ان الجمع حاصل في « ابل » ، ولكن المتنبي جاء بها لحاجة فيها والبيت يقتضي هذا ثم ان عطفها على « اغنام » قد جوّز شيئاً من ذلك .

وبعد فليست الحاجة في كثير من الاحيان مما يحزب القائل الى استعمالٍ خاص يندّ عن المألوف الشائع .

٢ ـ أبو

قال :

الواضحين أُبُوّاتٍ وأجْبنَةً ووالدات والباباً وأذهانا

من قصيدة يمدح فيها ابا سهل سعيد بن عبدالله بن الحسن الأنطاكيّ ومطلعها :

قد عَلَّم البين منا البين أجفانا تَدْمَى وألَّف في ذا القلب أحزانا

الشرح :

« يريد بالأبُوّات الآباء يعني أن آباءهم معروفون وانسابهم ظاهرة ويقال : فلان واضح الجبين اذا كان حسن المنظر بهيّاً » . انتهى كلام الشارح .

اللغة :

قال أهل اللغة : والأب اصله أَبَو ، بالتحريك ، لان جمعه آباء مثل قَفاً وأقفاء ورَحَىً وأرحاء ، فالذاهب منه واو لانك تقول في التثنية أبوان ، وبعض العرب يقول أبان على النقص ، وفي الاضافة ابيك ، واذا جَمعتَ بالواو والنون قلتَ أبون وكذلك أخون وحمون ، قال الشاعر :

فلما تَعَرَّفْنَ أصواتَنا   بكين وفَدَّيْنَنا بالأَبينا

قال : وعلى هذا قرأ بعضهم : إلهَ أبيك ابراهيم واسماعيل واسحاق ، يريد جمع أب أي أبينك ، فحذف النون للاضافة .

قال ابن برّيّ : شاهد قولهم أبان في تثنية أب قول تُكتَم بنت الغَوث :

باعَدَني عن شتمكُم أبانِ   عن كل ما عَيبٍ مُهَذَّبانِ

وقال آخر :

فلم أذمُمْك فَا حَمِرٍ لأني   رأيتُ أبَيْكَ لم يزِنا زِبالا

وقالت الشنباء بنت زيد بن عمارة :

نِيطَ بحَقْوَي ماجدِ الأَبينِ   من معشر صيغوا من اللجين

وقال الفرزدق :

يا خليليَّ اسقياني   اربعاً بعد اثنتين
من شرابٍ كدَمِ الجَوْ   فِ يُحِرُّ الكُلْيَتين
واصْرِفا الكاسَ عن الجا   هِلِ يَحْيَى بن حُضَين

لا يذوق اليَـــوم كأسـاً أو يُفَـــدَّى بالأَبَـــين

قال : وشاهد قولهم « أبونَ » في الجمع قول ناهض الكلابي :

اغَرّ يُفَرِّج الظَلْماءَ عنـــه يُفَـــدَّى بالأعَمِّ وبالأبينـــا

ومثله قول الآخر :

كريم طابت الأعـراق منـــه يُفَـــدَّى بالأعَمِّ وبالأبينـا

وقال غيلان بن سلمة الثقفي :

يَدَعْنَ نساءكم في الدار نَوحاً يُنَدّبن البُعولـــة والأبينـا

وقال آخر :

ابون ثلاثـــة هلكوا جميعـاً فلا تسـأم دُموعُكَ أن تُراقا

وقال ابن سيده : الأب الوالد ، والجمع أبون وآباء وأبُوٌّ وابوَّة ، عن اللحياني ، وانشد للقنانيّ يمدح الكسائي :

أبَى الذَم اخـلاق الكسـائي وانتَمى

لـه الذِروةُ العليـا الأبُوُّ السوابِقُ

والأَبَا : لغة في الأب ، وُفِّرت حروفه ولم تحذف لامه كما حذفت في الأب .

انتهى كلام المتقدمين من علماء اللغة .

تعليق :

أقول : إن قولهم أب" أصله « أَبَو » لابد ان يقال فيه شيء يتصـل بالعلم . ان قولهم هذا يندرج في أنهم انطلقوا من أن أقل عدة بنية في العربية من حيث اصواتها ثلاثة أصوات ، وقالوا ثلاثة أحرف .

ان قولهم ثلاثة « أحرف » يشير الى الاصوات التي يطلق عليها في علم الاصوات في عصرنا الاصوات الصامتة "consonnes" . ومعنى هذا أنهم أهملوا كل الاهمال الاصوات « الصائتـة » "voyelles" وهي تلك التي

أسموها « حركات » • وفي هذه التسمية وعدم ثبوتها في « الرسم » دليل على انهم عدوها ثانوية أو شيئاً لا يحسب له حساب في العلم الصوتي القديم • ان ما أسموه « حركات لهو شيء قيمته قيمة سائر الأصوات الأخرى • ولابد من اصوات صائتة وأخرى صامتة لتأليف أية كلمة من الكلمات وهذا شيء حاصل في اللغات كافة •

وأعود الى قولهم : ان « أب » اصله « أبَو » يعني في فهم اللغويين الأقدمين ان أصل الالفاظ الثنائية الموجودة في العربية ثلاثية حذف حرفها الثالث ، وكأنه يرد اليها عند الحاجة في مادة من المواد اللغوية •

وأرى ان الأصل القديم هو الأصل الثنائي ، ولكن هذا الثنائي لابد ان يكون مرحلة من مراحل التطور اللغوي في أقدم عصور العربية بل قبل عصر اللغة السامية القديمة • وان التطور السريع في اللغة واستجابتها لكثير من الحاجات أدى الى ان يكتمل بناء تلك الثنائيات لتفي بالغرض ويكون في طوق المعربين بها ان يؤلفوا أبنية كثيرة فكانت المادة التي تشتمل على ثلاثة من الاصوات الصامتة •

وقد يكون لنا ان نلمح شيئاً من تلك الاصول الثنائية في مجموعات المواد التي يكون من بنائها ثلاثة اصوات صامتة •

الا ترى ان في : سَكَن ورَكَنَ وكَهَنَ وكَوَنَ ودَكَنَ وكنن وكَمَن وتَكَنَ ومَكَنَ ، صوتين يتكرران هما الكاف والنون وهو مادة المعنى التي تشير الى الاستقرار والوجود في حيّز ما ولكن الصوت الثالث هو المتغير وهو الذي يكمل العِدّة ليتهيأ من ذلك مادة ثلاثية قابلة للتصرف أو التغير الذي يؤدي الى معان جديدة وأفكار جديدة •

وعلى هذا فمن العسير ان نخلص الى فائدة لغوية ببقاء كلمة أب وأخ ونحوهما في ثنائية صوتية ، اذ لابد من صوت صامت consonne ثالث فيتأتى من هذه الاصول الثلاثة مع الاصوات الصائتة الاخرى (الحركات) مواد ذات مكان في اللغة التي يتصرف بها المعربون • فالواو في « أبَوان » مثنىً و « أبون » جمعاً يهيّىء للكلمة مكاناً في العربية •

أما مجيء المثنى بغير هذه الواو اي بزيادة علامة التثنية وحدها فليس من المظنون انه كان شائعاً ولم يرد الا في هذه الشواهد الشعرية القليلة • وقد يكون شيء من هذا خاصاً بلغة من العربية القديمة أي لهجة من اللهجات التي حفلت بها لغتنا قبل ان يتم لها ما يشبه التوحيد في لغة عامة •

ولعل مثل هذا ما ورد من جمع « أب » جمع سلامة فليس هو بالمشهور المعروف ولم يؤثر الا في شواهد من أبيات ذكرت في المطولات اللغوية ولم يعرف في غيرها •

ونعود الى أبنية الجمع الأخرى لكلمة « أب » فنجد : آباء وأبُوٌّ وأبوَّة ومثلها جمع أخ فهناك إخوة وأُخوة واخوان ويضاف الى هذا آخاء مثل آباء وأخوٌّ وأخوَّة والاخيرة عن اللحياني وكأنها قيست على « أبوَّة » •

ان « أُبوّ وأخوٌّ » من أبنية الجمع فهي فُعُول وكأن التاء جاءت جرياً على المشهور في العربية ان الجمع مؤنث • ومثل هذا في اللغات السامية الأخرى • ان أب في العبرانية يجمع على « أبوت » אבות وفي كثير من اللغات السامية ان التاء ترد وهي اشارة الى هذا الذي لمحه العرب من ان الجمع مؤنث فقالوا : « كل جمع مؤنث » •

ولكن ما يسمى بـ « التخالف » قد تحكم في اللغات السامية فان « أب » وهو مذكر يختم بالتاء لمحاً للتأنيث وسنة وهي مؤنث تجمع على « سنون » وسنين جمع تذكير ، ومثل هذا في العبرانية « شانا » و « شانيم » •

وعندي ان كثيراً مما جاء على « فعول » ورد في العربية القديمة على فعولة لمحاً للتأنيث وخدمة لما سميناه بـ « التخالف » نحو السهولة والبعولة والفحولة والنجودة والخيوطة وهي السهول والبعول والفحول والنجود والخيوط وغيرها •

ثم ماذا عن « أُبُوّات » التي وردت في بيت المتنبي المتقدم ذكره •

اشتمل البيت كله على جموع فلم ترد كلمة مفردة • أتقول : ان لغة

الشعر اضطرت الشاعر الى ذلك فلم نجد في الفاظ الجمع « أُبوّات » بل وجدنا فيما وجدنا « أبوّة » ، وهل لنا ان نقول : انه جمع الجمع مثل رجالات وبيوتات وجمالات ونحوها •

أقول : لا شيء من ذلك لان جمع الجمع يؤدى فائدة وليس فيه الكثرة التي تؤدى بالجمع ، فالرجالات عدة من الناس ذوي أقدار ومكانة ومثل هذا البيوتات • ولعل الجمالات شيء من هذا جاء في لغة التنزيل « وجمالة صفر » وقرىء : « وجمالات صفر » •

وما أظن ان الشاعر قد قصد الى هذا ولكنه توسع على طريقته في الاجتهاد إن حَزَبه الأمر الى الاجتهاد وهو صاحب لغة ماهر صَناع •

وفاتني ان اقول في « أبا » التي هي لغة في « أب » مثل « أخا » لغة في « أخ » • أقول : ان لغة القصر هذه لا تخرج في سرها عن تحول الكلمة الى بنية ثلاثة الاصوات الصامتة ليتهيأ منها ما يتهيأ كما وضحنا ذلك • وهذه اللغةُ لعلها كانت من العربية الجنوبية ذلك ان بقية منها ما زالت معروفة في عربية اليمن الجنوبي فيقولون « باحسين » و « باوزير » ونحوهما وهو معروف لدى الدارسين للهجات العربية المعاصرة •

٣ ـ أثث

قال :

وتحت ربابه نبتوا وأثّوا　　　وفي أيامه كثروا وطابوا

وهو من قصيدة يذكر فيها وقعة سيف الدولة ببني كلاب في جمادى الآخرة سنة ٣٤٣ هـ مطلعها :

بغيرك راعياً عَبَثَ الذئاب　　　وغيرك صارماً ثَلَمَ الضِراب

الشرح :

الرباب غيم يتعلق بالسحاب من تحته يضرب الى السواد ، ومنه قول الشاعر :

كأن الربابَ دُوَين السَحاب نَعام" تَعَلّقَ بالأرجلِ

ويعني المتنبي بالبيت الذي وقفنا فيه على مادة (اثث) : انهم نَرَبّوا بنعمته ونشأوا في احسانه كالنبت انما يلتف بماء السحاب وأثّوا من الأثاثة ، يقال :

نبت أثيث وشعر أثيث • انتهى كلام الشارح •

اللغة :

الأَثاث والأَثاثة والأثوث : الكثرة والعِظَم من كل شيء ،

أَثّ يَأثّ ويَئِثّ ويَؤُثّ أَثّاً وأَثاثة فهو أثّ • قال ابن سيده : عندي أنه فَعْل" ، وكذلك أثيث ، والانثى أثيثة والجمع أثائث وأثايث •

ويقال : أثّ النبات يَئِثّ أَثاثة كثُر والتف ، وهو أَثيث ، ويوصف به الشعر الكثير والنبات الملتف ، قال امرؤ القيس :

« أَثيث" كقِنوْ النخلةِ المتعَثْكِلِ »

والأَثاث : الكثير من المال ، وقيل : المال كله والمتاع ما كان من لباس أو حشو لفراش أو دثار واحدته أثاثة •

وفي التنزيل العزيز : « أثاثاً ورِئيّا » وهو المتاع • قال الفراء : الأثاث لا واحد له •

وتَأثّثَ الرجل : أصاب خيراً ، وفي « الصحاح » : أصاب رياشاً •

تعليق :

ان مادة « أثث » من المواد السامية القديمة • وقد بقيت في العربية في هذه المادة التي أفادت الكثرة والوفرة والزيادة وأصلها ما دلّ على « الشيء »• وقد انصرف الشيء في العربية الى المال والمتاع • والمال الابل والغنم والعبيد والمتاع ومثل هذا •

وكأن المادة القديمة السامية « اث » את تفيد الشيء مطلقا ،
ومعنى ذلك ان « الشيء » يرمز الى الموجود والكائن • ومن هنا لابـد ان يكون « الشيء » مقلوباً لـ « اش » القديمة التي انقطعت في العربية وهي تقابل ما في العبرانية والآرامية « اث » • ان هذه الكلمة العبرانية تشير الى المعنى القديم وهو الشيء الموجود ، ومن أجل ذلك وضعت هـذه الكلمـة سابقةً للمفعول به اذا كان معرفة •

قلت : لعلها ان تكون « اش » في العربية قد قلبت الى «شيء» ، والذي يلوح من وقوع هذا ان النحاة العرب قد لمحوا هذا فقـد قالوا في كلمـة « اشياء » في قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياءَ إنْ تُبْدَ لكم تَسُؤْكُم » •

فقالوا : لم تُنوَّن « أشياء » في الآية الكريمة ؟ وما العلة في ذلك ؟

ذكر سيبويه وأكبر الظن انه كلام الخليل بن أحمد : ان « اشياء » مقلوب «شيئآء» ولذلك جعلوا وزنها «لفعاء» •ومن أجل هذا لم تنوَّن حملاً على ما خُتِمَ بألف التأنيث الممدودة نحو حمراء وغيرها •

أقول : ان الكلمة ولمح قلبها يدلنا على أصلها القديم •

والشيء وهو مقلوب « أيش » يدل على الموجود من الاشياء او قـل الموجود والكائن • ألا ترى ان « أيس » بالسين ـــ وهو والشين مما يحصل فيه الابدال من الناحية الصوتية ـــ كلمة تعني الوجود • وقد أفاد من هـذا الفلاسفة فكتبوا في الأيسية والليسية كما صنع الفيلسوف الكندي وغيره • ومن هنا نستطيع ان نقول ان « ليس » من الادوات المركبة من لا وأيس كما أشار الخليل في كلمته : « ان العرب تقول جيء به من أيسَ وليسَ ، ولم تستعمل « أيس » الا في هذه الكلمة وانما معناها كمعنى حيث هو في حال الكينونة والوُجْد ، وقال : ان معنى لا أيس اي لا وُجْد[1] •

---

(١) انظر اللسان (ايس) •

ولمح الخليل لهذا المعنى في « أيس » أي الوُجْد يؤيده ما في العبرانية وذلك أنهم استعملوا في العبرانية القديمة « يش » وتفيد الوجد .

ثم اذا كانت « أيس » الوجد في العربية المماتة فهل نذهب الى أن الياء في « ايس » كانت نتيجة فك الادغام في « اس » ، وفك الادغام في العربية يولد الياء من الصوت الاول المدغم في نظيره ، كما قالوا في « أمّا » « أيما » قال الشاعر :

يا ليتما أمّنا شالت نَعامتُها أيْما الى جَنّة أيما الى نار

ثم الا ترى اننا تقول فينان وفنان ، وغيناء وغناء .

وقد يكون فك الادغام بابدال النون من اول المدغمين ، وهذا كثير في العربية مثل حجرّ وحَنْجرَ واحرجَّم واحرنجم وعنجور وعجّور ولعل ذلك أكثر منه في طائفة من الالسنة الدارجة .

واذا حدث هذا فهل لي ان أقول ان « اس » بمعنى الوجود هي التي ولدت « انس » بفك الادغام فأطلقت على أهم موجود وهو الانسان . ومثل ذلك في العبرانية « اش » وهو الشيء والوجود أدى الى « ايش » وتعنى الانسان أو الرجل . وهل غاب عنا ان « اِيسان » كلمة في « الانسان » في عربيتنا الفصيحة .

ولا أريد ان اترك هذه المادة دون الاشارة الى مادة عتيقة في العربية أوشكت ان تزول من الاستعمال في عصرنا وهي « لاتَ » . لقد حار النحاة العرب في معرفة « تاء » « لات » فقالوا : انها للتأنيث وقالوا ايضا : انها للمبالغة ، ولعلهم قالوا : انها تفيد الاثنين لما في الزيادة من معنى المبالغة .

ولست أرى انها للتأنيث كما لا ارى انها للمبالغة بحجة زيادتها ، ولكني أحسّ ان « لات » و « ليس » من مصدر واحد فكلاهما مركب وقد تكلمنا على « ليس » قبل قليل فلابد ان نربط بينها وبين « لات » هذه .

أقول : ان « لات » شيء مركب كتركيب « ليس » من « لا » مفيدة للنفي و « ايت » وهي مادة قديمة لا تبتعد عن « أثّ » المضعفة التي تفيد الوجود والتي كان منها أيس وايش وقد سبق الكلام على ذلك . وايث وايت في الآرامية شيء يفيد هذا الوجود . وهي التي ظلت في العبرانية

تسبق المفعول المعرف • ان بقاءها على هذا النحو من التركيب مع لا ونحتها معها مفيد في معرفة هذا اللون من البحث التاريخي اللغوي •

٤ ـ آدٌ

قال المتنبي :

نالَ ظنّي الأمورَ الا كريماً ليس في نطقه ولا فيَّ آدُه

من قصيدة له يمدح بها ابن العميد ويهنّئه بالنيروز مطلعها :

جاء نوروزنا وأنت مُرادُه وَوَرَتْ بالذي أراد زنادُهْ

الشرح :

الظن ههنا معناه العلم ويُروَى « طبّي » بالطاء وهو بمعنى العلم أيضا •

يقول : أنا عالم بالأمور قد أحطتُ بها علماً غير أني قاصر عن مدح كريم ليس لي فصاحته ولا قوّته في علم الشعر •

اللغة : الأَيْد والآد جميعاً القوّة ، قال العجّاج :

من أن تبَدّلتُ بآدي آدا

يعني قوة الشباب • وفي خطبة علي ـ رضي الله عنه ـ : « وأَمسَكَها من أن تمور بأيْده » أي بقوّته ، وقوله عزّ وجل : « واذكر عبدنا داود ذا الأيد » أي ذا القوّة •

وغير خافٍ أن الفعل « أيّد » وما يتأتّى منه من هذا الأصل العتيق ، قال تعالى : « والسماء بنيناها بأيْدٍ » • ومنه ايضاً آدَ يئيد اذا قوي • والأيّد القويّ ، قال الشاعر :

اذا القَوسُ وَتَّرها أيّدٌ رَمَى فأصاب الكُلَى والذُرا

تعليق :

ان مادة « يد » وهي العضو في « خلق الانسان » هي التي كانت أصل هذه المواد الدالة على القوة دلالة العضو الانساني عليها ؟

والآد بمعنى القوة كما في البيت من هذه المادة القديمة • ولعلك تبصر ان الثنائية في « يد » كيف تحولت وزادت الى ثلاثة اصوات صامتة فكانت واسطة لمواد عدة •

ومن المفيد ان أشير الى ان المتنبي لم يستعمل الصيغة المشهورة المعروفة وهي « أيد » وانما ذهب الى صورتها الأخرى المبدوءة بهمزة ممدودة حين حزبته حاجة القافية فاستعمل ما استعمله العجّاج المشهور •

ومن المفيد ان اعرض لكلمة « يد » في العربية لأشير ان أصحاب المعجمات لم يلمحّوا إليها عند الكلام على « أيد » و « آد » • لقد اهتموا بنسق الكلمات وفق النظام الذي اتبعوه وهو احتساب الحرف الأخير من الكلمة ثم تصنّف هذه الكلمات المنتهية بالحرف الاخير وفق الحرف الاول متخذين من كل حرف فصلاً مرتبين ذلك على حروف المعجم • ولكن هذا النظام ما كان ليمنعهم عن الاشارة الى قرابة الالفاظ وعلاقة هذه بتلك على نحو هذا الذي نعالجه في مسألة « أيد » و « يد » • لقد احتلت كلمة « يد » في العربية مكاناً كبيراً كالذي شغلته كلمة « عين » وكلاهما مادة في « خلق الانسان » •

ومن الطريف ان أشير الى ان « اليد » تجمع جمعاً نادراً على « أيدين » مثلها مثل « سنون » و « بنون » و « مئون » و « ارضون » و « عضون » و « رئون » وغيرها •

وأرى ان جمع التذكير هذا بالواو والنون والياء والنون من أقدم الجموع في العربية وربما كان جمعاً عاماً مطلق الجنس لا تذكير فيه ولا تأنيث ثم اكتسب التذكير فاختص به بعد تطور طويل • ويؤيد هذا ما نجده في العبرانية من الياء والميم والآرامية من الياء والنون •

وأود ان أقول : ان العربية قد أفادت كثيراً من هذه المواد العتيقة فقد اتسعت في الاخذ منها والاعتماد عليها تصريحاً أو اشارة خاطفة كاللمح فكان من ذلك معان جمة وفوائد كثيرة • ولم يتهيأ لغير العربية من اللغات السامية هذا الاتساع وهذا التوليد ، وهما مما يَسَّرَ للعربية ان تنتقل من أصولها

البدوية الى لغة حضارة كثيرة الحاجات متعددة الاغراض • لقد اخـذوا « المَيْدِيّ » من مادة « يد » لمن كان مقطوع اليد من أصلها •

و « اليُداء » بضم الياء مصدر على نحو مصادر الأدواء والاعراض كالصداع ونحوه وهو يعني وجع اليد • واين اصحابنا أهل علوم هذا العصر من هذه العربية التي اشتملت على ما يمكن ان يفيد في معجم جديد للحضارة المعاصرة •

ولعل كلمة « يد » تقدّم النموذج الحسن للكلمة العربية وكيف اتسع فيها حتى شملت فوائد فاليد هي القوة وهي السلطان وهي النعمة وهي المنة والصنيعة والواسطة ، وهي يد السيف والقوس والفأس ، وغير هذا كثير • ومقبض كل اداة وتصلح ان تستخدم في كثير من ضروب الآلة •

واهل البيان والبلاغة واجدون في استعمال هذه الكلمة ضروباً من الفنون وعلى رأس ذلك قول الله ــ عز وجل ــ : « يد الله فوق ايديهم » وقوله : « تبَّت يدا ابي لهب » ، وقول رسول الله ــ صلى اللـه عليـه وسلم ــ لنسائه : « اسرعكن لحوقاً بي أطولكن يداً » كنى بطول اليد عن العطـاء والصدقة ، وكانت زينب تحب الصدقة وهي ماتت قبلهنّ •

وماذا يقول أهل النقد والأدب وهم ينشدون بيت ذي الرمة :

ألا طَرَقَتْ مَيٌّ هَيُوماً بذكـرها
وأيـدي الثريا جُنَّـح في المغـارب

ولنختم هذه الفوائد بشيء مما أبقته هذه الكلمة في تاريخها الطويل •

قال ابن سيده : « واليدا لغة في اليد » وهذه الفائدة اللغوية ذات قيمة تاريخية في أنها تشير الى شيء من القرابـة اللغوية بين الكلمات العربيـة ونظائرها في لغات سامية أخرى • أقصد ان العربية بعد توحيدها من لهجاتها الكثيرة احتفظت بسمات تأثر فيها طوائف من العرب بجيرانهم ومن عاشروهم من الآراميين فكان ذلك واضحاً في لغتهم •

لم تكن « يدا » هذه المقصورة شيئاً كثير الاستعمال بين العرب • وما اظن الالف المقصورة هذه مفيدة للتأنيث، كما لا أقر تعليل ابن سيده[1] في

---

(١) اللسان ٤٢١/١٥ (ط . صادر) .

قوله في لفظ « يدا » : « جاء متمماً على فَعَل » ولكني أقول ان الالف المقصورة في « يدا » هي الفتح الطويل « زقافا » في السريانية الآرامية • وقد بقي في العربية شيء من ذلك ولا سيما في اسماء المدن والقرى في العراق وبلاد الشام بوجه عام • ولقد أورد اللغويون شواهد ظهرت فيها « يدا » بالقصر وانشدوا :

يا رُبَّ سارٍ سارَ ما توسَّدَا   الا ذراع العَنْسِ أو كَفَّ اليَدا

وقال آخر :

لقد أقسموا لا يمنحونك نفعةً   حتى تمُدَّ اليهم كفَّ اليَدا

وقد علل ابن برّي وتأوّل « اليدا » في الرجز والبيت تأولاً غير مقنع على طريقة أهل « الصرف » فقال :

ووجه ذلك انه رُدَّ لام الكلمة اليها لضرورة الشعر كما ردَّ الآخر لام « دم » اليه عند الضرورة ، وذلك في قوله :

« فاذا هي بعظام ودَما »

وقد ورد جمع يَد على يُدِيّ وهو من الجموع المكسرة على فُعول وفَعيل ومثل هذا : دواة دُوِيّ ونحوه • وفي هذا كفاية •

٥ ــ ألو

قال المتنبي :

وأخٍ لنا بَعَثَ الطلاقَ أَلِيَّةً   لأُعَلِّلَنَّ بهذه الخُرْطومِ

البيت أول بيتين قالهما الشاعر وقد مَدَّ إليه انسان بكاس وحَلَفَ بالطلاق لَيَشْرَبَنَّها •

الشرح :

الأَلِيَّة : القسم وجمعها الأَلايا ، والتعليل : السقي مرةً بعد مرة ، والخُرطوم : من اسماء الخمر سُمِّيَتْ بذلك لانها اذا بُزِلَ الدَنُّ تنصَبُّ في صورة الخرطوم •

اللغــة :

قالوا : الأَلْوة والأَلْوة والإِلْوة والأَلِيَّة كله اليمين والجمع ألايا ، قال الشاعر :

قليــل الألايا حافظٌ ليمينــه وان سَبَقَتْ منه الأليَّة بَرَّتِ

ورواه ابن خالويــه : قليل الإِلاء يريــد الايلاء ، والفعل آلَى يُؤْلي إيلاءً : حلف ومثله تألَّى تَأَلِّياً وأتلى يأتَلي ائْتِلاء ، وفي التنزيل :

« ولا يَأْتَلِ أولو الفضل منكم » اي لا يحلف . وآلَيْتُ على الشيء : أقسمت .

تعليق :

جاء في مادة « إلل » : ان « الإِلّ » بكسر الهمزة الحِلف والعهد . وبه فسر أبو عبيدة قوله تعالى : « لا يرقبون إلاً ولا ذِمَّةً » .

وعن ابن سيده : الإِلُّ الله — عزَّ وجلَّ — بالكسر .

وفي حديث ابي بكر — رضى الله عنه — ، لما تُلِيَ عليه سجع مسيلمة : « ان هــذا الشيء ما جــاء من إلٍّ ولا برٍّ فأيــن ذُهِبَ بكم » أي من ربوبيّة .

وفي حديث لقيط : « أُنَبِّئك بمثل ذلك في إلِّ الله » أي في ربوبيته .

وقد أدرك العرب ان الكلمة من المشترك السامي فقالوا في « اسرائيل » انه إسر إلّ واشاروا الى ان « إلّ » اســم من اسماء اللــه في العبرانيــة وسُمِّيَ يعقوب إسرَإلّ ولما عُرِّب صار اسرائيل .

قال ابن الكلبي : كل اسم في العرب آخره « إلّ » او « ايل » فهــو مضاف الى الله — عز وجل — كشَرَحْبيل وشَراحيل وشِهميل وهــو كقولك عبدالله وعبيدالله . ولم يقوّوا مقالة ابن الكلبي فقالوا : لو كان كذلك لصرف جبريل وما أشبهه .

أقول : لم يفطن أصحاب المعجمات الى العلاقة الأصيلة في الوضــع بين المادتين : « ألو » و « إلل » ، ولو ادركوا شيئاً مما ندعوه بعلم اللغــة المقارن لتَبين وجه العلم في هذه المواد السامية القديمة .

٦ ـ أله

قال المتنبي :

نـور تظاهـر فيك لاهوتيـة ... فتكاد تعـلم علم ما لم يُعلَما

من قصيدة يمدح بها « انساناً »(١) واراد ان يستكشفه عن مذهبـه مطلعها :

كُفِيِّ أراني ويكِ لومَكِ ألوَما ... هَمٌ أقـامَ على فـؤاد أنجُمـا

الشرح :

تظاهر وظهر بمعنى ويجوز ان يكون بمعنى تعاون أي أعان بعضـه بعضاً ، ولاهوتيه إلهيته ، وهذه لغة عبرانية يقولون لله تعالى لاهـوت ، وللانسان ناسوت .

يقول : قد ظهر فيك نور إلهي تكاد تعلم به الغيب الذي لا يعلمه احد الا الله ـ عز وجل ـ .

وقال ابن جني : نصب لاهوتيّةً على المصدر ، ويجوز ان يكون حالاً من الضمير الذي في تظاهر ، وهذا خطأ في الرواية واللفظ لان النور لفظ مذكر ولا تؤنث صفته .

اللغة :

قال الواحدي في الشرح : لاهوت لغة عبرانيـة يقـولون لله تعـالى لاهوت ، وللانسان ناسوت .

أقول : ان تخصيصه الكلمة بالعبرانية يفتقر الى التدقيق فالكلمة مصدر من المصادر السامية القديمة . وهذه الصيغة موجودة في اكثر من لغة سامية

---

(١) هذه عبارة الواحدي أحد شراح الديوان .

واحدة . وقد بقي منها في العربية : الملكوت والجبروت والرَهَبوت والرَحَموت .

تعليق :

ان العربية قد تصرفت في مادة « اله » تصرفاً لا نجده في اللغات السامية الأخرى . قالوا : هو بيِّن الالاهَة والالهانية ، وفي حديث وهيب بن الورد : اذا وقع العبد في ألهانيَة الرَبِّ ومُهَيْمنيَّة الصِدِّيقين ورهبانية الأبرار لم يجدْ أحداً يأخذ بقلبه ، أي لم يجد احداً يعجبه ولم يُحِبَّ الا الله سبحانه وتعالى .

ان هذه « الالهانية » شيء مما اختصت به العربية فقد أفادت مما أسميناه في عصرنا بالمصدر الصناعي وهو الكلمة المختومة بالياء المشددة مع تاء في الآخر .

كما قالوا : الربوبيّة والرهبانية ومثلُ هذا كثير في الفاظ أهل العلم والمنطق في سائر العصور ، كما استخدم المصدر الصناعي استخداماً واسعاً في عصرنا في الفاظ العلم والسياسة وغيرها .

والالوهية والأُلهانية والالِاهة كلها بمعنىً .

وأرى ان يُقَرب بين مادة « اله » ومادة « الل » و « الو » فالأصول واحدة ، وأكبر الظن ان الهاء في « إلاه » من الاضافات الصوتية .

والالاهة بكسر الهمزة وضمها وفتحها والأَليهة ، كله الشمس حكاه ثعلب . وكذلك الأُلَهة . وهذا من غير شك دال على عبادة الشمس القديمة وقد قال اللغويون بذلك . ودلالة هذه الالفاظ ودخول الالف واللام عليها والتزامها بذلك دليل تعظيمهم لها لانها معبودة .

قال تعالى : « ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ، لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن[1] ان كنتم إيّاه تعبدون » .

وقد أشرت الى القرابة اللغوية بين هذه المواد القريبة المدلول ، وان الهاء في مادة « اله » قد تكون من الزيادات الصوتية .

ولعل قول العرب : « بسم الله » بغير مَدّة اللام كما قال ابو الهيثم يشير الى ذلك . وأكبر الظن أن قصر مدة اللام قد يتبعها حذف الهاء كما هو باق الى يومنا هذا في لغاتنا العربية الدارجة في لفظ (بسم الله) .

٧ ـ اول

قال المتنبي :

يُدَفّن بعضنا بعضاً ويمشي　　أواخرنا على هام الأوالي

البيت من قصيدة يرثي فيها والدة سيف الدولة ويعزّيه عنها في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ومطلعها :

نُعِدُّ المَشْرَفِيّةَ والعوالي　　وتقتُلنا المَنون بلا قتالِ

الشرح :

يريد الاوائل فقلب وهو كثير في كلامهم ، أنشد سيبويه :

تكادُ أواليها تَفَرّى جلودُها　　ويَكتَحِلُ التالي بمُورٍ وحاصِبِ

يقول : ندفن أمواتنا ونمشي على رءوسهم بعد الموت ، يعني لا ننفك من فقد ودفن ثم لا نعتبر بمن ندفن بل نمشي عليهم غير معتبرين بهم .

اللغة والتعليق :

ان مادة « اول » التي جاء منها « اوّل» هي التي أمدّت العربية بـ

---

(١) ومن بديع الاستعمال القرآني ان الضمير في الفعل « خلقهن » يرجع الى « الشمس والقمر » وهو مثنى في حين ان الضمير ضمير جمع مؤنث ، ومن الطريف ان « الشمس » المؤنثة قد غلبَت على « القمر » المذكر .

« آل يؤول » وهو الرجوع الى الأصل أو الأوّل • ومن هنا يفهم « التأويل » بمعنى التفسير أي الرجوع الى الاول •

٨ ـ أيد

قال المتنبي :

أشدُّ عَصْفِ الرياح يسبِقُه   تَحْتِيَ من خطوها تأيُّدُها

البيت من قصيدة قالها في صباه يمدح بها محمد بن عبيدالله العلوي ومطلعها :

أهلاً بدارٍ سَباكَ أغيدُها   أبعَدُ ما بانَ عنكَ خُرَّدُها

اللغة والشرح :

عصف الرياح شدّة هبوبها ، ومن رَوَى بضم العين فهو جمع عَصوف ، يقال : ريح عاصف وعصوف • ومعنى تأيّدها تأنّيها وتلبّثها •
يقول : أهون سير ناقتي يسبق أشدّ سير الريح ، وهذا في الحقيقة وصف لشدة عدو المتنبي منتعلاً ، والتأيّد تفعّل من الأيد وهو التقوّي

وليس المعنى على هذا وانما أراد التفعّل من الاتّئاد بمعنى الرفق واللين فلم يحسن بناء التفعّل منه وحقّه تؤوّدها •

تعليق :

انه اراد بالناقة نعله كما قال في موضع آخر :

وحُبيتُ من خوص الركاب بأسود   من دارشٍ فغدَوتُ أمشي راكبا

فجعل خُفّه كالمركوب •

وهذا التشبيه والتصوير معروف في شعر ابي نواس وغيره •

وقد وضح الأمر في البيت السابق للبيت الذي تتكلم عليه :

شِراكها كورها ومشفَرها   زمامها والشسوع مِقودُها

٩ ـ إياة

قال المتنبي :

كلما استُلّ ضاحكتْه إياة تزعم الشمسُ أنّها أرآدُه

اللغة والشرح :

إياةُ الشمس ضوؤها ومنه قول طرفة :

سقته إياةُ الشمسِ الا لِثاتِه أُسِفّ ولم تَكدِمْ عليه بإثمِدِ

واذا فتحت الهمزة مُدّتْ ومنه قول ذي الرُمة :

تَرى لاياء الشمس منه تحدّرا ... ...

والأرآد يجوز ان يكون جمع رأد وهو الضوء ، يقال : رأد النهار ورأد الضحى ويجوز أن يكون جمع رئد وهو التِرب .

يقول : كلما سُلّ هذا الحسام ضاحكته اياة من الشمس تزعم الشمس أن تلك الاياة مثل ضوء هذا السيف . أشار الى أنّ شعاع هذا السيف يحكي شعاع الشمس ، وأنّ الشمس تُقرّ بانّ ضوءها كضوئه ، والكناية في أنها كالاياة . وانما جمع الأرآد مع توحيد الاياة حملاً على المعنى عند كل سَلّة مضاحكة بينه وبين اياة الشمس .

واِيا الشمس (بالقصر) وأَياؤها (بالمد مع فتح الهمزة) وكذلك إياتها (بالكسر) وأَياتها (بالفتح) كله نور الشمس وضوؤها ، وجمعها آياء وإياء .

قال الازهري : ولم اسمع لها فعلاً .

تعليق :

هذه من الكلمات الغريبة التي لا نستطيع ان ندرك من اصلها وجذمها شيئاً ولم أقف على شيء يقرب من هذا اللفظ والمعنى في اللغات السامية .

١٠ ـ أيْما

قال المتنبي :

أيْمـا لا بِقـاء على فضلـه　　أَيْمـا لتسليمٍ الـى رَبِّـهِ

من قصيدة يعزّي بها أبا شجاع عضد الدولة بعمّته ومطلعها :

آخِـرُ ما المَلْك مُعَزَّى بـه　　هـذا الذي أثَّرَ في قلبِـهِ

اللغة والشرح :

أيْما معناه أمّا ، أنشد ثعلب :

يا ليتما أمّنـا شـالت نعامتهـا　　أيْمـا الى جنّةٍ أيمـا الى نارِ

وقد سبق الكلام على فك الادغام في مسألة سبقت .

يقول : يفعل ما ذكرت اما ليبقى على فضله فلا يهلك بالجزع ، واما لتسليم الأمر الى الله فان له القضاء بما شاء في عباده .

تعليق :

يشعر دارس لغة المتنبي ان الشاعر على علم بكثير من دقائق العربية . ومن أجل هذا حظي باستحسان علماء اللغة ومنهم ابن جني . وأكبر الظن ان قدراً كبيراً من إعجاب ابي العلاء بقدرة المتنبي على البناء اللغوي الذي أفصح باليسير من اللفظ عن معنى فيه الفكر الدقيق الذي يقرب مما يتمثل به أو ما عبّر عنه بالحكمة فوصف الشاعر بالحكيم .

ان استعماله لـ « ايما » اشعار للقارىء ان العربية الواسعة والتي تجد شيئاً من ألوانها في الشواهد النادرة ، ما زالت حية عامرة في عصره .

١١ ـ أيي

قال المتنبي :

وهِجانٍ على هِجانٍ تأيَّيـ　　ـكَ عديدَ الخبوبِ في الأقوازِ

من قصيدة يمدح فيها ابا بكر عليَّ بنَ صالح الرُوذباري الكاتب ومطلعها :

كفرِنْدي فِرِنْدُ سَيفي الجُراز   لَـذَّةُ العين عُدَّةٌ للبرازِ

اللغة والشرح :

رواه ابن جني تَأَتَّتْكَ ، وقال : تَأَتَّتْكَ قَصَدتك وأنشد الأعشى :

اذا ما تَأَتَّى يُريدُ القيام   تَهادَى كما قد رأيت البَهيرا

قال ابن فورَّجة : تَأَتَّى تَفَعَّل من الاِتيان والأَتْي وهو يتضمّن معنى القصد اِلا أنّه مقصور على قولهم :

تأتَّيْتُ لهذا الأمر اذا أحسنتُ الصنع فيه وهو من التلطف في الفعل ، يقال : فلان لا يَتَأَتَّى لهذا الأمر اي لا يطوع لفعله ، فإمّا مُعَدًّى الى مفعول بمعنى صريح القصد فلا أراه سُمِعَ ، والذي في بيت الأعشى ليس بمتعد ، والذي في شعر أبي الطيب رُوِيَ عنه على كل لسان « تأيّيك » وهذه لفظة تُستعمل للقصد الصريح ومنه قوله :

الحِصنُ أَدْنَى لو تَأَيَّيتَه   من حَثيك التُرْبَ على الراكبِ

قال ابن دريد : تَأيّاه بالسلام تَعَمَّده به ، قال لبيد :

فتَأَيَّا[1] بطرير مُرهَفٍ   جُفْرَةَ الجَنْبَيْن منه فشَعَلْ

فاذا لم تُعَدِّ فقلتَ تأيَّيت فمعناه تَحَبَّسْت ، يقال : تَأَيَّا فلان بالمكان تَئِيَّةً اذا أقام ، ولي في هذا الأمر تَئِيَّه أي نظر .

ومعنى البيت : رب رجال خالِصي النسب على نُوقٍ كريمة قصدْوك في كثرَة عدد حبوب الرمل ، يعني من جيشه وأوليائه ، والقَوْز من الرمل : المستدير شبه الرابية .

تعليق :

كأن ابن فورَّجَة أراد ان يقول ان ابن جني قد صحَّف « تأيّا » فقرأها « تأتّى » ولم يكن خلاف كبير في المعنى بين الكلمتين .

---

(١) في اللسان (فتآيا) بالمدّ .

غير أني استبعد ان يكون ابن جني قد صحّف الكلمة وقد علمنا أنه كان كثير الاتصال بالشاعر ، وكان يتوجه إليه بالسؤال عن أشياء اشكلت عليه ، وهو يشير الى هذا في كتابه « الفسر » . ولقد بلغ من صلته به ان المتنبي كان يقول لسائليه ان يذهبوا الى ابي الفتح ابن جني ليعلموا ما خفي عليهم من وجوه شعره ، حتى لكأن ابا الفتح ابن جني قد قرأ الديوان على الشاعر نفسه .

ومن يدري لعل ابن فورّجة كان على حق في هذا وقد يحصل شيء من هذا مع شدة العناية واحكام الصنعة وتحرى العلم .

حرف البـاء

١٢ - بجح

قال المتنبي :

أنت الذي بَجَحَ الزمانُ بذكره ⁂ وتزيَّنت بحديثه الأسمار

من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة وقد سأله المسير معه مطلعها :

سِرْ حَلَّ حيث تحلّه النوّار ⁂ وأراد فيك مرادَكَ المِقدارُ

الشرح :

أي يُسرّ الزمان اذا ما ذُكرتَ في جملة أهله وأبنائه وتحسن الأسمار بحديثك .

التعليق واللغة :

قصدت ان اسجل هذا البيت لاشتماله على الفعل « بَجَحَ » وهو واضح يدل على معناه بيسر ، ولكني أردت ان أوجّه النظر الى هذا الفعل الثلاثي الذي لم نَره مستعملاً كثيراً مع وضوحه ويسر الوصول الى حقيقته . غير ان هذا الفعل قد بقيت منه بقية في لغة عصرنا هذا وهو البناء المزيد على « تفعّل » فيقال : فلان يتبجّح علينا بما أحرز من نتائج ، ويريدون افتخر وزُهِي مع شيء من صلف وادّعاء .

ومن الغريب ان الفعل الثلاثي قد زال استعماله في عربيتنا المعاصرة زوالاً تاماً .

أقول : هذا شيء جديد في معنى هذا الفعل ولم يعرف في أساليب أهل العصور المتلاحقة .

جاء في كتب اللغة :

البَجَح (بفتحتين) الفرَح ، والفعل بَجَحَ بكسر الجيم وفتحها وابتجَح : فَرِحَ ،

قال الشاعر :

ثم استمرَّ بها شَيحان مُبْتَجِحٌ بالبَيْنِ عنك بما يَرآك شَنْآنا

قال الجوهريّ :

بَجح بالشيء (بكسر الجيم وفتحها) فرح ، والفتح لغة ضعيفة فيه .

وتَبَجَّحَ كابتَجَحَ ، ورجل بَجّاح . وأبْجَحه الأمر وبجَّحه : أفرحه .

وفي حديث ام زرع : وبَجَّحَني فبَجِحْتُ أي فَرَّحني ففرِحتُ ، وقيل عَظَّمَني فعَظُمتْ نفسي عندي .

وتبجَّح به : فَخَرَ . وفلان يتبجَّح علينا اذا كان يَهذي به اعجاباً .

وعن اللحياني : فلان يتبجَّح ويَتَمجج أي يفتخر ويُباهي بشيء ما .

أقول : ان الفعل المزيد المستعمل في عصرنا « تَبَجحَّ » ما زال محتفظا بمعنى الافتخار والمباهاة ولكن شيئاً جديداً قد أضيف إليه وهو ان مع « التباهي » زهواً وصلفاً وما يقرب من الادعاء الكاذب . وهذه الخصوصيات المعنوية تكتسب مما تسحبه عليها العصور من ظلال المعنى فيتأتّى منها شيء جديد . وهذا كثير في العربية المعاصرة ، ألا ترى ان الفعل « استهتر » قد تحول بلطف فاختص اختصاصاً أبعده عن معناه الاول ، وربما غيّر بناءه الى المعلوم بعد ان كان ملازماً لصيغة المجهول ؟

١٣ ـ بخنق

قال المتنبي :

يُقتَل العاجزُ الجبانُ وقد يعجَزُ عن قطع بُخْنُقِ المولودِ

من قصيدة قالها في صباه ومطلعها :

كم قتيلٍ كما قُتِلتُ شهيدِ   ببياضِ الطُلا ووَردِ الخُدودِ

اللغة والشرح :

البخنق خرقة تقنّع بها المرأة رأسها •

يقول : العاجز الجبان قد يُقتَل يعني ان العجز والجبن ليسا من أسباب البقاء ، فلا تعجز ولا تجبن حباً للبقاء • انتهى قول الواحدي •

تعليق :

الليث : البخنق برقع يغشَى العنق والصدر ، والبرنس الصغير يسمى بُخْنُقاً ، قال ذو الرمة :

« عليه من الظلماء جُلٌ وبُخْنُقُ »

البُخنق : البرقع الصغير • والبخنق : خرقة تلبسها المرأة فتغطي رأسها ما قَبَلَ منه وما دَبَرَ غير وسط رأسها •

أقول : والكلمة ما زالت حية في الاستعمال الدارج دون الفصيح بمعنى الستر والغطاء • وقد اتسعت العامية حتى تولد الفعل من هذا الاسم فقالوا « يتبخنَق » اي يستر شيئاً من وجهه •

١٤ ـ بدل

قال المتنبي :

ذا السراجُ المنير هذا النقيُ   الجيب هذا بقية الأبدال

من قصيدة يمدح فيها عبدالرحمن بن المبارك الانطاكي ومطلعها :

صلة الهجر لي وهجر الوصال   نكّساني في السقم نكسَ الهلال

اللغة والشرح :

الأبدال واحدها بِدْل وبَدَل وبديل مثل شريف وأشراف هم العُبّاد الزُهّاد سُمّوا أبدالاً لانهم أبدال من الأنبياء عليهم السلام في إجابة دعواتهم ونصيحتهم للخلق ، وقيل : لأنه اذا مات أحدهم أبدل الله مكانه آخر •

يقول : جعله سراجاً منيراً لان برأيه يُهتدى في مشكلات الخطوب وظلمات الأمور أو بعلمه يُهتَدى الى ما أشكَلَ من مسائل الدين الطاهر من العيب .

تعليق :

أريد ان أعقد صلة بين البَدَل والبَطَل ، فقد عرفنا « البَدَل » وانصرافه الى الخيار الاشراف من الناس الذين هم ابدال من الأنبياء لزهدهم وخيرهم وشرفهم . والبَطَل هو الشجاع .

الذي أراه : ان « البطل » من « البَدَل » وان التحول من الدال في « بَدَل » الى « الطاء » في « بطَل » أدى الى احداث معنى الشجاعة وهي ايضاً من صفات الاخيار اهل الصلاح وكرم الاخلاق .

ان الذي حملني على هذا الرأي هو اني وجدت معنى الشجاعة في « بطل » غير منسجمة مع معاني مادة « بطل » بوجه عام ، فهي تدل في جملتها على الباطل والبطلان والخسران والكذب . اريد ان أقول : ان معنى « الشجاعة » في « البطل والبطولة » بعيدة عن معاني المادة الأخرى وهي كثيرة وكلها تجري في باب واحد كالبطلان والبطالة والباطل والأباطيل ونحو ذلك .

١٥ — بربر

قال المتنبي :

ألقَى فريسته وبَرْبَرَ دُونَها وقَرُبتَ قُرباً خالَه تطفيلا

من قصيدة يذكر فيها منازلة الأسد ومطلعها :

في الخدِّ ان عَزَمَ الخليط رحيلا مطرٌ تزيدُ به الخدودُ مُحولا

اللغة والشرح :

الفريسة صيد الأسد وهو ما يفترسه يريد البقرة التي هاجه عنها ، والبربرة الصياح .

يقول : لما قصدته ألقى الفريسة وصاح دونها يعني دفعاً عنها لأنه ظن انك تتطفل على صيده لتأكل منه ، قال الليث : التطفيل من كلام أهل العراق ، ويقال : هو يتطفل في الأعراس •

تعليق :

اريد ان أقف على « البربرة » هذه التي وردت في البيت •

جاء في كتب اللغة : ان البربرة كثرة الكلام والجلبة باللسان ، وقيل : الصياح • ورجل بَربار اذا كان كذلك ، وقد بربر اذا هَذَى •

الفراء : البربري الكثير الكلام بلا منفعة • وقد بَرْبَرَ في كلامه بربرةً اذا أكثر •

والبَرْبَرة : الصوت وكلام من غضب ، وقد بَرْبَرَ مثل ثَرْثر فهو ثرثار •

وفي حديث علي ــ رضى الله عنه ــ لما طلب اليه أهل الطائف ان يكتب لهم الأمان على تحليل الزنا والخمر، فامتنع ، قاموا ولهم تغذمر وبَرْبرة •

والبربرة التخليط في الكلام مع غضب ونفور ، ومنه حديث أحد : فأخذ اللواء غلام أسود فنصبه وبَرْبَرَ •

أقول : ومن الطريف ان الكلمة ما زالت حية في استعمالنا الدارج في العراق في حين ان الكلمة لا ترد في معجم المعربين باللسان الفصيح •

ومن المفيد ان أشير الى قول الليث : ان التطفيل من كلام أهل العراق • غير أني لم أجد ما نقله الشارح عن الليث في كتب اللغة ، ولعله ذكره في استدراكه على العين وما زاد في نسخته •

١٦ ـ بزز

قال المتنبي :

اذاً لبزّكِ ثوبَ الحسن أصغرُه وصرتِ مثليَ في ثوبين من سَقَم

من قصيدة قالها في صباه مطلعها :

ضيفٌ ألمَّ برأسي غير محتشمِ   والسيف احسنُ فعلا منه باللممِ

اللغة والشرح :

قال الزجاج : تأويل « اذاً » ان كان الأمر كما جرى أو كما ذكرت ، يقول القائل : زيد يصير اليك فتقول : اذاً أكرمه •

تأويله : ان كان الأمر على ما تصف وقع اكرامه •

وتأويله ههنا انه ذكر انها لم تجنَّ الألم كأنه قال : لو أجننتِ من الالم ما أجننته اذاً لبزّكِ أي لسلبكِ ثوب الحسن أقلُّ جزء من أجزاء الألم ، أي أذهبَ حسنكِ وظهرَ عليكِ من أثره ما يُذهب نضارةَ حسنكِ ويكسوكِ ثوب السقم ، وانما ذكر لفظ التثنية لأن العادة في اللباس ثوبان ازار ورداء للعرب ويسمونها الحُلّة ، وللعجم قميص وسراويل ، فكأنه قال : وكساكِ حُلّةَ السقم كما كساني •

تعليق :

البزُّ : السلب ، ومنه قولهم : من عَزَّ بزَّ ، معناه من غَلَبَ سَلَبَ ، والاسم البِزّيزَى كالخِصيِّصَى وهو السلب • وابتززت الشيء : استلبته •

وبَزَّه غلبه وغصبه • وبزَّ الشيء يبُزّ بزّاً : انتزعه ، وبزَّه ثيابه انتزعها وسلبه أياها ومثله ابتزَّ ثيابه اي استلبها •

ومن الطريف ان استعمال « بزَّ » في العربية المعاصرة بمعنى « غلب » وليس فيها معنى الانتزاع والاستلاب والسلب • ولعل شيئاً من هذا حاصل في الفعل المزيد « ابتزّ » فالابتزاز في لغة العصر الاستلاب والنهب والغصب والأخذ بوسائل عدة بعضها القوة •

اما « البَزّ » فلا يدل الا على الغلبة •

ان هذا الانصراف الى شيء من المعنى القديم دون آخر لهو لون من التطور الذي يميل الى الاختصار أو الاختصاص احياناً •

١٧ ـ بسأ

قال المتنبي :

يهابــه أبســأ الرجــال بــه وتتقي حــدّ سيفــه البُهَمُ

من قصيدة يمدح فيها علي بن ابراهيم التنوخي ومطلعها :

أحــقّ عافٍ بدمعــك الهِممُ أحدث شيءٍ عهداً بها القِــدَمُ

اللغة والشرح :

أبسأُ الرجال آنسهم به وآلفهم له ، يقال : بَسَأت بالشيء وبسِئتُ به اذا اذهبت هيبته من قلبك •

يقول : كيف لا يُحسَد من كان من الهيبة بحيث يهابه أنيسه ، ومن الشجاعة بحيث تتقيه الابطال •

تعليق :

أقول : ان المتنبي يميل احياناً الى تخيّر الالفاظ النادرة التي لا يعرفها خاصة القراء والتي لا تجدها الا في المتخيّر من الأدب القديم •

قال زهير :

بَسَأْتَ بَنيِّها وجَدِيتَ عنها وعنــدك لــو أردتَ لها دواءُ

قولهم : بسأ به يبسَأُ بَسأً وبُسوءاً وبَسِيء بَسَأً : أنِسَ بــه وكذلك بَهَأتُ •

وفي حديث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال بعد وقعة بدر :

لو كان ابو طالب حيّاً لرأى سيوفنا وقد بَسِئت بالمياثل • بَسِئت وبَسَأت (بفتح العين وكسرها) : اعتادت واستأنست • والمياثل : الاماثل على القلب •

١٨ ـ بشك

قال المتنبي :

ومــا أرضىَ لمُقْلتِــه بحلْمٍ اذا انتَبَهت تَوَهَّمَه ابتشاكا

من قصيدة يودّع فيها عضد الدولة ومطلعها :

فِدىً لكَ من يُقصِّر عن مداكا فلا ملِكٌ إلاّ فداكا

الشرح :

يقول : وان حدّثه النوم فلست أرضى له بحُلْم يتوهَّمُه كذباً عند الانتباه .

اللغة والتعليق :

البشك في الأصل سوء العمل . والبشك الخياطة الرديئة .

ابن الاعرابي : يقال للخياط اذا أساء خياطة الثوب بَشَكَه وشَمْرَخَه، قال : والبشك : الخلط كل شيء رديء وجيد .

وبشك الكلام يبشُكه بَشكاً وأبشكه : تخرّصه كاذباً . وقيل البشك والابتشاك : الكذب أو خلط الكلام بالكذب .

قال أبو عبيدة : ابتشك فلان الكلام ابتشاكاً اذا كذب .

واستعمال المتنبي للكلمة ابتشاكا يشير الى الثراء اللغوي الذي حفل به شعره مما حفز أهل اللغة على درسه والنظر فيه وبيان صوابه وما انفرد به مما حمل عليه أنه ابتعاد عن سنن العربية وتوليد جديد حُمِلَ على السقط والوهم والخطأ . ومن هنا كان الكثير مما ظنوه « مساوىء » و « سقطات » شئاً من هذا الأبتعاد الذي يَسَّر للشاعر ان يولد بلطف مادة جديدة لا أرى انها سقط ومجانبة للصواب .

١٩ ــ بطح

قال المتنبي :

يخطُو القتيلُ الى القتيل أمامَه رَبُّ الجوادِ وخَلْفَه المبطوحُ

من قصيدة يمدح فيها مساور بن محمد الرومي ومطلعها :

جَلَلاً كمــا بي فليَكُ التبريح أغذاءُ ذا الرَشَأ الأغنِّ الشيحُ

الشرح :

يقول : قد امتلأت المعركة من القتلى ، فالفارس على الفرس الجواد يخطو من قتيل الى قتيل ويخلّف وراءه فارساً مبطوحاً اي مطروحاً على وجهه ، ويجوز ان يكون رب الجواد الممدوح .

اللغة والتعليق :

البطح : البسط ، وبَطَحَه على وجهه بطحاً : القاه على وجهه فانبطح . وتبطَّحَ فلان اذا اسبَطَرَّ على وجهه ممتدّاً على وجه الأرض .

اقول : ان هذه الكلمة التي وردت في شعر المتنبي من العربية التي زالت أو كادت تزول من استعمال المعربين في عصرنا في حين انها من المألوف المعروف في اللسان الدارج . مثل هذا الكلم الفصيح الذي زال من العربية الفصيحة المعاصرة واستقر في العامية الدارجة شيء كثير يؤلف جملة صالحة من الالفاظ ، وقد أحصيت منه قدراً ضمته رسالة لطيفة .

٢٠ ـ بعد

قال المتنبي :

ابعَدْ بعِدتَ بياضاً لا بياضَ له ... لأنتَ أسودُ في عيني من الظُلَمِ

من قصيدة قالها في صباه ومطلعها :

ضيف ألَمَّ برأسي غير مُحتشِمِ ... والسيف أحسنُ فِعلاً منه باللمَمِ

اللغة والشرح :

يقال : بَعِدَ يَبعَدُ بَعَداً اذا ذلّ وهلك ، وعَنَى بالبياض الاول بياض الشيب وبالثاني الخصال الحميدة .

يقول : يا بياضاً ليس له بياض يريد معنى قول أبي تمام :

له منظر في العين ابيض ناصع ... ولكنّه في القلب أسود اسفَعُ

وقد قال ابو الطيب في بياض الثلج ما يشبه هذا وهو قوله :

فكأنّها ببياضها سوداء

يقول : بياض الشيب ليس ببياض فيه نور وسرور وهو أشدّ سواداً من الظلم لما يورّي به من قطع الأجل وقطع الأمل •

وجميع من فسَّرَ هذا الشعر قالوا في قوله :

لأنت أسود في عيني من الظُلَم

ان هذا من الشاذ الذي أجازه الكوفيون من نحو قوله :

« أبيض من أخت بني أباض »

وسمعت العروضي يقول : أسود ها هنا واحد السود ، والظُلَم : الليالي الثلاث في أواخر الشهر الذي يقال لها « ثلاث ظلم » يقول : لبياض أنت عندي واحدة من تلك الليالي الظُلَم •

على ان ابا الفتح قد قال ما يقارب هذا فقال : وقد يمكن ان يكون « لأنت اسود في عيني » كلاماً تاماً ثم ابتدأ بصفة فقال « من الظلم » كما تقول : هو كريم من أحرار ، وهذا يقارب ما ذكره العروضي غير أنه لم يجعل الظلم الليالي •

تعليق :

لقد حَفَل شعر أبي الطيب المتنبي بمسائل تتصل بمسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ، وكأنه التزم بنهج الكوفيين لكوفيته في النشأة والمربى وطلب العلم •

وأريد ان أعلق على مادة « بعد » وإفادتها الدعاء •

أقول : انهم استعملوا مصدر الفعل المضموم العين « بعُد » للدعاء فقالوا : بُعداً له على اضمار الفعل غير المستعمل اظهاره ، أي أبعده الله •

كما ان الفعل المكسور العين (بعِدَ) ومصدره بفتحتين بَعَداً يفيد الهلاك والاغتراب ، ومن هنا دخل في أسلوب الدعاء قال تعالى :

ألا بُعْداً لمدين كما بعِدَت ثمود •

وقال مالك بن الريب المازني :

يقولون لا تبعَدْ وهم يدفنونني وأين مكان البعد إلا مكانيا

وهو من البُعْد • وقرأ الكسائي والناس : كما بَعِدت ، وكان ابو عبدالرحمن السُلَمي يقرؤها بَعُدت ، يجعل الهلاك والبعد سواء وهما قريبان من السواء ، الا ان العرب بعضهم يقول : بعُدَ (بضم العين) وبعضهم يقول : بَعِدَ (بكسر العين) مثل سَحُق وسَحِقَ ، ومن الناس من يقول : بعُد (بالضم) للمكان وبَعِدَ بالكسر في الهلاك •

أقول : وهذا الاسلوب الدعائي قد زال في لغتنا المعاصرة ، ولم يبق من مادة هذا الفعل الا الفعل المضموم العين « بَعُدَ » لافادة البعد في المكان والزمان •

٢١ — بقي

قال المتنبي :

فتُعطي مَن بَقَى مالاً جسيما وتُعطي من مَضَى شَرَفاً عظيما

من مقطوعة في اربعة أبيات اولها قوله :

رأيتُك توسِعُ الشعراء نيلاً حديثَهُمُ المولَّدَ والقديما

وهذه الابيات أجاب فيها سيف الدولة الذي كان ينشد متمثلاً بقول النابغة :

ولا عيب فيهم غير أنَّ سيوفهم بهنَّ فُلولٌ من قِراع الكتائب

تُخُيِّرْنَ من أزمان يوم حليمةٍ الى اليوم قد جُرِّبْنَ كل التجارب

اللغة والشرح :

لغة طيّء بَقَى وفَنَى في بَقِيَ وفَنِيَ ومنه قول زيد الخيل الطائي :

لعمرُكَ ما أخشى التصعلُكَ ما بَقَى

على الأرضِ قيسيٌّ يسوق الأباعِرا

يقول : تعطي الباقين عطاءً جزيلاً والماضينَ شرفاً عظيماً بأن تنشد شعرهم فيكون ذلك شرفاً لهم •

تعليق :

ومن لغة طيّء ان الفعل الماضي الناقص الذي آخره ياء مكسور ما قبلها يجعل الياء ألفاً نحو بقَى وفَنَى ورَضَى ونحو ذلك • ويبدو ان الشعراء التزموا بهذه اللغة كلما اضطرهم وزن الشعر الى ذلك وان لم يكونوا من طيّء •

حرف التاء

٢٢ - تبع

قال المتنبي :

ولو تَبَّعت ما طرحَتْ قناه تكفَّكِ عن رَذايانا وعاقا

من قصيدة يمدح فيها الدولة وقد أمر له بفرسٍ دهماء وجارية ومطلعها :

أيدري الربع أيَّ دمٍ أراقا وأيَّ قلوبِ هذا الركبِ شاقا

اللغة والشرح :

الرِذايا : المهازيل من الابل واحدها رَذيّة . وتَبَّعَ بمعنى اتبع .

يقول للوحش :

لو تتبّعت ما طَرَحَت رماحه من القتلى لكفّكِ ذلك عن مطايانا ولكان لكِ فيه كفاية عن التعرّض لنا .

تعليق :

لقد فسر الشارح البيت فقال : « تبَّع » مثل « سلَّم » بتشديد اللام بمعنى « اتَّبع » . وان الفعل « اتَّبع » وزان « افتعل » هو المعروف في الاستعمال المشهور وهو الذي تثبته معجمات العربية ، أما « تبَّع » بتشديد الباء فليس له وجود في صيغ هذا الفعل المزيدة في كتب اللغة ، ويبدو أنه مستعمل في العربية السائرة في عصر الشاعر التي تقابل العربية الدارجة في عصرنا .

ومما يدل على هذا الذي ذهبت إليه ان الفعل بهذه الصيغة معروف في العربية الدارجة في حواضر العراق دون القرى والبوادي •

٢٣ ـ تنبال

قال المتنبي :

وقد أطال ثنائي طولُ لابسِه   ان الثناءَ على التِنْبال تِنْبالُ

من قصيدة يمدح فيها أبا شجاع فاتكاً ومطلعها :

لا خيلَ عندك تُهديها ولا مالُ

فليُسْعِدِ النطقُ انْ لم يُسعِدِ الحالُ

اللغة والشرح :

التِنبال : القصير وجمعه تنابل وتنابلة •

يقول : مدح الشريف يشرّف الشعر ومدح اللئيم يؤدّي الى لؤم الشعر •

والمعنى : ان شعري شَرُفَ بشرف هذا الممدوح •

تعليق :

أقول : ان التنبال (بكسر التاء) يعني القصير في فصيح العربية • وهذه الكلمة مما بقيت في لغتنا العامية وبناؤها « تَنْبَل » بفتح التاء والباء وهي تعني الرجل الخامل الكسلان القاعد الذي لا يتحرك •

٢٤ ـ ترب

قال المتنبي :

أنا تِربُ النَدى وربُّ القوافي   وسِمام العِدَى وغَيظ الحسودِ

من قصيدة قالها في صباه مطلعها :

كم قتيلٍ كما قُتِلتُ شهيدِ   ببياض الطُلى ووَرْدِ الخدود

الشرح :

يقول : أنا أخو الجود وُلِدنا معاً وأنا صاحب القوافي ومُنشئها لأني لم أسبق الى مثلها ، وأنا قاتل أعدائي كما يقتل السمّ ، وانا سبب غيظ الحُسّاد لانّهم يتمنّون مكاني فلا يُدركونه فيغتاظون •

اللغة والتعليق :

التِرب : اللدة والسن ، يقال : هذه تِربُ هذه اي لدتها • وقيل : تِرب الرجل الذي وُلِدَ معه ، وأكثر ما يكون في المؤنث • ومن ذلك قوله تعالى : « عُرُباً اتراباً » فسّرها ثعلب فقال : الاتراب هنا الامثال ، وهو حسن اذ ليست هناك ولادة •

اما استعمال المتنبي فجاء على المجاز وهو استعمالٌ موفق •

٢٥ ـ تفل

قال المتنبي :

لولا الجهالة ما دَلَفتُ الى ... قومٍ غَرِقتُ وانما تَفَلوا

من قصيدةٍ يمدح فيها أبا شجاع عضد الدولة فناخسرو وقد ورد عليه الخبر بانهزام وهوذان الكردي ومطلعها :

اِثلِثْ فإنّا ايّها الطَلَلُ ... نبكي وترزم تحتنا الاِبِلُ

الشرح :

يقول : لولا جهلك لما غزوت قوماً تنهزم عنهم بأدنى حرب منهم فضرب لهذا مثلاً بالغرق والتفل •

والمعنى انهم لكثرتهم لو بزَقوا عليك لغرقوك ، ويقال دلف إليه اذا دنا •

اللغة والتعليق :

تَفَلَ يتفُل تفلاً : بصق ، قال الشاعر :

« متى يَحسُ منه مائحُ القوم يَتْفُلِ »

ومنه تَفَلَ الراقي . والتَفْل والتُفال : البُصاق والزَبَد ونحوهما . والتَفْل بالفم لا يكون الا ومعه شيء من الريق ، فاذا كان نفخاً بلا ريق فهو النفث .

الجوهري : التَفْل شبيه بالبَزق وهو أقل منه ، اوله البزق ثم التفل ثم النفث ثم النفخ .

وفي الحديث : فتَفَلَ فيه .

أقول : وقد استبعدت « تفل » من الفصيحة المعاصرة واستقرت في العامية الدارجة وقد استعملوا منها كلمة « تفال » مثل « بصاق » .

حرف الثاء

٢٦ - ثأي

قال المتنبي :

ولاقى دون ثأيهِم طعاناً يُلاقي عنده الذئبَ الغُرابُ

من قصيدة يذكر فيها وقعة سيف الدولة ببني كلاب في جُمادى الآخرة سنة ٣٤٣ ومطلعها :

بغيرك راعياً عَبَثَ الذئابُ وغَيرَك صارماً ثَلَمَ الضِرابُ

اللغة والشرح :

الثأي جمع ثأية وهي الحجارة حول البيوت يأوي اليها الراعي ليلاً وفيها مرابض الغنم ومبارك الابل أي لم يكن يصل الى هذا الموضع منهم وكان يلاقي قبل الوصول إليه طعاناً يكثر به القتلى حتى يجتمع عليهم الذئب والغراب .

أقول : وما زالت « الثاية » معروفة في لغة الاعراب في عصرنا .

حرف الجيم

٢٧ – جبب

قال المتنبي :

أو حاربَتْه فما تَنجو بتَقدمةٍ ممّا أراد ولا تَنجو بتَجبيب

من قصيدة يمدح فيها كافوراً الاخشيدي في شوال سنة ٣٤٦، ومطلعها :

من الجآذر في زيّ الأعاريب حُمْرُ الحِلَى والمطايا والجلابيبِ

الشرح :

وان أتوه محاربين لم ينجوا من ارادته فيهم بالاقدام ولا بالهرب ولا بالشجاعة ولا بالجبن والتقدمة مثل التقديم ، يريد أن قدّموا خيلهم واستعملوا الشجاعة •

اللغة والتعليق :

التجبيب : النفار • وجَبَّبَ الرجل تجبيباً اذا فرّ وعَرّد • قال الحطيئة :

ونحن ، اذا جَبَّبْتُمُ عن نسائِكُمُ
كما جَبَّبَتْ من عند اولادها الحُمْرُ

وفي حديث مُوَرِّق : المتمسّك بطاعة الله ، اذا جَبَّبَ الناسُ عنها ، كالكارّ بعد الفارّ ، أي اذا ترك الناس الطاعاتِ ورغِبوا عنها • يقال : جَبَّبَ الرجلُ اذا مضى مسرعاً فارّاً من الشيء •

أقول : والتجبيب من المواد الفصيحة القديمة التي تؤلف مادة من معجم المتنبي الذي يشتمل على نظائرها من فصيح العربية التي تضرب اصولها في البيئة القديمة ، وهي من غير شك من المواد البدوية .

٢٨ – جبر

قال المتنبي :

يحُفُّ أغرُّ لا قَوَدٌ عليه ولا دِيةٌ تُساق ولا اعتذارُ

تُريقُ سيوفُه مُهَجَ الأعادي وكل دمٍ أراقتْه جُبارُ

من قصيدة يصف فيها ايقاع سيف الدولة ببني عقيل وقشير وبلعجلان وكلاب ومطلعها :

طِوال قَنَاً تطاعِنُها قِصارُ وقَطْرُكَ في ندىً ووغىً بحارُ

الشرح :

هذا الجيش يحيط بأغرّ يعني سيف الدولة اذا قتل عدوّه لم يكن عليه قَوَد ولا دية ولم يعتذر من فعله لأنه ملك قاهر فلا يُراجَع فيما فَعَل أو لأنه يقتل الكفار ولا يلزمه شيء مما ذكر في قتلهم .

هذا شرح البيت الاول وتفسير البيت الثاني مثله .

اللغة والتعليق :

يقال : حرب جُبار لا قَوَد فيها ولا دية . والجبار من الدم : الهَدَر . وفي الحديث : المعدن جُبار والبئر جُبار ، والعجماء جُبار ، قال :

حَتَمَ الدهر علينا أنه ظَلَف ما زال منا ، وجُبار

وقال تأبَّط شراً .

به من نَجاءِ الصَّيف بيضٌ أقرَّها جُبارٌ لصُمِّ الصخر فيها قَراقرُ

جبار يعني سيلاً . كل ما اهلك وأفسدَ : جبار .

جُبار أي هدر وكذلك البئر العادِيّة يسقط فيها انسان فيهلك فدَمُه هدر ،
ومعنى الحديث المتقدم : المعدن اذا انهار على حافره فقتَله فدمه
وكذلك البهيمة العجماء فتصيب في انفلاتها انساناً أو شيئاً فجرحها هدر •

أقول : ان حضور مادة « جبار » في معجم المتنبي يظهر ان الشاعر على علم واسع بالمادة العربية العريقة التي تغرس اصولها في البيئة البدوية • ومن أجل ذلك كان المتنبي بين شعراء الشام ، لدى النقاد الذين نسبوه هذه النسبة ، يحتل مكاناً فريداً ، فليس هو في شعره مشبهاً لشعراء هذه البيئة الحضرية ذلك أنه ثقف في بيئته الاصيلة قدراً ضخماً من مواد البداوة يفصح عن كوفية عريقة •

٢٩ – جَبَر

قال المتنبي :

ولا يرمَح الأذيالَ من جَبَرِيةٍ ولا يَخدُمُ الدنيا وإيّاه تخدُمُ

من قصيدة يمدح فيها عمر بن سليمان الشرابي وهو يومئذٍ يتولى الفداء بين الروم والعرب ومطلعها :

نَرَى عِظَماً بالبينِ والصدُّ أعظمُ ونَتّهِمُ الواشينَ والدمعُ منهُمُ

اللغة والشرح :

الجَبَرية : الكبر •

يقول : لا يختال في مشيته فيرمح ذيل ثوبه ، يقال للمختال : إنه ليرمح الأذيال اذا طال ذيله ولم يرفعه وضربه برجله ومنه قول القُحَيف العُقيليّ :

يقولُ ليَ المَغنَى وهُنَّ عَشيَّةً
بمكّةَ يَرْمَحْنَ المهذَّبةَ السُحْلا

تعليق :

الجَبَريَّة (بفتحتين) والجِبِريَّة (بكسرتين) الكِبْر • ومثله

الجَبْرِيّة (بسكون الباء) والجَبُّوَّة ، والجَبَروّة ، والجُبُروت (بضمتين) ، والجَبَروت (بفتحتين) والجُبُّورة ، (بفتح الجيم مع تشديد الباء) ، والجِبْرِياءُ ، والتَّجبار (بفتح التاء) كله بمعنى الكبر . وأنشد الأحمر لمُغلّس بن لقيط الأسديّ يعاتب رجلاً كان والياً على أوضاخ :

فانّكَ إنْ عادَيْتني غَضِب الحَصَى
علَيْك ، وذو الجَبُّورةِ المتغطرِفُ

وأنت تبصر قِدَم ما يسمى بـ « المصدر الصناعي » واستخدامه للاعراب عن المعاني العامة ثم انتقاله الى المصطلحات الفنية le Terme Technique

فالجَبْرية من مذاهب أهل الرأي ضد القدرية الذين يقولون بالقدر .

ثم انك لتعجب من ثراء العربية في الابنية الكثيرة التي تشتق من الأصل الواحد حين تنظر الى جملة هذه الالفاظ التي تؤدي معنى الكبر .

ومن المفيد ان نشير الى ان مادة « جبر » تفيد القوة والتمكن ، فالجبار في العربية الله القاهر لخلقه على ما اراد من أمر ونهي ، وهذه الصفة فيه تشير الى أنه لا ينال . وقد تكون في صفة البشر ، وفي التنزيل العزيز : « واذا بطشتم بطشتم جبّارين » ، وقوله : « وما أنت عليهم بجَبّار » أي بمسلّط فتقهرهم على الاسلام ، والخطاب الى النبي الكريم . وقد تتجاوز هذه الصفة هذه المواطن العظيمة فيقال : « نخلة جبّارة » اي طويلة عظيمة ضخمة لا تنال ، وقد تكون فتيّة قد بلغت غاية الطول وحملت ، ذكره ابن سيده .

وتعرب كلمة « جَبْر » عن معاني القوة والقهر والجبروت والعظمة . وهذا شيء كان في الأصل السامي القديم . وقد بقيت من هذه المعاني مادة واسعة في العربية فقد قال ابن سيده : الجبر « الملك » . ولقد ورد في شعر ابن أحمر ابيات شواهد في هذا المعنى منها :

اسلَمْ براووقٍ حُبيتَ به ... وانعمْ صباحاً ايها الجَبْرُ

وأراد ابن جني ان يؤول على طريقته في التأويل فقال : سُمِّي بذلك لأنه يجبر بجوده . وهذا من التزيد والافتعال ، ولم يعلم ابن جني أصول هذه الكلمة السامية التي تعني في العبرانية السيد الكبير والزعيم وهو يؤدي معنى « مَلِك » فقالوا « گبْير » גביר وتعني السيد والأمير وما يشبه هذا ، ومثله « گِبِر » גבר وتعني الرجل ، والانسان والبطل والشجاع .

ومثل هذا في الآرامية السريانية فهم يقولون « گبرا » ويريدون به « الرجل » على الحقيقة ، وعلى المجاز أي كل ما هو متصف بصفات الرجولة والشجاعة والقدرة ونحو هذا . وبسبب من ذلك كان من أعلامهم : جبر ، وجبران ، و « جبرا » ، وهذا الأخيرة مختوم بالفتح الطويل وهو ما تختم به الكلمات الآرامية السريانية[1] .

قلت : لقد لمح اللغويون العرب دلالة « جبر » على معاني القدرة والسيادة والزعامة وهي معانٍ ورثتها الكلمة من الأصل السامي . وعلى هذا لم يكن غريباً ان يرد « جبر » بمعنى الملك في شعر ابن احمر .

وأكبر الظن أنهم لمحوا هذا في « جَبْرَئيل »[2] وهو علم على الملك المعروف وقد ورد ذكره في القرآن وفي سائر الكتب الأخرى . ان دلالة هذا العلم على مَلَك من الملائكة وهو « جَبَر » مختوماً بـ « ايل » وهذه الكلمة تدل على « الاله » .

ودلالة « ايل » في اللغات السامية ومنها العربية معروفة ، وربما بقي منها في العربية « إلّ » بتضعيف اللام ، وكان من ذلك مواد كثيرة تدل على « الاله » وما يتصل بالاله من صفات القدسية .

---

(١) ودلالة الفتح الطويل في أواخر الكلمات السريانية دليل رمزي يشير الى التعريف الذي امحى أثره .

(٢) قالوا في جبرئيل لغات عدة هي : جبرائيل (بالمد) وجبرئل وجبريل وجِبرين (بكسر الجيم) وجَبرين (بفتح الجيم) وقد وردت بالنون في بيت للمتنبي :

لعظمت حتى لو تكون امانةً ما كان مؤتمَناً بها جِبْرينُ

ألا ترى ان « إلّ » في العربية الربّ والحلف والقسم وأشياء أخرى لا تبعد عن هذا •

ومن احتفال العربية بـ « جبر » أنهم استخدموه في العلمية فكان من أعلام الذكور ومن هؤلاء الذين سُمّوا « جبراً » •

جبر بن حبيب بن عطية كان عالماً باللغة أخذ عنه علماء البصرة[1] •

وجبر بن عتيك بن قيس بن هيشة ، شهد بدراً[2] •

وكان من ملوك كندة من كني بـ « ابي الجبر »[3] وهذه الكنية ذات دلالة على معنى « الملوكية » في هذا اللفظ •

وقد أطلقوا « جابراً » على كثير من أعلامهم وفيهم المشاهير •

وشاع في العصور الاسلامية « عبدالجبار » ولا سيما منذ اوائل القرن الثالث الهجري •

ولابد لي من كلمة أخيرة أشير فيها الى معنى القوة في « جبر » بحيث صار ضد الكسر فقالوا : جبر العظم فانجبر • والجبيرة : العيدان التي تجبر بها العظام •

وقد تجاوزت الكلمة معنى الجبر المادي للعظام ونحوه الى المعنويات فقيل : جَبَرَ الله مصيبته •

وفي حديث الدعاء : واجبُرني واهدني • وجاء في رجز العجاج :

قد جَبَرَ الدينَ الالهُ فجَبَرْ

٣٠ ـ جحش

قال المتنبي :

تشارِكُ في النِدامِ اذا نزَلنا ... بطانٌ لا تشـارك في الجِحاشِ

---

(١) ابن دريد ، الاشتقاق ص ٢٥٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٣٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٠٦ .

من قصيدة يمدح فيها ابا العشائر الحسين بن علي بن حمدان ومطلعها :

مَبيتي من دمشقَ على فِراشِ حَشاه لي بحَرِّ حشايَ حاشي

اللغة والشرح :

النِدام : المنادمة ، والبطان جمع بطين وهو الكبير البطن الرغيب ، والجحاش المجاحشة وهي المدافعة في القتال •

يقول : يُشاركُنا في شُرب الخمر اذا نزَلنا عن الخيل رجالٌ يُكثرون الاكلَ ولا يشاركون في القتال •

تعليق :

قالوا : الجحاش والمجاحشة : المزاولة في الأمر ، وجاحَشَ القومَ جِحاشاً : دافع •

الليث : الجحاش مدافعة الانسان الشيء عن نفسه وعن غيره •

وقال غيره : هو الجحاش والجحاس ، وقد جاحَشَه وجاحسه مجاحَشةً ومجاحَسة : دافَعه وقاتله •

وفي حديث شهادة الاعضاء يوم القيامة : بعداً لكُنَّ وسُحْقاً ! فعَنكُنَّ كنت أُجاحِشُ أي أُحامي وأُدافِع •

أقول : ان قافية الشين التي بنى عليها المتنبي قصيدته أدَّت به الى ان يُفرغ قدراً من مادته الثرَّة في هذا الباب • ومن غير شك ان « الشين » لم يكن من القوافي النادرة النافرة ، ولكن وَلوع المتنبي بهذه الأوابد يؤدي به الى ان يأتي لنا بـ « الجحاش » و « الانتشاش » و « الاحتراش » و « المُشاش » •

ومن المفيد ان أشير الى الابدال بين السين والشين وهو كثير في العربية، وقد صُنِّفت في هذا الباب مصنفات احتوت على الالفاظ التي عرض لها هذا اللون من الابدال •

والذي نعرفه ان كثيراً من كلم العربية الذي يشتمل على السين جاء بالشين في لغات سامية أخرى كالعبرانية والآرامية ، وما اشتمل على الشين جاء في هذه اللغات بالسين ٠

٣١ ـ جدد

قال المتنبي :

أجدَّكَ ما ينفكُّ عانٍ تفُكُّهُ   عُمَ بنَ سليمانٍ ومالٌ تقسِّمُ

من قصيدة يمدح فيها عمر بن سليمان الشرابي وهو يومئذٍ يتولى الفداء بين الروم والعرب ومطلعها :

نَرَى عِظَماً بالبين والصدُّ أعظمُ   وتتَّهمُ الواشينَ والدمعُ منهمُ

اللغة والشرح :

نصب أجدك على المصدر كأنه قال أتجدُّ جِدَّكَ ومعناه أبِجدٍّ هذا منك ، هذا اصله ثم صار افتتاحاً للكلام وعُمَ ترخيم عُمرَ وهو لحن لأن الاسم الثلاثي لا يجوز ترخيمه لانه على أقل الأصول عدداً فترخيمه إجحاف به وانما يجوزه الكوفيون ، ويُروى ما تنفك بالتاء على الخطاب ومالاً نصباً ٠

والمعنى : انك ما تفتأ تفكُّ الاسير وتُقسِّم الاموال بين الطالبين لجودك وبرك والخطاب الى عمر بن سليمان وهو الممدوح ٠

اللغة والتعليق :

أجِدَّكَ وأَجَدَّكَ معناهما مالك أجداً منكَ ، ونصبهما على المصدر ٠

قال الجوهري : معناهما واحد ولا يتكلم به الا مضافاً ٠

الأصمعي : أجِدَّكَ معناه ابجِدٍّ هذا منك ونصبهما بطرح الباء ٠

الليث : بكسر الجيم ، فانه يستحلفه بجِدِّه وحقيقته ، واذا فتح الجيم ، استحلفه بجَدِّه وهو بخته ٠

قال ثعلب : ما أتاك في الشعر من قولك : اجدَّك فهو بالكسر ، فاذا أتاك بالواو فهو مفتوح ، وفي حديث قسّ :

أجِـدَّكما لا تقضيانِ كراكما •

أي أبجدٍّ منكما ، وهو نصب على المصدر •

قال سيبويه : أجدَّك مصدر ، كأنه قال : أجداً منك •

أقول : ان هذه الكلمة قد استعملت على هذا النحو كغيرها من مواد العربية التي التزمت طريقة خاصة فجمدت عليها • وقد تكون من المواد التي فقدت معناها • وإشارة ثعلب في قوله : « ما اتاك في الشعر من قولك اجدّك ••• » مفيدة ، ذلك ان في لغة الشعر قديمه وحديثه اساليب خاصة • ألا ترى ان النداء في « خليليّ » و « اخلاي » ونحو ذلك مما قل ان نجد في غير لغة الشعر في مواطن كثيرة يخترع فيها النداء اختراعاً • ومن غير شك ان النداء لم يقصد به حقيقة النداء فقد خرج الى معانٍ أخرى كما قالوا • وأنت لا تشعر بـ « معنى الجد » حين يطالعك قولهم : « اجدَّك » •

٣٢ ـ جدل •

قال المتنبي :

يقعي جلـوس البدويّ المصطلي بأربـعٍ مجدولـة لم تُجـدَل

من أرجوزةٍ يصف فيها كلباً أرسله ابو علي الأوارجي على ظبيٍ فصاده وحده ومطلعها :

ومنزِلٍ ليس لنـا بمنزِلِ ولا لغـير الغـاديات الهُطّلِ

اللغة والشرح :

الاِقعاء أن يجلس الكلب على أليته والبدويّ اذا اصطلى بالنار أقعى على استه ونصب ركبتيه لتصل الحرارة الى بطنه وصـدره ، والمجدولـة المفتولة • يريد بقوائم محكمة الخلق من جَدل الله لا من جدل الآدميين •

تعليق :

قالوا : الجدل شدة : الفتل ، وجدلت الحبل جَدْلا اذا شددت فتلـه وفتلته فتلاً محكماً ، ومنه قيل لزمام الناقة الجديل ، ومنه قول امرىء القيس :

وكشح لطيفٍ كالجديل مخصَّرٍ وساق كأنبوب السَقِيِّ المُذَلَّلِ

والجديل : حبل مفتول من أدم أو شعر يكون في عنق البعير أو الناقة •

وفي « التهذيب »[1] : مجدول الخَلْق لطيف القصب محكم الفتل • وغلام جادل مشتدّ • وساق مجدولة •

وجدلاء : حسنة الطي ، وساعد أجدل كذلك ، قال الجعدي :

فأخرَجَهم أجدَلُ الساعِدَيْنِ أصهَبُ كالأسد الأغلبِ

والاجدَل : الصقر ، صفة غالبة وأصله من الجَدْل الذي هو الشدّة •

وجَدالة الخَلْق : عَصْبه وطيّه ، ورجل مجدول وامرأة مجدولة •

والجدالة : الأرض لشدتها •

والجَدْل : الصَرْع • وجَدَله جَدْلاً وجَدَّله فانجدَل وتجدَّل صرعه على الجدالة وهو مجدول • وأكثر ما يقال جَدَّلتُه تجديلاً ، وقيل للصريع مُجَدَّل لأنه يُصرَع على الجدالة وهذا ما ورد في بيت المتنبي :

خذَلَتْه قوَّتُه وقد كافحتَه فاستنصَرَ التسليمَ والتجديلا

والتجديل في البيت يشير الى صرع الممدوح وهو بدر بن عمار للأسد من قصيدة مشهورة •

ثم نجد في هذه المادة « الجَدَل » بفتحتين وهو اللّدَد في الخصومة والقدرة عليها ، وقد جادله مجادلة وجدالاً • ورجل جَدِل ومجدَل ومجدال : شديد الجَدَل أقوى في الخصام ومن ثم الجَدَل : مقابلة الحجة بالحجة ، والمجادلة : المناظرة والمخاصمة •

أقول : ان معنى القوة التي وجدت في الأصل للحبل ، وللجديل المفتول من الأدم أو الشعر المتخذ زماماً للبعير أو الناقة ، هو الذي جرّ هذه المادة الى الجَدَل وهو اللدد في الخصومة ثم المجادلة ثم المناظرة فالمناقشة لما في كل هذا من قوة وشدة أوصلت اليهما شدة الفتل وقوته في الحبل وغير الحبل كشدة الساق وقوتها لما فيها من القوة وشدة الخلق •

---

(1) انظر التهذيب للازهري (جدل) •

وابتداء معنى « الجَدَل » بفتحتين بالخصومة واللدد يؤيد هذه المسيرة للكلمة •

٣٣ ـ جدو

قال المتنبي :

ولو يمّمْتَهم في الحشر تجدو لأعطوك الذي صلّوا وصاموا

من قصيدة يمدح فيها المغيث بن علي بن بشر العجليّ ومطلعها :

فؤادٌ ما تُسلّيهِ المُدامُ وعُمْرٌ مِثْلُ ما تَهَبُ اللئامُ

الشرح :

يقول : ولو قصدتهم في يوم الحشر تسألهم العطاء لأعطوك صلاتهم وصيامهم •

ويُعَلّق الشراح والنقاد على البيت بقولهم : ان المعنى مأخوذ وهو أن يجود الممدوح بصلاته وصومه فذكروا قول بكر بن النطّاح :

ولو لم يجز في العمر قَسْمٌ لمالك وجاز لـه الاِعطاء من حسناتِـهِ
لجادَ بهـا من غير شرك برَبّه وأشرَكَنا في صَومـه وصلاتِـهِ

وقال ابو العتاهية :

فمن لى بهذا البَيتِ أنّى أصَبْتُه فقاسَمْتُه مـا لي مـن الحسناتِ

أقول : هذا مثل من أمثال كثيرة جرى فيها النقاد الذين تعمّدوا الاِساءة الى المتنبي ففتشوا عن هذه وامثالها ليقولوا : انه سرق وأخذ ونحو هذا مما عدّ من مساوئه وسرقاته وسقطه وغير ذلك ، وقد ملئت من هذا مصنفات كثيرة أتينا على ذكرها في المقدمة •

اللغة والتعليق :

يقال : جَدَوته جَدْواً وأجدَيته واستجديته ، كله بمعنى : أتيته اسأله حاجة وطلبت جدواه • والجدوى والجَدا : العطية •

أقول : لم ترد هذه المادة في استعمالهم الا بمعنى العطية ، غير ان « الجدوى » تفرغت من معنى العطاء وانصرفت وانتهت الى معنى « الفائدة » فنحن نقول : هذا العمل لا جدوى فيه أي لا نفع ولا فائدة .

اننا لنجد في فصيح العربية فلان قليل الجَداء (بالفتح والمد) اي قليل الغناء والنفع .

أقول : ومن هنا تسرّب معنى النفع والافادة الى كلمة « جدوى » وانصرف إليه وكأن العطية قد استبعدت . ولكننا نجد في الحقبة الأخيرة ان كلمة « عطاء » انسلخت عن معنى العطية المادية ، وصار العطاء مؤدياً معنى النفع والغناء فيقال مثلاً ان أدب فلان كثير العطاء أو ان عطاء فلان وافر جزيل أي انجازه وما يقدمه من فوائد للهيئة الاجتماعية .

٣٤ ـ جِرِشّى

قال المتنبي :

مُبارَكُ الاسمِ أغَرُّ اللَّقَبْ كريمُ الجِرِشَّى شريفُ النَّسَبْ

من قصيدة اجاب بها سيف الدولة الذي كتب اليه يستدعيه ومطلعها :

فَهِمْتُ الكتابَ أبَرَّ الكُتُبْ فسَمْعاً لأمرِ أميرِ العَرَبْ

اللغة والشرح :

أي اسمه عليّ وهو اسم مبارك يُتَبَرَّكُ به لمكان عليَّ بن ابي طالب ـ رضي الله عنه ـ ، ولانه مشتق من العُلُوّ ، والعُلُوّ مبارك وهو مشهور اللقب لانه سيف الدولة . والجِرِشَّى : النفس .

تعليق :

الجِرِشَّى على مثال فِعِلَّى كالزِمِكَّى : النفس ، قال :

بَكَى جَزَعاً من أن يموتَ وأجهَشَتْ

إليه الجِرِشَّى ، وارمَعَنَّ حنينُها

أقول : ان استعمال الشاعر لكلمة « الجِرِشّى » يشير الى تحرّيه عن الغريب ولو كان نافراً . وبناء « فِعِلّى » هذا من الأبنية النادرة التي لا يوجد منها في العربية الا كلمات يسيرة كالزمِكّى أو الزمِجّى وهما أصل ذنب الطائر ، وقيل : هو منبته . والعِبِدّى من اسماء الجموع المعبد ومثلها العِبِدّاء بالمد .

ان الجِرِشّى وردت في العربية ولا صلة من اشتقاق أو قرابة لمادة « جرش » التي تعني جملة من المعاني منها الفعل ومنها الأسم مثل الجُراشة ما سقط من الشيء والجريش هو المجروش كالملح والدقيق ونحوه . وليس في هذا ما يدل على نوع من أية صلة بين هذه وتلك . ومن يدري فلعلها مما وضعه أهل العلم على هذه الصورة وبقي مفتقراً الى أي ضرب من ضروب الحياة لعدم قرابة أو صلة بأصل .

ومجيء هذه « الجِرِشّى » على هذا البناء النافر مما لمحه اهل علوم البلاغة فقالوا في فصاحة الكلمة الا تكون نافرةً وغريبة وارادوا بالغرابة والنفور صورتها وقلة ورودها .

٣٥ - جزر

قال المتنبي :

فقد تَرَكْتَ الأُولى لاقَيْتَهم جَزَراً
وقد قَتَلْتَ الأولى لم تَلْقَهم وَجَلا

من قصيدة قالها في صباه في الشامية يمدح سعيد بن عبدالله بن الحسين الكلابيّ ومطلعها :

أَحْيَى وأَيْسَرُ ما قاسَيْتُ ما قَتَلا
والبين جارَ على ضَعفي وما عَدَلا

اللغة والشرح :

الأولى بمعنى الذين ، والجَزَر ما أُلقِيَ للسباع ومنه قول عنترة :

« فتركتُه جَزَرَ السباعِ يَنُشْنَهُ »

ويقال : ما كانوا جَزَراً لسيوفنا أي الذين نقتلهم نلقيهم للسباع .

يقول : الذين قاتَلْتَهم ألقيتهم للسباع والذين لم تقاتِلْهم قتلتهم بالخوف منك .

تعليق :

الجَزَر في اللغة كل شيء مباح للذبح والواحدة جَزَرة بفتحتين وهي شاة ذكراً كان او أنثى لان الشاة ليست الا للذبح خاصة ، ولا تقع الجَزَرة على الناقة والجمل لأنها لسائر العمل . وفي الحديث : أنه بعث بعثاً فمرّوا بأعرابي له غنم فقالوا : أجْزِرْنا أي اعطنا شاة تصلح للذبح .

ويقال : صار القومُ جَزَراً لعدوّهم اذا اقتتلوا . وجزر السباع : اللحم الذي تأكله ، يقال : تركوهم جَزَراً بالتحريك ، اذا قتلوهم . قال :

إن يفعلا ، فلقد تركتُ أباهُما
جَزَرَ السباع ، وكل نَسْرٍ قَشْعَمِ

أقول : ان المتنبي يتخير ألفاظه ولغته من مادة عربية ذات أصول قديمة تجدها في نماذج الأدب القديم كالشعر الجاهلي وغيره . وهي مما تكشف عن مواد البيئة البدوية الجاهلية .

ان مادة « جَزَر » بفتحتين تفيد الشاة التي تُذبح . ومعنى ذلك انها الحيوان المذبوح .

ان بناء « فَعَل » من الثلاثي يدل على ما يدل عليه بناء « مفعول » مثل السَلَب بمعنى المسلوب ، والحَلَب بمعنى المحلوب والقَنَص بمعنى المقنوص والطلب بمعنى المطلوب والجَلَب بمعنى المجلوب . والاستقراء يؤيد هذا الذي اذهب إليه .

ومن غير شك ان « جَزَر » بفتحتين من هذا البناء القديم فهو يدل على « المجزور » .

٣٦ ـ جسد

قال المتنبي :

وعلى التُرابِ من الدِماءِ مَجاسِدٌ
وعلى السماء من العجاج مُسُوحُ

من قصيدة يمدح فيها مُساوِر بن محمد الرومي ومطلعها :

جَلَلاً كما بي فَلْيَكُ التبريحُ
أغِذاءُ ذا الرَشَأ الأغَنِّ الشِيحُ

اللغة والشرح :

المجاسِد جمع المُجْسَد وهو المصبوغ بالجساد وهو الزعفران .

يقول : لكثرة ما يسفك من الدم صبغ الأرض بلونه حتى كأنّ عليها مجاسد واسودّت السماء بالغبار فكان عليها مُسوحاً .

تعليق :

أقول : إنهم قالوا ان المجاسِد جمع « مُجْسَد » بضم الميم وفتح السين كما أن المجاسِد جمع « مِجْسَد » بكسر الميم وفتح السين وهو الثوب الذي يلي جَسَد المرأة فتعرق فيه . وكأنّ ابن الاعرابي قَصَرَ المجاسد جمعاً على « مِجْسَد » بكسر الميم .

اما الفرّاء فقد قال : المِجسد بالكسر والمجسد بالضم واحد ، وأصله الضم فكسروا الميم ، كما قالوا للمُطرَف بضم الميم « مِطرف » بالكسر ، والمصحف بالضم مِصحف بالكسر .

أقول : وعلى هذا يجوز أن يقال : مُعجَم معاجِم وقد كثر الكلام على هذا الجمع لهذه الكلمة في مجامع اللغة العربية فأجازوا معجمات ومعاجم وفي اللغة سعة تؤيد هذا .

ومن المفيد ان أشير الى ان شيئاً من بناء « مُفعَل » بضم الميم بزنة اسم المفعول من غير الثلاثي قد يجمع على مفاعيل مثل مسند ومسانيد ومُرسَل ومراسيل ، وقد يكون مناكير جمعاً لـ « مُنكَر » لا « منكور » .

٣٧ - جفخ

قال المتنبي :

جَفَخَتْ وهـم لا يجفَخُونَ بهابهـم
شِيَمٌ على الحسَبِ الأغَـرِّ دلائـلُ

من قصيدة يمدح فيها القاضي أبا الفضل أحمـد بن عبدالله بن الحسن الانطاكي ومطلعها :

لكِ يا منـازلُ في القلـوب منـازِلُ
أقفَرْتِ أنتِ وهُـنَّ منـكِ أواهِلُ

اللغة والشرح :

الجَفْخ الكِبْر والفخر •

يقول : جَفَخَت بهم شِيم وفَخَرتْ وهم لا يفتخرون بها ، ثم ذكر ان شِيَمَهم دلائل حَسَبهم الظاهر ، والحَسَب ما يُعَدّ من مآثر الآباء •

تعليق :

يذكر الدارسون في البلاغة العربية ان علماء البلاغة اتخذوا من بيت المتنبي المذكور شاهداً على ان كلمة « جفخت » لا تحقق فصاحة مقبولـة للكلمة بسبب من غرابتها ونفورها وانها غير مأنوسة • كأنهم قالوا لم يقل فخرت أو شيئاً آخر مما يدل على هذا المعنى • ثم انهم عابوا تعقيد التركيب في البيت •

أقول : ان المتنبي كان يقصد ان يشتمل شعره على هذه الاوابد وهو يعلم ان اهل الفن من نقاد عصـره لا يؤيدون نظره ذاك • وكأنـه أراد ان يستوعب شعره كثيراً من مواد العربية التي لا يعرفها الا الخواص فلم يأبه بما قالوا وبما سيقول من سيخلفهم •

ومن أجل ذلك كان شعر المتنبي شواهد للجيد المستحسن من فصيح

العربية وبليغها ، على أنهم وجدوا فيه شواهد على ما يقدح في هذه الفصاحة والبلاغة .

٣٨ ــ جمل

قال المتنبي :

وَدَى ما جَنَى قبل المبيت بنفسه   ولم يَدِهِ بالجامِلِ العَكَنانِ

من قصيدة يذكر فيها خروج شبيب العُقيلي ومطلعها :

عَدُوُّك مَذمومٌ بكل لسانِ   ولو كان من اعدائك القَمَرانِ

اللغة والشرح :

الجامل اسم للجمال الكثيرة كالباقر اسم لجماعة البقر ، والعَكَنان الأبل الكثيرة أي أدّى دية من قتل من الناس بنفسه قبل أن دخل عليه الليل ، ولم يُؤدِّ الدِيَةَ بالابل ، يريد أنه هلك فصار كأنّه اقتُصَّ منه .

تعليق :

قالوا : الجامل اسم للجمع كالباقر والكالب والماعز والضائن ومثل هذا البقير والكليب والمعيز والضئين ولم يسمع الجميل .

وأرى ان ما يسمى بـ « اسم الجمع » قديم في العربيـة ولعلـه سبق الجموع التي شاعت فلزمت أبنية معروفة ثم حمل عليها بل قيس عليها . ان اسماء الجموع كثيرة وكثرتها توحي انها سمات للغات عدة وهو ما يسمى في عصرنا بـ « اللهجات » . وأنت تجد من هـذه المواد شيئـاً من غرائب العربية ، ولابد انك قرأت قوله تعالى « كأنه جِمالة صفر » بكسر الجيم ومثله بالفتح والضم . وقد قرىء « كأنه جمال صفر » .

ومن المفيد ان نشير الى ان كثيراً من أسماء الجموع هذه غير معروف في لغة المعربين في هذه الأيام .

ووصف « الجامل » في البيت بـ « العكنان » دلالة أخرى على امتلاك الشاعر للمواد التي تؤلف جملة ما يتصل بالبداوة من شخوص •

ثم ان « الجمالة » قد وردت مجموعة جمع تكسير على « جمائل » في قول المتنبي :

واذا الجمائلُ ما يَخِدنَ بنِفنِفٍ
إلاّ شَقَقْنَ عليه ثوباً أخضرا

وروى ابن جني « الحمائل » بالحاء جمع « حَمولة » وهي الابل يُحمَل عليها ، والنِفنِف : الارض الواسعة •

يقول : اذا سارت الركاب في أرض وهي مخضرة بالكلأ بدت عليها آثار سيرها فكأنها شقّت ثوباً أخضر ، والمعنى أنهم فارقونا أيام الربيع عند خضرة النبات •

٣٩ ـ جول

قال المتنبي :

تَلْقَى الوُجوهُ بها الوُجوهَ وبينها
ضَرْبٌ يجولُ الموتُ في أجوالِه

من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة ومطلعها :

لا الحِلْمُ جاءَ به ولا بمثالِهِ   لولا ادّكارُ وَداعِه وزيالِهِ

اللغة والشرح :

أجواله : نواحيه واحدها جُول وجال •

يقول : يتلاقى بتلك الساعة الفريقان وبينهما ضربٌ يدور في نواحي ذلك الضرب •

تعليق :

قالوا : الجُول والجال والجِيلُ ، الأخيرة عن كراع : ناحية البئر والقبر والبحر وجانبها • والجُول ، بالضم : جدار البئر ، قال أبو عبيد :

وهو كل ناحية من نواحي البئر الى اعلاها من أسفلها ، وأنشد :

رَماني بأمرٍ كنت منـــه ووالدي بَرِيّاً ومن جُول الطَوِيِّ رَماني

والجال : مثل الجُول ، قال الجعديّ :

رُدَّت مَعاوِلــهُ خُثْماً مُفَلَّلَةً وصادَفَت أخضرَ الجالَين صَلاّلا

والجمع أجوال وجُوّال وجُوالة •

أقول : وما زالت كلمة « جال » معروفة في العامية البغدادية وهي من بقايا الفصاح في اللسان الدارج ، غير انها في طريقها الى الزوال ، فالأجيال الناشئة لا تعرف هذه المواد •

٤٠ ــ جيش

قال المتنبي :

ورائعُها وحيــدٌ لــم يَرُعْهُ تَباعُدُ جَيْشِـهِ والمُستَجاشِ

من قصيدة يمدح أبا العشائر الحسين بن علي بن حمدان ومطلعها :

مَبيتي من دمشقَ على فِراشِ حَشاهُ لي بحَرِّ حشايَ حاشى

اللغة والشرح :

يعني بالرائع الممدوح الذي راعهم أي أفزعهم أي لم يُفزعه انفــراده من جيشه وبعده من سيف الدولة وهو المستجاش يعني المطلوب منه الجيش •

تعليق :

ان كلمة « جيش » مصدر استعمل استعمالات عدة فقــالوا : جاشت النفس تجيش جَيْشاً وجُيوشاً وجَيَشاناً : غثت أو دارت للغثيان •

ويقال : جاشت القدر تجيش جيشاً وجَيَشاناً : غَلَت وكذلك الصدر اذا لم يقدر صاحبه على حبس ما فيه •

وفي التهذيب : جاشت القِدر ، وكل شيء يغلي فهو يجيش حتى الهمّ والغُصّة في الصدر • وجاش البَحر جيشاً : هاج ولم يُستطَع رُكوبه •

والجيش الجند • وجيَّش فلان أي جمع الجيوش • واستجاشه أي طلب منه جيشاً •

أقول : ان المادة في أصلها حكاية لصوت يتأتىّ من غليان القدر ، فاذا تعلق الأمر بالنفس أو الصدر أو الهم فعلى التشبيه أي كأن لهذه المعاني المجردة صوتاً وهي مختزنة محبوسة وعلى هذا يتوفر هذا الاحساس بالصوت من تجمع الجند وحركتهم •

ومن المعلوم ان الاصوات الطبيعية ومنها الانسانية قد أمدت اللغة باوائل المواد ، ومن ثم تطورت في مسيرة هيّأت لها الانتقال الى أشياء أخرى •

حرف الحاء

٤١ ـ حبب

قال المتنبي :

حَبَبْتُكَ قلبي قبلَ حُبِّكَ من نَأَى

وقد كان غَـــدّاراً فكُن أنت وافيـــا

من قصيدة يمدح فيها كافوراً الاخشيدي ومطلعها :

كَفَى بكَ داءً أنْ تَرَى الموتَ شافيا

وحَسْبُ المنـــايا ان يَكُنَّ أمانيـــا

اللغة والشرح :

حَبَبْتُ لغة في أحببت شاذّ ولا يستعمل منه الا المحبوب .

يقول لقلبه : أحبَبْتك قبل ان أحبَبْتَ انت هذا الذي بَعُدَ عنا ، يُعرِّض بسيف الدولة ، وقد كان غـداراً فلا تغدِر بي أنتَ أي لا تكن مشتاقاً إليه ولا مُحِبّاً له أي فانك ان أحبَبْتَ الغدّار لم تَفِ لي .

تعليق :

قالوا : حَبَّ يَحِبّ فهو محبوب شاذ . قال الجوهري : وهذا شاذ لأنه لا يأتي في المضاعف يفعِل بالكسر الا ويَشْرَكه يفعُل بالضم اذا كان متعدّياً ، ما خلا هذا الحرف .

وحكى سيبويه : حَبَبْته وأحبَبْته بمعنى .

قال ابو زيد : أحَبَّه الله فهو محبوب ، قال : ومثله محزون ومجنون

ومزكوم ومكزوز ومقرور ، وذلك أنهم يقولون : قـد فُعِلَ بغير ألف في هذا كله •

أقول : ان استعمال المتنبي لهذا الفعل المشهور يدل على ان « حَبَّ » من اللغة القديمة ، وقد ساوى سيبويه بينها وبين « أحب » المشهورة •

ومن المفيد ان أشير ان هذه اللغة التي قالوا بشذوذها هي التي بقيت في العربية المحكية في كثير من بلاد العرب •

ولعل من الصواب ان تقول ان اللغة ما درج عليه المعربون فقد تندّ عن الأقيسة وتنأى عن التناظر وتذهب بعيـداً في طرائق خاصـة • واذا كانت « حبّ » فعلاً شاذاً وأحب هو الفصيح المشهور فلِمَ كان « محبوب » هو المشهور المستعمل و « المُحَب » هو القليل النادر الشـاذ الذي لجأ إليـه عنترة فقال :

ولقـد نزَلْتِ فلا تظني غيرَه ... مني بمنزلـة المُحَبِّ المُكرَمِ

ومن منطق السلوك اللغوي عدم خضوعه أحياناً للمشهور المقيس ، ولنا على ذلك شواهد كثيرة •

٤٢ ـ حبل

قال المتنبي :

ما أُبالي اذا اتقتْك الرَزايا ... من دَهَتْه خُبولُها والحُبولُ

من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة وقد بعث اليـه هدية الى العراق ومالاً دُفعة بعد دُفعة ومطلعها :

ما لَنا كلّنا جَـوٍ يا رَسولُ ... أنا أَهـوَى وقلبُكَ المَتبـولُ

اللغة والشرح :

الخُبول جمع خَبْل وهو الفساد ، والحُبول : الدواهي ، وهي جمع حَبْل •

يقول : اذا اخطأتك المنايا فلا أبالي من أصابته •

تعليق :

لم أجد في « الحبل » هذا المعنى الذي أراده الشاعر في هذه الكلمة !

٤٣ ـ حبض

قال المتنبي :

ومُتَّقٍ والسهامُ مرسلةٌ يَحيدُ عن حابضٍ الى صاردْ

من قصيدة يمدح فيها أبا شجاع عضد الدولة ويذكر هزيمة وهسوذان ومطلعها :

أزائرٌ يا خيالُ أمْ عائدْ أم عند مولاكَ أنني راقدْ

اللغة والشرح :

الحابض : السهم الذي يقع بين يَدَي الرامي لضعفه ، والصارد : النافذ في الرميّة •

يقول : رُبَّ مُتَّقٍ خائف على نفسه اذا رُمِيَت السهامُ يهرب من سهم لا ينفذ الى سهم ينفُذ فيه فيقتله •

تعليق :

قالوا : وحَبَضَ السهم يحبِض حَبْضاً وحبوضاً ، وحَبِضَ (بكسر الباء) حَبْضاً : وهو أن تنزع في القوس ثم تُرسله فيسقط بين يديك ولا يصوب ، وصوبه استقامته ، وقيل : الحبض أن يقع السهم بين يَدَي الرامي اذا رَمَى ، وهو خلاف الصارد ، قال رؤبة :

ولا الجَدَى من مُتْعَبٍ حَبّاضِ

وقال الفرزدق :

فما بُقْيا عليَّ تَرَكْتُماني ولكنْ خِفتُما صَرَدَ النِبالِ

أقول : ان شعر المتنبي يقدم لنا من مواد اللغة القديمة قدراً كبيراً قل أن نجده في شعر عصره • وهو من غير شك يؤلف مادة معجمية لما ندعوه الفاظ البداوة • ان قدراً من هذه اللغة القديمة قد زال من الاستعمال اللغوي منذ عصور عدة وذلك لانعدام الحاجة إليه • ولعلك غير واجد الحبض والصَرَد منذ عصورٍ عدة •

٤٤ ـ حري

قال المتنبي :

شِمْنا وما حُجِبَ السماءُ بُروقَهُ
وحَرًى يجُودُ وما مَرَتْهُ الريحُ

من قصيدة يمدح فيها مساور بن محمد الرومي ومطلعها :

جَلَلاً كما بي فَلْيَكُ التبريحُ
أغِذاءُ ذا الرَشَأَ الأَغَنِّ الشيحُ

اللغة والشرح :

شِمنا بروق الممدوح أي رَجَونا عطاءه ولم تُحجَب السماء لانّه ليس بغيم في الحقيقة وهو خليق بأن يجود وإن لم تمرِه الريح يفضّله على السحاب لان السحاب يستر حسن السماء ولا يدرّ الا اذا استدرّتْه الريح •

تعليق :

الحَرَى : الخليق كقولك بالحَرَى ان يكون ذلك ، وانه لَحَرًى بكذا وحَرٍ وحريٌ ، فمن قال حَرًى لم يُغيره عن لفظه فيما زاد على الواحد وسَوّى بين الجنسين ، أعني المذكر والمؤنث ، لأنه مصدر •

قال الشاعر :

وهُنَّ حَرًى ان لا يُثِبْنَكَ نَقْرَةً
وأنت حَرًى بالنار حين تُثيبُ

ومن قال : حَرٍ وحَرِيّ ثنّى وجَمَع فهما حَرِيان وحَرِيّان ، وهم حَرُونَ وحَرِيّون وأحرياء بذلك ، وهن حَرايا وحَرِيّات وأنتم أحراء .

وقولهم في الرجل اذا بلغ الخمسين حَرًى .

قال ثعلب : معناه هو حَرًى ان ينال الخيرَ كلَّه .

وفي الحديث : اذا كان الرجل يدعو في شبيبته ثم أصابه أمر بعدَ ما كَبِرَ فبالحَرَى أن يستجاب له .

ومن أحرِ به اشتُقّ التَحرّي في الاشياء ونحوها ، وهو طلب ما هو أحرى بالاستعمال في غالب الظن ، كما اشتُقّ التقمّن من القمِن . وفلان يتحرّى الأمر أي يتوخّاه ويقصِده . والتحرّي قصد الأولى والأحقّ مأخوذ من الحَرَى وهو الخليق ، والتَوخّي مثله .

وفي الحديث : تَحَرَّوا ليلة القَدْر في العَشْر الأواخر أي تعمّدوا طلبها فيها .

والتحرّي : القصد والاجتهادُ في الطلب والعزمُ على تخصيص الشيء بالفعل والقول ، ومنه الحديث لا تتحرّوا بالصلاة طلوع الشمس وغروبها .

أقول : ان قول الشاعر : « وحَرًى يجود » على تقدير « وحَرًى بأنْ يجود » وقد حذف « أنْ » مع الخافض .

ومن المفيد ان أشير الى ان في شعر المتنبي قدراً من هذه الظاهرة اللغوية وهي حذف « أن » قبل الفعل المضارع كقوله :

يا حادِيَيْ عِيسِها وأحسِبُني   أوجَدُ مَيْتاً قُبَيْلَ أفقدُها

أراد : قُبَيل أن أفقِدَها .

ومن ذلك قوله :

ونفوسٌ اذا انبَرَتْ لقتالٍ   نَفَدَت قبل يَنْفَدُ الاِقدامُ

اراد : قبل أنْ ينفدَ الاقدام .

وقوله :

وكِلْمَةٍ في طريقٍ خفت أُعرِبُها
فيهتدي لي فلم أقدِر على اللَّحَنِ

أراد : خفت أن أعربَها .

وقد ورد مثل هذا في كلامهم القديم وهو معروف فقالوا في المثل : تسمع بالمعيدى خير من ان تراه . وهو كثير .

ولابد من القول : ان « حَرًى » زالت في لغة أهل عصرنا واستبدلت بها « حريّ » بالتشديد ، وهذا يعنى ان « حرٍ » قد زالت ايضاً .

ثم ان « التحرّي » بدأ يكتسب معنى البحث والاستقصاء فقالوا مثلاً « مديرية التحريّات الفنية » وهي شعبة من شعب الادارة تتقصى وتبحث عن أمور تتصل بالناس وغيرهم . و « التحرّي » كثير في لغة الدواوين الرسمية في عصرنا .

٤٥ ـ حزُق

قال المتنبي :

فهُمْ حِزَقٌ على الخابور صَرْعَى
بهمْ من شُرب غيرهم خُمارُ

من قصيدة يصف فيها ايقاع سيف الدولة بني عُقيل وقُشَير وبَلعجلان وكلاب حين عاثوا في نواحي أعماله ومطلعها :

طِوال قَناً تطاعنها قصار
وقَطْرُكَ في نَدًى ووَغًى بحارُ

اللغة والشرح :

الحزق : الجماعات جمع حِزقة أي ظنّوا انهم المقصودون فهربُوا وتفرّقوا في الهرب وصاروا جماعات وكان الذنب لغيرهم وتعب الهرب لحقهم فذلك قوله بهم من شرب غيرهم خُمار .

تعليق :

الحِزْق والحزقة : الجماعة من الناس والطير وغيرها •

وفي الحديث في فضل البقـرة وآل عمـران : كأنهما حِزقان من طير صوافّ • والجمع حِزَق مثل فِرقة وفِرَق ، قال عنترة :

تأوي له حزق النعام كمـا أوت قُلُصٌ يمانية لا عجم طِمْطِمِ

ومثل الحزقة الحزيقة وهي الجماعة من كل شيء وقد وردت في قـول المتنبي :

هو البينُ حتى ما تَأَنَّى الحَزائقُ ويا قلبُ حتى أنتَ ممَّن أُفارقُ

وهو مطلع قصيدة يمدح فيها الحسين بن اسحاق التنوخي •

وجمع حزيقة حزائق • ومثل الحزيقة الحزيق وهو الجماعة ، قال لبيد :

كحزيق الحَبَشِينَ الزَجِلِ

يقول : هـو البين الذي فرّق كل شـيء حتى لا تتمهّل ولا تتأنّى الجماعات ان يتفرّقوا اذا جرى فيهم حكم البين ثم خاطب قلبه فقال : وأنت ايضاً على مالك من علائق القرب ممن أفارقه يعني ان الاحبة اذا فارقوني ذهب القلب معهم ففارقَني وفارقتُه •

أقول : ان مادة « حَزق » من المواد القديمة التي لها أصل سـامي قديم • وتعني الشد والضم والتضيق والعَصْب والجذب مثل حزق القوس والوتر والرباط •

وهذه المعاني موجودة في الفعـل في العبرانيـة وكذلك في الآراميـة السريانية ، فليس غريباً ان تدل في السريانية على « الزنار » مثلاً •

وليس غريباً أن تتجاوز هذه المعاني في العربية فتدل على الجماعة في « حِزقة » و « حزيقة » وحزيقة فقد ذكروا : وقيل للجماعة حزقة لانضمام بعضهم الى بعض ••

ومثل هذا في العربية مادة « حزك » في افادة المعاني المتقدمـة بحيث حملها اللغويون على « حزق » فأشاروا الى الابدال الصوتي •

٤٦ ـ حشي

قال المتنبي :

بالواخِـدات وحاديهـا وبـي قَمَرٌ
يَظَلّ من وَخْدها في الخِدرِ حَشْيانا

من قصيدةٍ يمدح فيها ابا سهل سعيد بن عبدالله بن الحسن الانطاكي الحمصي ومطلعها :

قد عَلّم البينُ منّا البينَ أحيانا
تَدْمَى وألّفَ في ذا القلبِ أحزانا

اللغة والشرح :

يقال : حَشِيَ الرجل يَحشَى حَشىً فهو حَشْيان اذا أخذه الرَبْو •

يقول : يفدي بالابل الواخدة والذي يَحدوها وبي قمر يظَلّ من وخْدِ الواخدات حَشْيانَ قد علاه البُهْر • ويُروى بالخاء أي انها تخشَى سرعة سير الابل لانّها لم تسافِر قطّ •

تعليق :

الحَشَى : الرَبْو والبُهْر والنهيج الذي يَعرض للمُسرع في مشيته والمحتَدّ في كلامه من ارتفاع النَفَس وتواتره • وقيل : أصله من إصابة الربو حَشاه •

ابن سيده : ورجل حَشٍ وحَشْيان من الرَبْو وقد حَشِي بالكسر •

أقول : وليس من شكٍ ان « الحشا » أصل هذا المعنى اي كما قالوا من اصابة الرَبو للحشا ، وما يؤدي إليه من ارتفاع النفس •

ولعل « الحشا » أدل على هذا العارض من الداء من كلمة « الربو » التي تفيد الارتفاع في الأصل • وكان أولى بالمعنيين بالمصطلح أن يفيدوا من هذه الكلمة ذات الدلالة التامة •

٤٧ ـ حوش

قال المتنبي :

فيا بحرَ البُحورِ ولا أُورّي ويا بدرَ البدور ولا أُحاشِي

من قصيدة يمدح فيها أبا العشائر الحسين بن علي بن حمدان ومطلعها :

مَبيتي من دمشق على فراشِ حَشاه لي بَحرٌ حشايَ حاشى

اللغة والشرح :

اكثر الرواية : « ويا ملك الملوك » ، والتورية : الاخفاء والستر .

يقول : لا أستر قولي ، بل أجهر به ولا أحاشي أي لا أدع أحداً ولا استثني انساناً كما قال النابغة :

وما أُحاشي من الأقوامِ من أَحَدِ

تعليق :

ان استعمال المتنبي للفعل « حاشى يُحاشي » قد ورد في شعر النابغة كما بيّنا .

وهذا الاستعمال يشعر الدارس بقدرة العربية على توليد الفعل وما يتبعه من أبنية من مواد كثيرة .

ومن غير شك ان هذا الفعل أخِذَ من قولهم « حاشَ لله » أي تنزيهاً له ، ولا يقال : حاش لك قياساً عليه .

٤٨ ـ حصن

قال المتنبي :

مَدَحتُ قوماً وان عشنا نظمت لهم
قصائداً من اناث الخيل والحصن

من قصيدة يمدح فيها محمد بن عبيدالله بن محمد بن الخطيب القاضي الخصيبي ومطلعها :

أفاضِلُ الناس اغراض لذا الزمن
يخلو من الهمِّ أخلاهُمْ من الفِطَنِ

اللغة والشرح :

مدح الشاعر قوماً بخلاء لا يستحقون المدح فيقول : انْ عشتُ غَزَوتُهم بخيل إناث وذكور ، والحُصُن جمع حصان وهو الفحل من الخيل وجعلها كالقصائد المؤلَّفة بدل القصائد التي ألَّفها في مدحهم •

تعليق :

أقول : ان « حُصُن » جمع حصان وهو الفحل من الخيل من الجموع التي لا ترد في استعمالهم ، ولولا ان الشاعر محتاج إليها لأمر القافية لعدل عنها الى غيرها فاستعمل « الخيل » وهو اسم جمع لجماعة الخيل ذكوراً وإناثاً •

وقد استعمل الشاعر « اناث الخيل » في البيت نفسه ليخصص الاناث باضافتها الى اسم الجمع العام • وكأنَّ لفظ « الحصان » يستعمل في حال الافراد فاذا أحتيج الى الجمع لم يرد في استعمالهم « حُصُن » الا ان تكون حاجة تدعو الى ذلك كما هي الحال في بيت المتنبي •

ولابد من التوسع في هذا اللفظ لنهتدي الى شيء من تاريخ هذه الكلمة •

قال ابن جني : قولهم فرس حصان بين التحصُّن هو مشتق من الحصانة ! كما قالوا في الانثى حِجْر ، وهو من حجر عليه أي منعه • وتحصَّن الفرس صار حصاناً •

أقول : ان قوله مشتق من « الحصانة » شيء على غير المألوف في الانتقال من المحسوس الى المُدرَك المجرَّد • والذي أراه ان العكس هو الصحيح فالحصانة من « الحِصان » أو « الحِصن » واحد الحصون • ومثل ذلك قوله في « حجر » فلا يمكن ان تكون « حِجر » وهي الانثى مأخوذة من الفعل حَجَرَ عليه أي منعه ، والعكس هو الصحيح •

قال الازهري : تحصّنَ اذا تكلف ذلك ، وخيل العرب حُصونها وهم
الى اليوم يسمونها حصوناً ذكورَها وإناثها .

ولابد ايضاً ان نعرض لشيء من كلمة « فَرَس » فهي واحد الخيل
والجمع أفراس . الذكر والانثى في ذلك سواء ، ولا يقال للانثى فيه
« فَرَسة » .

قال ابن سيده : وأصله التأنيث فلذلك قال سيبويه : وتقول ثلاثة
أفراس اذا أردتَ المذكر ، ألزموه التأنيث وصار في كلامهم للمؤنث أكثر
منه للمذكر حتى صار بمنزلة القدم ، قال :

وتصغيرها فُرَيْس نادر .

وحكى ابن جني « فَرَسة » .

وفي « الصحاح » : وان اردت تصغير الفرس الأنثى خاصة لم تقل الا
فُرَيسة ، بالهاء عن ابي بكر بن السراج .

أقول : وما زال « الحصان » مذكراً و « الفرس » مؤنثاً في الاستعمال
السائر وفي فصيح العربية في عصرنا الحاضر .

وتحسن الاشارة الى مسألة الجنس في العربية القديمة فالتذكير
والتأنيث قديم جداً وهو من المواد السامية القديمة . غير ان العربية القديمة
ترددت في التأنيث في كثير من المواد فكان قدر كبير من الكلمات يحسب
مذكراً تارة ومؤنثاً أخرى وقد يكون عند قوم مذكراً وعند آخرين أو حي
من احياء العرب ، مؤنثاً .

ثم ان طائفة مما اشتهر التأنيث فيها قد عَرِيتْ من أية علامة للتأنيث .
أليس لنا ان نقول ان العلامة ثبتت حين سلخت العربية من عمرها دهوراً
طويلة ؟

٤٩ ــ حلل

قال المتنبي :

ولا يُبرَمُ الامرُ الذي هو حالل
ولا يُحلَل الأمرُ الذي هو مُبرِمُ

من قصيدة يمدح فيها عمر بن سليمان الشرابي وهو يومئذٍ يتولّى الفداء بين الروم والفرس ومطلعها :

نَرَى عِظَماً بالبينِ والصدُّ أعظمُ
وتتّهمُ الواشينَ والدمعُ منهمُ

اللغة والشرح :

قالوا : أظهر الشاعر التضعيف من حالل للضرورة كقول الراجز :

يشكو الوَجَى من أظلَلٍ وأظلَلِ

والمعنى ظاهر .

تعليق :

اتخذ علماء البلاغة هذا البيت مثالاً لما يسمى بـ « مخالفة القياس » وهو فك الادغام في كلمة يجب فيها الادغام . ومخالفة القياس تقدح في فصاحة الكلمة .

أقول : وقد حمل الشراح والنقاد البيت المذكور على الضرورة ، والذي أراه ان الشاعر لم يكن مضطراً على ارتكاب هذه المسألة التي جعلوها من « الضرائر » . وكان في طوق الشاعر ان يتخلى عن هذه الضرورة فلا يفك الادغام ، ولكنني أرى أنه أراد ان يجري على ما يجري عليه طائفة من العرب . أريد ان أقول : لابد ان يكون في لهجات العرب القديمة شيء من ذلك فجرى عليه المتنبي . وقد تتخذ من العربية المعاصرة دليلاً على وجود هذه الظاهرة اللغوية في اللغة القديمة لشيوع هذه الظاهرة في كلام الناس في عصرنا .

٥٠ ـ حلل

قال المتنبي :

في مُقلَتَي رَشَأٍ تُديرُهُما بَدَوِيَّةٌ فُتِنَتْ بها الحِلَلُ

من قصيدة يمدح فيها أبا شجاع عضد الدولة فَنّا خُسرَو وقد ورد عليه الخبَر بانهزام وهسوذان الكردي ومطلعها :

إثْلِثْ فإنّا أيّها الطَلَلُ نَبْكي وتُرزِمُ تحتَنا الإبِلُ

اللغة والشرح :

يقول في هذا البيت وهو متصل بسابقه : ان الحسن يرحَل في مقلتين مُستعارتَين من رَشَأٍ تُديرهما امرأة بدوية صارت « الحِلَل » وهم القوم الذين حَلّوا معها مفتونين بها لحسنها •

تعليق :

اقول : ان الحِلّة تعني جماعة بيوت الناس لانّها تُحَلّ والجمع حِلَل وحِلال •

ومن الطبيعي ان تتجاوز الكلمة في معناها جماعة البيوت الى القوم المقيمين في البيوت في جهة ما • والى هذا ذهب المتنبي في البيت •

وهذا يفسّر لنا كما ذكر أهل البلدان معنى « الحِلة » وهي مدينة على الفرات الاوسط • وهي حلّة بني مَزْيَد •

٥١ ـ حلحل

قال المتنبي :

اذا العَرَبُ العَرْباء رازَتْ نفوسَها
فأنت فتاها والمليك الحُلاحِلُ •

من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة بعد دخول رسول الروم عليه ومطلعها :

دُروعٌ لمَلْكِ الرُوم هذي الرسائلُ
يَرُدُّ بها عن نفسه ويُشاغِلُ

اللغة والشرح :

العرب العَرْباء : العاربة القديمة المحض •

يقول : اذا اختبروا نفوسهم عند الجود والشجاعة كنت فتاهم وسيّدهم لانّك أجودهم وأشجعهم والمليك الملك ، والحُلاحِل : السيّد •

تعليق :

قالوا : الحُلاحِل (بضم الحاء الاولى وكسر الحاء الثانية) السيد في عشيرته الشجاع الركين في مجلسه ، وقيل : هو الضخم المروءة ، وقيل : هو الرزين مع ثخانة ، ولا يقال ذلك للنساء ، وليس له فعل •

وحكى ابن جني : رجلٌ مُحَلْحَل ومُلَحْلَح في ذلك المعنى ، قال امرؤ القيس :

يا لهفَ نَفسي إنْ خَطِئنَ كاهلا
القاتلينَ الملكَ الحُلاحِلا

والحُلاحِل ايضاً التامّ ، يقال : حَولٌ حُلاحِل ، قال بُجَيْر بن لأْي بن حُجْر :

تُبِين رُسُوماً بالرْوَيْتِج قد عَفَتْ
لعَنْزَةَ قد عَرَّينَ حَوْلاً حُلاحِلا

أقول : ان حُلاحِل جاء على « فُعالِل » وعلى هذا البناء قدر كبير من الكلم فيه الاسم وفيه ما يقوم مقام النعوت .

وأود أن أقول : لقد بدا لي بعد الاستقراء الوافي لهذه الصيغة وما ورد عليها من كلم ان ليس بين هذه الجمهرة من الالفاظ كلم مأنوس له قيمة في الاستعمال . لعل كلمة « الحُلاحِل » تكاد تكون احدى فئة قليلة مما جاء مأنوساً من هذه الكلمات .

ومن المهم ان أشير الى ان جُلّ هذه الطائفة مواد تتصل بصفات خلقية للانسان والحيوان وسنعرض لهذا .

ثم ان هذه الطائفة من الكلمات التي جاءت على بناء « فُعالِل » وردت هي نفسها على « فَعْلَل » او « فُعْلُل » أو « فُعْلَل » أو « فُعَلِل » أو « فِعْلِل » .

واليك من الأمثلة ما يحقق هذه الملاحظات .

قالوا : رجل حَبْجَر أي عظيم البطن وكذلك حُباجِر وقد يكون الغليظ حُباجِر .

وفَرَس جَحْرَب وجُحارِب وهو العظيم الخَلْق .

ورجُل جَحْنَب وجُحانِب وهو القصير الغليظ .

وخَبْجَر وخُباجِر وهو المسترخي العظيم البطن .

وخَلْبَج وخُلابِج وهو المضطرب الخلق الطويل .

وجَنْبَخ وجُنابِخ العظيم من كل شيء ، والعظيم الخلق الطويل .

والجَلَنْبَز والجَلابِز الصلب الشديد •
والهَلَنْبَج والهَلابِج الثقيل الوخم •
ورجل كُنابِد صلب شديد • ورجل كُنابذ (بالذال) غليظ الوجه جهم •
وغَضَنْبَر وغُضابر الشديد الغليظ •
ولَبَن عَلَبِط وعُلابِط اذا خثر •
ورجل قَنبُل وقُنابِل الغليظ الشديد • ورجل كُنبُل وكُنابِل وهو الصلب الشديد •
وكَمَنْتَر وكُماتِر الصلب الشديد • وكَمَنْتَل وكُماتل الصلب الشديد •
والكُنْدُث والكُنادِث الصلب • والدَلَمَث والدُلامِث السريع •
وبَعير دَلَهْث ودُلاهِث وهو الجريء في سيره •
وكَنْثَر وكُناثِر المجتمع الخلق • وامرأة حِفَضِج وحُفاضِج عظيمة البطن •
وحِضَجِم وحُضاجِم الجافي الغليظ اللحم ، قال الراجز :

ليس بمبطانٍ ولا حُضاجِم

وجَلَنْفَز وجُلافِز الصلب الشديد • وكُنْدُر وكُنادِر الحمار الصلب الشديد •
والجِلِنْبِز والجُلابِز الصلب الشديد •

ومثل هذا كثير في كتب العربية ، غير اننا نقف حائرين ازاء هذا القدر من الكلم المهجور المبني على هذه الصورة المشتمل على أصوات لا تبدو مألوفة في اجتماع بعضها الى بعض •

ثم ما هذا « الصلب الشديد » حتى تكون له هذه الجمهرة من الالفاظ ؟ وما قدر الصلابة والشدة والغلظ في هذه الالفاظ ؟ ثم لم كان جل هذه الالفاظ ينصرف الى صفات تتصل بخلق الانسان وخلق الحيوان ؟

ثم لِم وجدت هذه الالفاظ يتيمة لا تمت الى كلام من كلامهم فليس من شاهد على ذلك ، وهو ان وجد فرجز غريب لا يوحي بشيءٍ من ثقة ؟

هل لي ان أقول ان شيئاً من ذلك مصنوع موضوع ؟

ولابد من عودة الى « حُلاحِل » لأشير الى أنها عرفت في فصيح العربية وورودها في بيت للمتنبي دليل على استمرارها في الحياة الى عصر الشاعر المتأخر بالنسبة الى هذه اللغة العريقة •

كلمة أخيرة •

لم يبق في العربية الفصيحة منذ قرون عدة شيء من الكلم الفصيح الذي روّضه استعمال المعربين قد جاء على بناء « فُعالل » • وأريد ان أقول ان هذه الصيغة أو هذا البناء لهو من الابنية النادرة التي لا تعرفها عربية القرون التي تلت عصر الاستشهاد مثلاً • ومعنى هذا ان هذا البناء وغيره من الابنية الغريبة مادة تاريخية قديمة قد فقدت الحياة منذ عهد بعيد •

٥٢ ـ حين

قال المتنبي :

وحائنٍ لعِبَتْ سُمْرُ الرماحِ بــه
والعيشُ هاجِــرُهُ والنَسْــرُ زائِــرُهُ

من قصيدة قالها في صباه ومطلعها :

حاشَــا الرقيبَ فخانَتْــهُ ضَمائِرُهُ
وغيَّضَ الدمـــعَ فانهَلَّتْ بوادِرُهُ

اللغة والشرح :

يقول : وكم من حائن أي هالِك لَعِبَت رماحك به أي قَتَلَته فهَجَرَه عيشَه وفارَقَه ، وزارَه النَسْرُ ليأكل لحمه ، ومعنى لَعِبُ الرماح بــه تمكنُها منه وقدرتُها عليه •

تعليق :

أريد أن أقف على « حائن » فأشير الى أنها من حانَ يحِــين حَيناً اي هلك هلاكاً •

قالوا : حان الرجلُ : هلك ، وأحانه الله .

وفي المثل : اتتك بحائن رجلاه . وكل شيء لم يوفَّق للصواب فقد حان .

ويقال : حيَّنه الله فتحيَّن عن الازهريّ ، ومنه أيضاً قول المتنبي :

من ليس مِن قَتْلاهُ من طُلَقائِهِ   مَن ليس ممن دان ممَّن حيَّنا

يقول : من أفلتَ من سيفه فلم يقتله فهو ممن أطلقه وعفا عنه ، ومن لم يُطِعْه وليس من اهل طاعته فهو ممَّن يُهلكه ويقتُله ، وذكر لفظ الماضي لتحقق وجود الهلاك ، ومن رَوَى بضم الحاء فالمعنى فهو ممَّن هَلَكَ .

من قصيدة يمدح فيها بدر بن عمّار وكان سار الى الساحل ثم عاد الى طبريّة ومطلعها :

الحبُّ ما مَنَعَ الكلامَ الألسُنا   وألذُّ شكوى عاشق ما أعلَنا

والحائنة : النازلة ذات الحَيْن ، والجمع الحوائن ، قال النابغة :

بِتَبْلٍ غَيرِ مُطَّلَبٍ لدَيْها   ولكنَّ الحوائِنَ قد تَحينُ

ولابدَّ لي ان أقف على قول النابغة « ولكنَّ الحوائِنَ قد تَحينُ » أي ان النوازل يَحين أجلُها أي « حِينها » بكسر الحاء والحِين (بالكسر) الوقت والدهر ، وقيل : وقت من الدهر يصلح لجميع الازمان كلها ، طالت أو قصرت ، والحين : المدّة ، ومنه قوله تعالى : هل أتى على الانسان حين من الدهر .

وكأن معنى الهلاك في « الحَين » المفتوحة الحاء من مادة الوقت أي حان حِينُه أي زمنه . ومنه من غير شك « حيَّن » في البيت الآخر أي أهلك وقد عُدّيَ بالتضعيف .

ومن المفيد ان أشير الى أن العلاقة بين الوقت والهلاك آتية مما ورد في التنزيل في مواضع كثيرة من أن حياة الانسان رهينة بوقت معلوم وأجل موقوت وهذا مفهوم من الآيات الكثيرة ومن ذلك قوله تعالى : « فاذا جاء أجَلُهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » .

وقصة « الأجَل » هي قصة « الحين » من حيث كون اصلها الوقت فارتبطت بغاية الوقت في الموت • وأنت تدرك الأصل في معنى « الأَجَل » وهو الوقت في آيات كثيرة ، قال تعالى : « ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله » أي تقضي عِدّتَها •

ولارتباط « الأجل » بغايته وهو الموت دلّ على القيامة كما في قوله تعالى : « ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاماً وأجلٌ مُسَمًّى » اي لكان القتلُ الذي نالهم لازماً لهم أبداً وكان العذاب دائماً بهم ، ويعني بالأجل المسمّى القيامة لان الله تعالى وعدهم بالعذاب ليوم القيامة ، وذلك قوله تعالى : « بل الساعة موعدهم » •

وقالوا « الآجلة » للحياة الآخرة ضد العاجلة للدنيا •

وكما ارتبط « الأجل » وهو الوقت ومدّة الشي بغاية الوقت في الموت أرتبط « الحَيْن » وهو الهلاك والموت بـ « الحِين » بالكسر وهو الوقت •

وقد فرّقَتْ العربية بالكسر والفتح في كلمة « حين » للوصول الى معنى الحين الاول وهو بالكسر ومعنى الهلاك وهو بفتح الحاء •

واستخدام الفتح والكسر للتفريق بين خصوصية المعنى في كلمتين من أصل واحد كثير في العربية فالمعلوم ان « الذَبْح » مصدر « ذَبَحَ » غير « الذِبْح » بكسر الذال وهو الحيوان المذبوح ، قال تعالى : « وفَدَيناه بذِبْحٍ عظيم » • وان « السَقْي » مصدر الفعل « سَقَى » غير « السِقي » بكسر السين وهو القدر من الماء الذي يُستَقى به • ومثل هذا جمهرة من الكلم الثلاثي •

٥٣ ـ حيا

قال المتنبي :

أُحِبُّ حِمْصاً الى خُناصِرةٍ ‏ ‏ ‏ ‏ وكل نفس تُحِبُّ مَحْيَاها

من قصيدة يمدح فيها أبا شجاع عضد الدولة (فَنَّا خُسْرَو) ومطلعها :

أَوْهِ بديلٌ من قَوْلَتي واها ‏ ‏ ‏ ‏ لمن نَأَتْ والبديلُ ذِكراها

اللغة والشرح :

يقول أحب ما بين هذين المكانين « حمص وخناصرة » فكلّ نَفسٍ تحب مكان حياتها وحيث نشأت به .

والمَحْيا : مَفعَل من الحياة اي اسم مكان منها . وتقول : مَحيايَ ومماتي ، والجمع « محايي » وهذا الجمع مما ورد في قول المتنبي أيضاً في قولــه :

ومن يَبْغِ ما أبغي من المجـدِ والعُـــلا
تَســاوَى المحـايي عنده والمقاتِلُ

من قصيدة قالها في صباه ومطلعها :

قِـفـــا تَرَيا وَدْقي فهـــاتا المخايِلُ
ولا تَخْشَيا خُلْفـاً لمـا أنـا قائــلُ

يقول : من يطلب ما أطلب من الشرف والرتب العالية استوى عنــده الحياة والقتل لأنه علم أنّ الأمور العالية فيها المخاوف والهلاك فيكون قد وطّنَ نفسه على الهلاك فهو يصبر عليه ولا يُبالي به .

تعليق :

استعمل المتنبي اسم المكان على « مَحْيا » وهو استعمال صحيح وهو « مَفْعَل » من الحياة ويقع على المصدر والزمان والمكان . وقــد جمــع « المحيا » في البيت الآخر لان الحاجة تدعو الى الجمع فالمحايي مع المقاتل . والمحايي على « مفاعل » مثل مقتل ومقاتل .

ولقلة ورود « المحيا » في الاستعمال قل الجمع وبدا مستغرباً .

وقد أخطأ أكثر ناشــرى ديــوان المتنبي فأثبتوا « المحائي » بالهمزة وليس هذا موطن ابدال الهمزة بالياء ذلك ان الياء من مادة الكلمة أي كما يقولون « أصلية » مثل صنيعة صنائع ونحو ذلك .

٥٤ ـ خبر

قال المتنبي :

بصارِمي مُرْتَدٍ بِمَخْبُرَتي مُجْتَزِئٌ بالظَّلامِ مُشْتَمِلُ

من قصيدة يمدح فيها بدر بن عمّار بن اسماعيل وكان قد وجد علّةً ففصده الطبيب فغرّق المبضع فوق حقه فأضَرَّ به ومطلعها :

أبَعْدَ نَأْيِ المليحةِ البَخَلُ في البُعدِ ما لا تُكَلَّفُ الابِلُ

اللغة والشرح :

أراد فأنا مُرْتدٍ بصارمي والمعنى متقلّد بسيفي مُكْتَفٍ بعلمي وخبرتي فلم أحْتَجِ الى دليلٍ يَهديني الطريق ، لابسٌ ثوبَ الظَّلام كما يشتَملُ الرجل بثوبٍ أو كساءٍ .

تعليق :

استعمل المتنبي « مَخْبُرة » على « مَفْعُلة » بضم العين مثل المكرُمة .

وبناء « مَفعُلة » قليل ، وكان في طوقة ان يقول « مخبَرة » بفتح الباء ولكن « الواحدي » شارح الديوان أثبتها بالضم ، ولعله رآها في نسخ الديوان القديمة المسموعة عن المتنبي نفسه .

ولعل الشاعر آثر « المخبُرة » بضم الباء وهي من الابنية النادرة . والذي نلاحظه ان كثيراً مما جاء على « مفعُلة » بضم العين قد ورد بالفتح ايضاً كالمأثُرة والمأثَرة والمخبُرة والمخبَرة .

٥٥ ـ خبر

قال المتنبي :

عَجاجاً تَعْثُرُ العِقبان فيه كأن الجوَّ وَعْثٌ أو خَبارُ

من قصيدة يصف فيها ايقاع سيف الدولة ببني عُقَيل وقُشَير وبَلعَجْلان وكلاب ومطلعها :

طِوال قنا تُطاعِنُها قِصارُ وقَطْرُكَ في ندًى ووَغىً بِحارُ

اللغة والشرح :

الوَعْث من الارض ما تغيب فيه القوائم لسهولته ، والخبار الارض اللينة الرخوة ومنه قول عنترة :

والخيلُ تقتحم الخَبارَ عوابِساً

وهذا من صفة الغبار بالكثافة •

يقول : العقبان التي مع الجيش تَعْثُر في ذلك العَجاج فكأنَّ الهواء أرض ليّنة لكثرة ما ارتفع من غبار الخيل •

تعليق :

استعمل المتنبي كلمة « خبار » بدلالتها القديمة في العربية وهي ما استرخى من الأرض ولان وتحفّر كما قال ابن الاعرابي • وقال غيره : وهو ما تهوّر وساخت فيه القوائم •

وهذا الاستعمال للكلمة يدل على امتلاك الشاعر لمواد البيئة البدوية القديمة بأعلامها وشخوصها •

٥٦ ـ خبعثن

قال المتنبي :

فجِدْ في مُلتَقى الخَيْلَين عنه وإن كنتَ الخُبَعْثَنَةَ الشَّجيعا

من قصيدة يمدح فيها علي بن ابراهيم التنوخيّ ومطلعها :

مُلِثَّ القَطْر أعطَشَها رُبُوعا وإلاّ فاسقِها السُّمَّ النقيعا

اللغة والشرح :

الخُبَعْثَنَةَ من أوصاف الأسد ويُروى الغَضَنْفَرَةَ وهذا جواب قوله « اذ اعوَجَّ القنا » قبل بيتين •

يقول : اذا كان كذلك فحِدْ عنه أي مِلْ وتباعَدْ عنه وانْ كنت شجاعاً قويّ القلب كالأسد وإلاّ هلكت •

تعليق :

أقول : كأنّ المتنبي أراد ان يكون من شعره مظان تشتمل على الغريب الذي لا نعرفه الا في شعر المتقدمين وهذا يدل على مبلغ ما استوعب من العربية المعرقة في البداوة • وكأنّ مقامه في ديار الشام لم يفقده الصفة التي طبع عليها في بيئته الاولى •

ان « الخُبَعثِنَة » من الكلم النادر الغريب الذي يدل على مدلولات عدة منها الناقة الحريزة ، وتيس خُبَعْثِن غليظ شديد ، قال :

رأيتُ تَيْساً راقَني لسَكَني

ذا مَنبِتٍ يرغَبُ فيه المُقتَني

أهدبَ معقودَ القَرَى خُبَعْثِنِ

والخُبَعْثِن ايضاً من الرجال : القويّ الشديد •

أبو عبيدة : الخُبَعْثِنَة من الرجال الشديد الخَلْق العظيمة ، وقيل : هو العظيم الشديد من الأُسد •

الجوهري : الخُبَعْثِنَة الضَخْم الشديد مثل القُذَعْمِلة ، وأنشد أبو عمرو :

خُبَعْثِنُ الخَلْقِ في أخلاقه زَعَر

وقال ابو زُبَيد الطائي في وصف الأسد :

خُبَعْثِنَةٌ في ساعدَيْه تَزايُل   تقول وَعَى من بعد ما قد تَكَسَّرا

وقال الفرزدق يصف اِبِلاً :

حُوّاساتُ العَشاءِ خُبَعْثِناتٌ   اذا النَّكْبـاء عارضَتِ الشَّمالا

أقول : وجاء المتنبي في القرن الرابع ليجدد من حياة هـذه الكلمـة المهجورة التي اوشك ان يطويها النسيان •

٥٧ ـ خَبل

قال المتنبي :

مـا أُبالي اذا اتّقَتْكَ الرزايا   من دَهَتْه خُبولُها والحُبُولُ

من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة وقد بعث اليه هديّة الى العراق ومالاً دُفْعة بعد دُفعة ومطلعها :

ما لنـا كلّنا جَوٍ يا رسـولُ   أنا أهـوَى وقلبُك المتبـولُ

اللغة والشرح :

الخبُول جمع خَبْل وهو الفساد ، والحُبُول : الدواهي وهي جمع حَبْل •

يقول : اذا اخْطَأَتْك المنايا فلا أُبالي من أصابته •

تعليق :

قالوا : الخَبْل (بالتسكين) الفساد مثل الخَبال (بفتح الخاء) •

ابن سيده : الخَبْل فساد الاعضاء حتى لا يدري كيف يمشي فهـو مُتَخَبِّل خَبِل مُخْتَبَل •

ابن جِنّي : وبنو فلان يطالبون بني فلان بدماءٍ وخَبْلٍ أي بقطع أيدٍ وأرجُل والجمع خُبول •

ورُوِي عن النبي ـ صلّى الله عليه وسلم ـ أنه قال : من أُصيب بدَمٍ أو خَبْل •

الخَبْل : الجراح ، أي من أصيب بقتل نفس أو قطع عضو فهو بالخيار بين إحدَى ثلاث وإنْ أراد الرابعة فخذوا على يَدَيه بين أنْ يقتصّ أو يأخذَ العَقْل أو يعفو ، فمن قَبِلَ من ذلك شيئاً ثم عَـدَا بعـد ذلك

فقتل فله النارُ خالداً فيها مُخلّداً • ويقال : خَبَلَه الحب اذا أفسَدَه بخَبْلةٍ •

ورجل مُخَبَّل : كأنه قد قُطِعَتْ أطرافه ، والخَبْل : قطع اليد أو الرجْل •

وقد أخذ أهل العروض الخَبْل فصار من مصطلحهم وهو حذف السين والتاء من مستفعلن في عَروض البسيط والرجز •

هذا ما جاء عن الخَبْل بالتسكين وهو غير الخَبَل بفتحتين الذي يعني معاني عدة منها الجنّ •

أقول : ذهب المتنبي في استعماله لهذا اللفظ الى غير المشهور المعروف وهو ما كان بفتحتين « الخَبَل » بل أراد « الخبل » بسكون الباء ، وهو في استعماله هذا ضمّ الى معجمه مادة ذات قيمة لغوية تاريخية ذلك انها انصرفت الى شيء من العرف الاجتماعي وهو دلالته على قطع العضو •

٥٨ ـ خدا

قال المتنبي :

وأَمَقَّ لو خَدَتِ الشَمال براكبٍ
في عَرْضِه لأناخَ وهي طَليحُ

من قصيدة يمدح فيها مساور بن محمد الرومي ومطلعها :

خَلَلاً كما بي فَلْيَكُ التبريحُ
أَغِذاءُ ذا الرَشَأِ الأَغَنِّ الشيحُ

اللغة والشرح :

يصف بلداً طويلاً ، والمَقَق : الطول ، والأمق الطويل •

يقول : لو أسرعت ريح الشمال في ذلك البلد براكب أي وعليها راكب لأناخ ذلك الراكب والشمال طليح أي مُعْيية ، واذا كانت الشمال تُعيي فيه فكيف الانسان ، وانما ذكر العرض لأنه أقل من الطول •

تعليق :

خَدَى البعير والفرس يَخدِي خَدْياً وخَدَياناً فهو خادٍ : أسرع وزجّ بقوائمه مثل وَخَدَ يَخِدُ وخَوَّد يُخَوِّد كله بمعنىً ، قال الراعي :

حتى غَدَتْ في بياض الصبح طيبة

ريح المباءة تَخْدِي والثَرَى عَمِدُ

وقال كعب بن زهير :

تَخْدِي على يَسَراتٍ وهي لاهية"

وقالوا : الخَدْي ضرب من السير لم يُحَدّ .

الليث : الوَخْد سعة الخطو في المشي ومثله الخَدْي لغتان .

أقول : لعل « وَخَد » « يَخِدُ » والمصدر الوخيد يعرفه الدارسون أكثر من معرفتهم لما هو من المادة نفسها على طريقة ما أسموه بـ « القلب » وهو « خَدَى » .

وهذا باب في العربية ، واكبر الظن ان المقلوب من المواد شيء مما وسمت به اللهجات . أعني ان من يقول « خدى » يتكلم بلغة غير لغة من يستعمل « وَخَد » .

أما المضعف فشيء آخر قد يتصل بهذه اللغة أو تلك . وليس من شك ان الصور الثلاث من أصل واحد .

وبيت المتنبي بمواده جميعها يفصح عن امتلاك الشاعر لأصالة البداوة.
أقول : أصالة البداوة لانه استطاع ان يتجاوز هذه البداوة فيعرب عن دقائق من الفكر تتصل بحضارة عصره واحتوائها على الفكر الاجنبي الوافد .

٥٩ ـ خرب

قال المتنبي :

خُرّابُ باديةٍ غَرْثَى بُطونُهمُ

مَكْنُ الضِبابِ لهم زادٌ بلا ثَمَنِ

من قصيدة يمدح محمد بن عبيدالله بن محمد الخطيب القاضي الخصيبي ومطلعها :

أفاضِلُ النـــاسِ أغراضٌ لـــذا الزَمَنِ
يخلُو من الهَمِّ أخلاهُمْ مـــن الفِطَنِ

اللغة والشرح :

الخُرّاب جمع خارب وهو الذي يسرق الابل خاصة ثم سُمِّيَ به كل لصّ ، والمكن بيض الضبّ •

يقول : هم سُرّاق فلاةٍ وليس لهم زاد الاّ بيض الضب يأخذونه بلا ثمن •

تعليق :

قالوا : الخارب سارق الابل خاصة ثم نقـل الى غيرُهـــا اتساعاً ، قال الشاعر :

انّ بهـــا أكتَـلَ أو رِزاما خُوَيْرِبَيْن يَنْقُفان الهـاما

الاكتل والكَتال : هما شدة العيش • والرَزام : الهزال •

وقال ابو منصور الازهري : أكتَل ورِزام (بكسر الراء) رجـلان خاربان اي لصّان • وقوله : خويربان أي همـا خاربان وصغّرهما ونصب على الذّم •

وقد خَرَب يخرُبُ خِرابةً • وفي « الصحـاح » : خَرَبَ فلان بإبِلِ فلان ، يخرُبُ خِرابةً وخَرْباً وخُروباً أي سرَقَها •

أقول : ولم يبق لمادة « خرب » معنى السرق وقد اوشكت هذه المادة ان تفنى • وبقي منها « خَرِبَ » بكسر الراء خراباً وهو المعروف المشهور •

أعود فأقول : وهذه مادة أخرى تضاف الى مواد المتنبي التي تكشف عن أدوات البداوة القديمة •

٦٠ ـ خرت

قال المتنبي :

يَتَلَوَّنُ الخِرِّيتُ من خَوفِ التَّوَى
فيهـا كمـا يَتلوَّنُ الحِرْباءُ

من قصيدة يمدح فيها أبا عليّ هارون بن عبدالعزيز الأوارجيّ الكاتب ومطلعها :

أَمِنَ ازدِيارَكِ في الدُّجَى الرُّقَباءُ
إذْ حَيْثُ أنتِ مِـن الظَـلامِ ضِياءُ

اللغة والشرح :

الخِرِّيت : الدليـل سُمِّيَ خِرِّيتاً لاهتدائـه في الطُّرُق كخُرْت الإِبرةِ كأنَّه يعرف كل ثُقْب في الصحراء •

يقول : الدليل الحاذق يتغيّر لونه من خوف الهـلاك كمـا يتلَوَّنُ الحِرباء وهي دابّة تستقبل الشمس وتدور معهـا حيث دارت يتلَوَّن في اليوم ألواناً •

تعليق :

أقول : ان توليد « الخِرِّيت » وهو من أبنيـة المبالغـة كالصدِّيق والسِكّيت ، من خُرْت الإبرة يدلنا على سعة العربية وقوتها وتعدد طرق الافادة فيها لتوليد الجـديد من المدلولات مما احتاجت إليـه في مختلف عصورها • ان العلاقة بين « الخرِّيت » وهو الدليل الحـاذق في معرفـة الطرق و « خرت » الإِبرة علاقة بعيدة ، ولكن هذا البعد لم يمنعهم مـن

خلق الصلة فقد قالوا : كأنّ هذا الدليل يهتدي الى كل جهة خفية مما يشبه « خُرْتَ الابرة » ، وهذا شيء من عبقرية العربية •

لقد حدث هذا والعربية في عصورها المتقدمة ، قال رؤبة :

أرمي بأيدي العيس اذ هَوِيتُ — في بلدةٍ يعيا بها الخِرّيتُ

واستعمال المتنبي لهذه الكلمة التزام منه بالكلم الفصيح القديم التزاماً غلب عليه حتى انك لتجد هذا القدر من الكلم القديم أوفر مما ندعوه باللفظ المولّد أو ما يمكن ان يكون من الالفاظ العباسية وهي الفاظ القرن الرابع فصاعداً •

٦١ ـ خرعب

قال المتنبي :

بانُوا بخُرْعوبةٍ لها كَفَلٌ — يكاد عند القيام يُقعِدُها

من قصيدة قالها في صباه يمدح فيها محمد بن عبيدالله العلوي مطلعها :

أهلاً بدارٍ سَباكَ أغْيَدُها — أبعَدُ ما بانَ عنكَ خُرَّدُها

اللغة والشرح :

يقال : امرأة خُرْعوبة وخَرْعَبة وهي الليّنة الشابّة الطريّة ، ومنه قول امرىء القيس :

كخُرعوبة البانةِ المُنْفطِرْ

والكَفَل : الرِدف ، والمرأة توصف بثقل العجيزة وكثرة لحمها •

يقول : ذهبوا بامرأة ناعمة اذا قامت يكاد ردفها يقعدها لكثرة ما عليه من اللحم • وهذا المعنى كثير في شعرهم ، في الجاهلية والاسلام فهل يجوز لنا ان نقول كما قال النقاد الأقدمون إنه من قول أبي دلامة :

وقد حاوَلَتْ نحو القيامِ لحاجةٍ   فأثقلَها عن ذلك الكَفَلُ النَهْدُ

ما أظن شيئاً من ذلك فهذا مما فطن له العرب واستوحوه من نظرهم الى صفات جمال المرأة ، وهو كثير جداً •

تعليق :

لعلهم سموا المرأة الشابّة الحسنة الجسيمة في قوامها بـ « الخرعوبة » لشبهها بالقضيب الناعم السامق الغض الحديث النبات الذي لم يشتدّ لأن الخُرعوب والخُرعوبة هو هذا القضيب المنعوت بهذه النعوت • إنهم قالوا في « الخرعوبة » و « الخرعَبة » في اطلاقها على المرأة الشابة : انها الرخصة اللينة الحسنة الخَلْق ، وقيل : هي البيضاء ، رقيقة العظم ، كثيرة اللحم ، ناعمة ، طويلة ، لينة القصب ، حسنة القوام كأنها خرعوبة من خراعيب الاغصان •

وهذا التشبيه استحال الى حقيقة في هذه المادة اللغوية •

ان استعمال المتنبي لـ « خرعوبة » تمسك منه بالكلم الفصيح القديم الموسوم بميسم من البداوة الأصيلة •

٦٢ ـ خيزل

قال المتنبي :

ألا كلُّ ماشيةِ الخَيْزَلَى   فِدًى كلِّ ماشيةِ الهَيْدَبَى

مطلع مقصورته المشهورة التي قالها لما دخل الكوفة يصف فيها طريقه من مصر إليها ويهجو كافوراً •

اللغة والشرح :

الخَيْزَلى : مِشية النساء ومنه قول الفرزدق :

قَطوفُ الخُطا تمشي الضُحى مُرْجَحِنَّةً
وتمشــي العَشِيَّ الخَيْزَلَى رخوةَ اليَــدِ

والهَيْدَبَى : مشية فيها سرعة من مشية الخيل لا الابل كما ذكر الواحدي ، وتُروى بالذال .

يقول : فَدَت كل امرأة تمشي الخَيْزَلَى كل فرس أو جواد يمشي الهَيْدَبى لا الناقة كما ذكر الواحدي .

يريد انه لا يميل الى مشية النساء وليس من أهل الغزل والعشق وانما هو من أهل السفر .

تعليق :

ويجوز ان يكون المتنبي اراد بـ « الهيدبي » مشي الناقــة كمــا ذكر الواحدي وعدل عن الخيل الى الا بِل اتساعاً ، فاطلق هذه المشية عليها لانه أراد ان يقول : انه من اهل السفر يحب مشي الجمال . والى هذا ذهب ابو تمام في قوله :

يرى بالكَعاب الرودِ طَلْعةَ ثائرٍ وبالعِرْمِسِ الوجناء غُرَّةَ آيِبِ

والخيزلى والهيدبي من ضروب السير وللعرب في باديتهم معجم خاص بضروب السير مما يتصل بالرجل والمرأة والابل والخيل .

٦٣ ـ خفر

قال المتنبي :

المُخْفِرين بكــل ابيضَ صــارمٍ ذِمَمَ الدُروعِ على ذوي التيجان

من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة وقت منصرفه من بلاد الروم سنة ٣٤٥ هـ ومطلعها :

الرأيُ قبــلَ شجاعة الشُجْعانِ هــو أوّلٌ وهيَ المَحَلُّ الثــاني

اللغة والشرح :

اي الذين ينقضون عهودَ الدروع على الملوك بسيوفهم وذلك انّهم تحصّنوا بالدروع فكأنهم في ذِمَمِها ثم سيوف هؤلاء تنقض تلك الذِمَم بهتْك دروعهم والوصول الى أرواحهم .

والمُخْفِر : الذي ينقض العهد .

تعليق :

يقال : خَفَرَ الرجلَ وخَفَرَ به وعليه يخفِر خَفْراً : أجاره ومنعه وأمّنَه وكان له خفيراً . والخفير : المجير ، والخفارة : الأمان .

وفي العربية ان طائفة من الافعال الثلاثية تدل على معان معروفة فاذا بُنيت على « أفعل » ذهب الى ضد المعنى مثل قَسَطَ بمعنى عَدَل وأقسَط بمعنى جارَ وظلم .

ومن هذا « خَفَرَ » الذي اشرنا إليه أما « أخفر » كقولهم : أخفر الذِمّة اي لم يَفِ بها .

وهذا مما تولده الزيادة ، ومن اجل ذلك سموا الهمزة بهمزة السلب . ومثل الهمزة التضعيف الذي يسلب المعنى ويحيله الى الضد نحو فَزِع وفَزَّع ومَرِض ومرّض . وهذا باب كبير يدركه المتتبع لكلم العربية المستقرىء لها استقراءً وافياً في كلامهم .

٦٤ ـ خلط

قال المتنبي :

إنّ دون التي على الدرْبِ والأحْدَبِ والنّهْرِ مِخْلَطاً مِزْيالا

من قصيدة يذكر نهوض سيف الدولة الى ثغر الحدَث لما بلغه ان الروم قد أحاطت به في جُمادَى الاولى سنة ٣٤٤ ومطلعها :

ذي المَعالي فَلْيَعْلُوَنْ مَن تَعالَى
هكـذا هكـذا وإلاّ فلالا

اللغة والشرح :

يعني قلعة الحدث ، يقول : دون الوصول إليها رجل مِخْلَط مِزْيال وهو الكثير الخلاط للأمور والزيال لها يخالطها ثم يُزايلها ، يعني سيف الدولة ، وأراد بالأحدب جبلاً هناك •

تعليق :

قالوا : المِخْلَط ، بالكسر : الذي يخلط الأشياء فيُلَبِّسُها على السامعين والناظرين •

وفي الحديث : أنّ رجلين تقدّما الى معاوية فادّعى أحدهما على صاحبه مالاً وكان المدّعي حُوّلاً قُلَّباً مِخْلطاً •

أقول : ان « المِخْلط » الذي ورد في بيت الشاعر وفي الحديث من المواد التي لا نعرفها في عربيتنا المعاصرة في الاقل ان لم نقل انها قليلة الورود في العربية عامة • وهي من الكلمات الخفيفة الرشيقة وانها بناء « مِفْعَل » لافادة المبالغة ، وهو من الابنية المشهورة • وان مدلوله شيء مما يُحتاج إليه ، وانه يكشف عن نمط من طبائع الناس وأخلاقهم • وكان من الأولى والاحسن ان يحتفظ بمثل هذه الالفاظ المعروفة المشهورة اذا كانت ذات مدلول معروف فينا حاجة الى استعماله •

٦٥ ـ خلق

قال المتنبي :

خلائقُ لو حواها الزَنْجُ لانقلبوا
ظُمْيَ الشفاهِ جِعادَ الشَعْر غُرّانا

من قصيدة يمدح فيها أبا سهل سعيد بن عبدالله بن الحسن الانطاكي الحمصي ومطلعها :

قد عَلَّمَ البَيْنُ منا البَيْنَ أجفانا
تَدْمَى وألَّفَ في ذا القلبِ أحزانا

اللغة والشرح :

يريدُ بالخلائق الخِلَق جمع الخِلْقة وهي الخلْق (بفتح وسكون) ولا يريد السجايا لان السجايا الحسان قد تكون في الصور القبيحة ، والزنج لا يجتمع فيهم بياض الوجه مع جُعودة الشعر ودقة الشفاه لان شفاههم غليظة وهم سود الألوان • ومعنى ظُمي الشفاه دِقاق الشفاه كأنَّها لم تَرتَوِ فتغلظ •

والمعنى : لو أن خِلَقَهم للزنج لحَسُنوا مع جعودة شعورهم فكانوا أحسن خلق الله تعالى •

تعليق :

لقد قال الشراح والنقاد : ان الخليقة بمعنى الخلقة لا تصحّ واذا حملنا الخلائق على السجايا فسد معنى البيت لان الخِلقة لا تتغير بالسجايا •

أقول : يعرف المتنبي ان الخليقة هي السجية وهي غير الخِلقة التي تعنى الخَلْق وهو عارف باللغة معرفة خاصتها بها وقد يكون أكثر علماً باللغة من شراح ديوانه ونقاده ولكنه آثر بسبب من الشعر ان يُعطي كلمة الخليقة معنى الخلق ويولد جديدا ولا سيما في القرائن الواضحة فليس من غموض ولا ابهام •

وتلك سنة جرى عليها الجاهليون والاسلاميون ولا يستطيع النقاد اللغويون ان يحملوا ما توسع فيه زهير أو الاعشى أو الحطيئة في طائفة من الكلم والاستعمال على الخطأ •

٦٦ ـ خلل

قال المتنبي :

رُوحٌ تَرَدَّدُ في مِثلِ الخِلالِ اذا
أطارَتِ الريحُ عنه الثَوبَ لم يَبِنِ

من قصيدة قالها في صباه ومطلعها :

أَبْلَى الهَوَى أَسَفاً يومَ النَوَى بَدَني
وفرَّقَ الهجر بين الجَفْن والوَسَنِ

اللغة والشرح :

يقول : لي روح تذهب وتجيء في بَدَن مثل الخِلال في النُحول والرِقّة اذا طيَّرت الريح عنه الثوب الذي عليه لم يظهر ذلك البدن لرقّته أي انما يُرَى لما عليه من الثوب فاذا ذهب عنه الثوب لم يظهر . ويجوز ان يكون معنى « لم يبن » لم يفارق أي أن الريح تذهب بالبدن مع الثوب لخفّته . وقوله : « مثل الخلال » صفة لموصوف محذوف تقديره : في بَدَن مثل الخلال .

يقول الواحدي : وأقرأَني ابو الفضل العروضي « في مثل الخيال » قال :

أقرأَني أبو بكر الشِعراني خادم المتنبي « الخيال » قال : لم أسمع « الخلال » الا بالري فما دونه ، يدلُّ على صحة هذا ان الوَأْواء الدمشقيّ سمع هذا البيت فأخذه فقال :

وما أَبقَى الهَوَى والشوقُ مِني
سِوى جسمٍ تردَّدُ في خيالِ
خَفِيتُ على النَوائب أنْ تراني
كأنّ الرُوحَ منى في مُحالِ

تعليق :

أريد ان أقف على كلمة « الخِلال » التي وردت في بيت المتنبي .

الخِلال : العود الذي يُتخلّل به بين الاسنان ، وتخلّل الاسنان ادخال الخلال الذي هو العود بينها لتنظيفها مما علق به من الطعام وغيره .

وأرى ان مادة «خلال » بكسر الخاء التي تدل على العود الذي يتخذ لحاجة من الحاجات قد بنيت على « فِعال » وهو من الأبنية التي تنصرف

الى الأدوات والآلات كالقناع واللثام والزمام والوكاء والعفاص والسداد والصمام والعيار وغيره كثير •

ثم ان هذا الاسم الذي بني على هذا الوزن قد أخذ من الظرف « خَلَل » وهو منفرَج ما بين كل شيئين وجمعه « خِلال » • والخلال وهو العود الذي تؤدّى به الحاجة التي اشرنا إليها يتخذ لتنظيف الفُرجَة بين سنٍ وآخر • ومن هنا اخذوا الفعل من هذه « الأداة » او قل من الظرف الاصلي « خلل » ليشير الى ما تصنعه هذه الأداة فقالوا : تخلَّلَ بالخلال •

ثم أُتسِّع في استعمال الفعل فقالوا : خلّل بين اصابع يديه أو رجليه أو خلل بين شعر لحيته كما يفعل كل ذلك في الوضوء • وأصله من ادخال الشيء في « خلال » الشيء • وهذا مثل من سعة العربية واحكامها وقوتها في توفير الأبنية •

٦٧ ــ خلو

قال المتنبي :

وخيالُ جسمٍ لم يُخلِّ لـه الهَوَى
لحماً فينحلـه السقـام ولا دمـا

من قصيدة يمدح فيها انساناً وأراد أن يستكشفَه عن مذهبه ومطلعها :

كُفيِّ أراني وَيْكِ لوْمَكِ أَلوَما
هَمٌ أقامَ علـى فـؤادٍ أنجمـا

اللغة والشرح :

ذكر لجسمه الخيال ليدُلَّ به على دقّته ونحوله فان الخيال اسم لما يتَخيَّل لك لا عن حقيقته وهو عطف على الهمّ في البيت الاول •

يقول : لم يترك الهوى بجسمي محلاً للسقم من لحم ودم فيعمل فيه •

تعليق :

أود ان أعلق على الفعل « خَلَّى » « يُخلّي » في قول المتنبي « لم يُخلِّ له الهوى » أي لم يترك •

أقول : ان هذا الفعل بهذا المعنى اوشك ان يخفى أو يزول من الفصيحة ، والذي يستعمل منه في عصرنا هو ما كان بمعنى « التخلية » أي جعله خالياً كأن يقال : خَلَّى الدار بمعنى أخلاها . أما « خلَّى » بمعنى ترك كما وردت في البيت فهي من مواد العامية الدارجة وهذا من غرائب اللغة ذلك ان طائفة من الكلم الفصيح الذي ثبت في العربية خلال عصور عدة زال في العربية المعاصرة واستقر في اللهجات الدارجة .

٦٨ ـ خنث

قال المتنبي :

خَنْثَى الفُحولَ من الكُماةِ بصَبْغِهِ
ما يلبَسونَ من الحديد مُعَصْفَرا

من قصيدة يمدح فيها أبا الفضل محمد بن الحسين بن العميد وورد عليه بأرَّجان ومطلعها :

بادٍ هواكَ صَبَرتَ أم لم تصبرا
وبُكاكَ ان لم يَجْرِ دمعُك أو جَرَى

اللغة والشرح :

خَنْثَى الفحولَ : جَعَلَهم كالمُخَنَّثين ، يقال : خَنْثَى يُخَنْثي خَنْثاةً ، وهذا رواية ابن جنّي وابن فورجة . وروى غيرهما : خَنِثَ الفحولُ اي انكسروا عند اعماله الضرب فيهم والأولى أجود لانه ذكر صبغة لباسهم ، والثوب المعَصْفَر المصبوغ من ثياب النساء وذوي التخنيث .

تعليق :

لعل المتنبي هو الذي تجرّأ فولد الفعل « خَنْثَى » « يُخَنْثي » من الكلمة « خُنْثى » وهي كلمة رباعية ذات دلالة معروفة .

الخُنْثَى (بضم الخاء فالسكون) : الذي لا يخلص لذكر ولا أُنْثى .

وجعله كُراع وصفاً فقال : رجل خُنْثَى : له ما للذكر والانثى والجمع خَناثَى مثل حَبالَى وخِناث ، قال :

لعمرك ، ما الخِناثُ بنو قُشَيْر   بنِسوانٍ يَلِدْنَ ولا رجالِ

ولم يذكر فعل من هذا الاسم على الصيغة التي وردت في بيت المتنبي ، فكأنه أراد ان يولدها من الاسم « خنثى » • ولم يشأ ان يستعمل الثلاثي « خَنِث ، يخنَث » مثل « فَرِح » كما أشار الواحدي في شرحه ليثبت ازاء أهل اللغة بقدرته العلمية وجرأته وحسن تصرّفه •

ان الفعل الذي جاء به الشاعر من الافعال الرباعية النادرة والغريبة ، ولعل احداً آخر لم يتبع المتنبي في استعماله • ومن يدري لعل الفعل قد اخذه الشاعر مما تصنعه العامّة في اعرابها ودأبها في اللغة اليومية ؟

٦٩ ـ خنز

قال المتنبي :

شديدُ الخُنْزوانَةِ لا يُبالي   أَصابَ اذا تَنَمَّرَ أم أُصيبا

من قصيدة يمدح فيها علي بن محمد بن سَيّار بن مُكَرَّم التميميّ ومطلعها :

ضُروبُ الناسِ عُشّاقٌ ضُروبا   فأعذَرُهُم أشَفُّهُمُ حبيبا

اللغة والشرح :

الخُنْزُوانة في الأصل ذُبابة تطير في أنف البعير فيَشْمَخ لها بأنفه ، واستعيرت لِلْكِبْر فقيل : بفُلانٍ خُنْزُوانةٌ • ومعنى تَنَمَّرَ صار كالنَمِر في الغضب •

والمعنى : اذا غضب على اعدائه وقاتلهم لم يُبالِ أَقَتَلَهُم أم قَتلوه •

تعليق :

الذي ذكره الواحديّ من ان الخُنْزُوانة في الأصل ذُبابة تطير في أنف البعير فيَشمَخ لها بأنفه جميل ومفيد ، ولكني لم أجده في المطولات

من كتب اللغة ولعله موجود في الرسائل الصغيرة التي أرخت للعربية بحسب الموضوعات مثل رسائل ، الحشرات ، والوحوش ، والخيل ، والابل وغيرها .

واستعارة هذه المادة بدلالتها الحقيقية للكِبرْ لما تسبب من شموخ الانف لدى البعير مما يظهر اتساع العرب الاقدمين في ايجاد الالفاظ الخاصة للمعاني المجردة والافتنان في توليدها من المواد المحسوسة الملموسة .

والكلمة ذات أبنية عدّة لا نعلم ايها كان الذبابة في الأصل .

قالوا : الخُنْزُوة والخُنْزُوانة والخُنْزُوانيّة والخُنْزُوانُ كلها الكِبرْ .

أنشد ابن الاعرابي :

اذا رَأَوا من مَلِكٍ تَخَمُّطا أو خُنْزُواناً ضربوه ما خَطَا

وأنشدَ الجوهري :

لئيم نزت في أنفه خُنْزُوانةٌ على الرَحِمِ القُرْبَى أحَذُّ أباتِرُ

ولعلّ « الخنزوانة » فيما أنشده الجوهري تُلمح الى الأصل وهو « الذباب » .

٧٠ ـ خوز

قال المتنبي :

ومن الناسِ من يَجوزُ عليه شعراءٌ كأنّها الخازِ بازِ

من قصيدة يمدح فيها ابا بكر علي بن صالح الروذباري الكاتب مطلعها :

كَفِرِنْدي فِرِنْدُ سيفي الجُرازِ لَذّةُ العين عُدّةٌ للبِرازِ

اللغة والشرح :

الخازِ بازِ : حكاية صوت الذباب ثم يُسمَّى الذباب ايضاً بهذا الاسم ومنه قول ابن أحمر :

تفَقَأَ فوقَه القَلَعُ السَواري   وجُنَّ الخازِ بازِ بـه جُنونا

يقول : من الناس من لا يعرف الشعر فيجوز عليه شعراء كأنهم الذباب في هَذَيانهم .

تعليق :

أقول : قالوا ان « الخازِ بازِ » حكاية صوت الذباب ثم تجاوز ذلك الى الذباب نفسه . من غير شك ان المتنبي استفرغ معجمه الذي اشتمل على الفرائد والاوابد مما هو بعيد الغرابة يغرس أصوله في العصور القديمة جاهليها وإسلاميها . واستخدام الشاعر لهذا المعجم الشامل الواسع كان بفعل القافية في هذه المرة ، فقد التزم « الزاء » قافية فكان مسوّغاً ان يأتي بهذا المركب « الخاز باز » والذي هو حكاية صوت الذباب .

ان حكاية الصوت في العربية كانت سبباً في توليد طائفة من الالفاظ ، فقد ذكروا ان « الغوغاء » ودلالتها على العامة والسواد من الناس هُو حكاية صوت هؤلاء حين اجتماعهم وانضمامهم بعضهم الى بعض ، ومثله العوعاء .

ثم اذا قلبنا الأصوات في هذه المادة وحصلنا على كلمة « وغى » وهي تعنى الحرب لا تخرج في الأصل عن حكاية اصوات الجند وجلبتهم وما يرافق ذلك من صوت السلاح ، ومثل ذلك ما قالوا في كلمة « جيش » والأمثلة كثيرة .

٧١ ـ خول

قال المتنبي :

وعَرّفاهُمْ بأني في مَكارمِهِ
أُقَلّبُ الطَرْفَ بين الخَيْلِ والخَوَلِ

من قصيدة يعتذر فيها الى سيف الدولة مما خاطبه به في قصيدته الميمية ومطلعها :

أجابَ دَمعي وما الداعي سوى طَلَلِ
دعا فلبّاه قبلَ الرَكبِ والإبِلِ

اللغة والشرح :

الخَوَل جمع خائل وهو الخادم من قولهم رجل خالُ مالٍ وخائل مالٍ اذا كان حَسَن القيام عليه اي عَرِّفا أحبابي وبلّغاهم اني متقلّب في نعام سيف الدولة •

تعليق :

قالوا : والخَوَليُّ الراعي الحسن القيام على المال والغنم ، والجمع خَوَل كعَرَبيّ وعَرَب • وفي حديث ابن عمر : انه دعا خَوَليَّه •

قال ابن الأثير : الخَوَليّ عند أهل الشام القيِّم بأمر الابل واصلاحها ، من التخوّل التعهد وحُسن الرعاية •

وانه لخال مال وخائل مال وخَوَل مال أي حسن القيام على نَعَمه يُدَبّره ويقوم عليه • والخَوَل ايضاً اسم لجمع خائل كرائح ورَوَح ، وليس بجمع خائل ، لانّ فاعلاً لا يُكسَّر على فَعَل •

أما قول الواحديّ : الخَوَل جمع خائل فعلى سبيل التساهل وكأنه يريد أن يقول والجميع « خَوَل » على نحو ما نجد في كتب اللغة •

والصحيح ما أشرنا إليه في كتب العربية من أن « فَعَل » بفتحتين من صيغ أسماء الجموع لا جمع تكسير • ومفرده في الغالب مختوم بياء النسبة مثل حرس ومفرده حَرَسيّ وكثير من اسماء الجموع يأتي مفرده منسوباً نحو : يَهود ويهودي ، ومجوس ومجوسيّ وجُنْد وجندي •

ونلاحظ ان « خَوَل » من الكلمات القديمة التي لم تبق لها باقية في العربية الحديثة ، وفي الدارجة المصرية ينصرف « الخول » الى الرذل الساقط من الغلمان وهو مفرد فيها لا جمع •

٧٢ ـ خير

قال المتنبي :

فيه السماحةُ والفصاحةُ والتُّقَى
والبَأْسُ أجمَعُ والحِجَى والخِيرُ

من قصيدة يرثي فيها محمد بن اسحاق التنوخيّ ومطلعها :

إنّـــي لأَعلَـــمُ واللبيبُ خَبِــيرُ
ان َّ الحيـــــاة وإنْ حَرَصْتَ غُرورُ

اللغة والشرح :

يقول : في ذلك الكفن هذه الأوصاف وهذه الأخـــلاق التي ذكرها ، والخِير : الكرم •

وقد وردت كلمة « خير » في بيت آخر للمتنبي :

وكَفٌّ لا تنـــــازعُ مــــن أتانـــي
يُنازعُني سِـــوَى شَرَفي وخِيري

من قصيدة يصف فيها سيره في البوادي وهجا فيها ابن كرّوس الأعور ومطلعها :

عَذيري مــــن عَذارَى مــــن أُمورٍ
سَكَنَّ جَوانِحي بَـــدَلَ الخُـــدورِ

اللغة والشرح :

يعني وكفّ جوادٍ لا تُمسك الأشياء ولا تنازع المنازِع في غير الشرف والكرم ، يعني انه يجود بالمال وكل شيء سِوى الشرف •

تعليق :

ان كلمة « الخَير » بالفتح من الكلمات التي حَفَلت بها العربية ، فهي في الأصل للدلالة على التفضيل وهي تقابل « شرّ » • وآية احتفال العربية بهذه الكلمة تواترها في أجل نص عربي هو التنزيل العزيز الذي حفـــل بـ « الخير » على التفضيل وعلى غير التفضيل • وقد كثرت الابنية التي اتخذت كلمة « خير » اصلاً لها • والنظر في معجم العربية يفصح عن الثروة السنية لهذه المادة •

ومن غير شك ان « الخير » بكسر الخاء من أصل « الخير » بالفتح .
وقد أشرت في موضع آخر الى ان العربية تتبع في الاسماء الثلاثية على بناء « فعْل » بسكون العين وهي مصادر فتتجاوز المصدر الى الاسمية بابدال الكسرة بالفتحة . وهذا الابدال لا يقتصر احياناً على إحداث الاسمية بل يتجاوزه الى شيء من تطور الدلالة .

ومن ذلك « الخِير » بكسر الخاء الدالّ على « الكرم » كما في البيتين وهو يدل كذلك على الشرف والهيئة والأصل .

٧٣ – خيل

قال المتنبي :

قِفا تَرَيا وَدْقي فهاتا المَخايِلُ ولا تخشَيا خُلْفاً لما أنا قائلُ

وهو مطلع قصيدة قالها في صباه .

اللغة والشرح :

الودق : المطر ، وهاتا بمعنى هذه ، والمخايل جمع المخيلة (بفتح الميم) السحابة الخليقة بالمطر ، والخُلْف اسم من الاِخلاف .

يقول لصاحبَيه : اصبِرا تَرَيا من أمري شأنا عظيماً فقد ظهرت مخايله وما يشهد لي بتحقيق ما كنت أعِدُكما من نفسى من قتل الأعداء وبلوغ الآمال وذكر أنه لا يُخلف وعده .

تعليق :

قد يقال للسحاب الخال ، فاذا أرادوا أن السماء قد تغَيَّمَتْ قالوا : قد أخالَتْ ، فهي مُخيلة بضم الميم ، واذا أرادوا السحابة نفسها قالوا هذه مَخيلة بالفتح .

وقد أخيَلْنا وأخيَلَتِ السماءُ وخَيَّلَتْ وتَخَيَّلَت : تهيَّأت للمطر فرَعَدَتْ وبَرَقَتْ ، فاذا وقع المطر ذهب اسم التخيُّل .

ولقد أخطأ ناشر الديوان (شرح الواحدي) فهمز « المخايل » ولابد من الياء في هذه الكلمة ولا يمكن ان يُبدل منها همزة مثل بدائع وصحائف .

حرف الدال

٧٤ ـ دأي

قال المتنبي :

اذا ضَرَبَتْه الريحُ ماجَ كأنَّه
تَجولُ مَذاكيه وتَدْأَى ضَراغِمُه

من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة عند نزوله أنطاكيّة ومُنْصرَفه من الظَفَر بحصن بَرْزَوَيهِ في جُمادَى الآخرة سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ومطلعها :

وفاؤكما كالرَّبْع أَشجاهُ طاسِمُه
بأنْ تُسعِدا والدمعُ أشفاهُ ساجِمُه

اللغة والشرح :

المَذاكي : المُسِنَّة من الخيل ، وتَدْأَى معناه تختل ، يقال : دَأَوتُ له ودَأَيت أدأَى أي خَتَلتُه . ورُوِيَ بالذال ومعناه تطرده ، يقال : ذَأَى الابِلَ ذَأْواً اذا طَرَدَها .

يقول : اذا ضَرَبَت الريح هذا الثوب تحرَّك حتى كأنَّه يموج ، وكأنّ الخيلَ التي صوِّرَتْ عليه جائلة ، وكأنّ أسوده تختل الظباء لتصيدها وتطردها لتدركها .

تعليق :

قالوا : دَأَى له يَدْأَى دَأْياً ودَأْواً اذا خَتَلَه . والذئب يَدْأَى للغزال : وهي مِشية شبيهة بالخَتْل . ودَأَوتُ له لغة في دَأَيت . ودَأَوتُ له : مثل أَدَيتُ له ، قال :

كالذئب يَدْأَى للغَزال يَخْتِلُه

ودَأَى الذئب للغزال يدؤو دأواً ليأخذَه مثل يأدو : وهو شبيه المخاتلة والمُراوغة •

أقول : وهذا من الكلم الغريب الذي يحفل به شعر المتنبي والذي يدل ايضاً على النصيب الوافي الذي تحتله الفاظ البداوة في أدب المتنبي •

٧٥ ـ ددن

قال المتنبي :

أَنْكَرتُ طارقةَ الحوادِث مرّةً ثم اعترَفْتُ بها فصارَتْ دَيْدَنا

من قصيدة يمدح فيها بدر بن عمار وكان سار الى الساحل ثم عاد الى طبريّة ومطلعها :

الحبُّ ما مَنَعَ الكلامَ الالسُنا وألَذُّ شَكْوَى عاشقٍ ما أَعْلَنا

اللغة والشرح :

يقول : أنكرتها أول ما طرَقتني وقلتُ ليست تقصدني وانما اخطأَتْ في قصدي ثم لما كثرتْ أقرَرْتُ بها وعرفت أنها تأتيني فصارت عادةً لي لا تفارقني ولا أنفكُّ منها • والدَيْدَن : العادة ، ورواه الخوارزمي بكسر الدال الأولى كأنه اراد مُعَرَّب دِيدَن وليس في كلام العرب « فِيعَل » بكسر الفاء •

تعليق :

قالوا : والدَيْدَن : الدأب والعادة ، وهي الدَيْدان ، عن ابن جني ، قال الراجز :

ولا يزالُ عندَهم حَفّانُهُ دَيدانُهم ذاكَ وذا دَيْدانُه

وفي « النهاية » : وفي الحديث خرجت ليلة أطوف فاذا أنا بامرأة تقول كذا وكذا ، ثم عدت فوجدتها ودَيْدانها أن تقول ذلك •

الدَيْدان والدَيْدَن والدين : العادة تقول : ما زال ذلك دَيْدَنه ودَيْدانه ودينه ودأبه وعادته وسَدَمه وهِجِّيرَه وهِجِّيراه واهْجيراه ودُرابَتَه •

أقول : ولعله من « دَدّ » بفتح فتشديد بمعنى اللهو واللعب وهي مادة كثر الكلام عليها ذلك ان فيها لغات فهي « دَد » بالفتح والتخفيف وهي اللغة الكثيرة ثم المضعفة التي أشرنا إليها ثم « دَدا » بفتح وتخفيف مع الف مثل « نَدَى » و « دَدَنْ » مثل « بَدَن » •

وقالوا أيضا دَيْدٌ ودَيَدانٌ ودَدَن •

وأكبر الظن ان من المضعّفة « ديدن » و « دَيْدان » بعد فك التضعيف وإبدال الاول من الدالين بالياء ، وهذا الابدال كثير في العربية مثل أمّا وأيْما وغَنّاء وغَيْناء وقد أشرنا إليه في غير هذا الموضع ، ثم ان النون في الآخر هو بسبب رسم التنوين تصوراً منهم لآخر الكلمة ، ولمثل هذا نظائر في العربية •

ومن الطريف ان أشير الى ان « الدَيدان » ما زالت معروفة في العامية البغدادية ولكنها بكسر الدال •

٧٦ ــ دعس

قال المتنبي :

الخائِضَ الغَمَراتِ غيرَ مُدافَعٍ والشَمَّريَّ المِطْعَن الدِعِّيسا

من قصيدة يمدح فيها محمد بن زُرَيق الطرسوسي ومطلعها :

هذي بَرَزتِ لنا فهجت رسيسا ثم انصرفت وما شَفَيتِ نَسيسا

اللغة والشرح :

نصب الخائض بفعل مضمر كأنه قال ذكرت أو مدحت الخائض أو أنه بدل من الهاء في « عادِهِ » في بيت سابق والشَمَّريّ الجادّ في أمره والمشمِّر ، ورُوِي بكسر الشين كذلك حكاه أبو زيد ، والدِعِّيس فِعِّيل من الدَعْس وهو الطعن •

يقول : هو الذي يخوض شدائد الحرب فلا يعارضه أحد •

تعليق :

قالوا : مِدعَس ودِعِّيس مثل شِرِّيب للمبالغة وهو المداعِس الكثير الطعن •

والدِعِّيس قليل الورود وأكثر منه المِدْعس ، ولكن الشاعر جاء به لموافقته قافية وروي البيت وهو السين الذي بنى عليه القصيدة كلها فاضطر أن يأتي بـ « رسيس ، ونسيس ، وجالينوس ، وعيسى ، وموسى ، وتقييس ، وعرِّيس ، وابليس ، وناووس ، وطرسوس » •

وأكبر الظن ان « طرسوس » هي التي جاءت بالقافية اللعينة التي اضطرت الشاعر ان يأتي بهذا الحشد فيتكلف لذلك تكلفا كبيراً •

ولابد من القول ان الشَمَّريّ ما زال معروفاً مستعملاً في بعض لهجات القرى في العراق ولا سيما في المواطن الوسطى •

٧٧ ـ دول

قال المتنبي :

بكُلِّ مُنْصلِتٍ ما زالَ مُنتَظِري
حتى أَدَلْتُ لـه من دَوْلةِ الخَدَمِ

من قصيدة قالها في صباه ومطلعها :

ضيف أَلَمَّ برأسي غَيْرَ مُحتَشِمِ
والسيفُ أحسَنُ فِعلاً منه باللِّمَمِ

اللغة والشرح :

يقول : لأتركَنَّ الحرب قائمة بكل رجل ماضٍ في الأمر طالما انتظَرَ خروجي على السلطان حتى أعطيتُه الدولة من الخَدَم الذين لا يستحقّون الامارة وعنى بها الأتراك الذين تَملّكوا بالعراق •

ويقال : أدَلْتُ له من فلان اذا أعنته عليه حتى جعلت له الدولة •

تعليق :

قالوا : الإدالة : الغَلَبة • وأدالَنا الله من عـدوّنا : من الدولـة ، يقال : اللّهم أدِلْني على فلان وانصرني عليه •

وفي حديث ثقيف : نُدالُ عليهم ويُدالونَ علينا ، الإدالة : الغلبة • ويقال : أُديلَ لنا على أعدائنا أي نُصِرنا عليهم وكانت الدولة لنا ، والدولة : الانتقال من حال الشدة الى الرخاء •

وقال الحجّاج : يُوشِك ان تُدالَ الارضُ منا كما أُدِلْنا منها أي يُجعَل لها الكرّةُ فتأكل لحومنا كما أكلنـا ثِمارَها وتشرب دماءنا كما شربنا مياهها •

أقول والفعل أدال من « الدولة » وهي الانتقال كما ذكروا ولعلها أقرب الى « الدورة » اي الدوَران وفي الدوران انتقال ، ولذلك قالـوا : « الايام دول » أي انها تنتقل من قوم الى قوم ومن حال الى حال •

ثم تجاوزت الكلمة فكرة الانتقال والتحول الى الغلبة التي يؤدي اليها التحول والانتقال •

٧٨ ـ دون

قال المتنبي :

ولست بدُونٍ يُرتَجَى الغَيثُ دونَـه
ولا مُنتَهىَ الجودِ الذي خَلْفَه خَلْفُ

من قصيدة يمدح فيها أبا الفرج أحمد بن الحسين القاضـي المالكي ومطلعها :

لِجِنيَّـةٍ أم غـادةٍ رُفِـعَ السجف
لوَحْشيَّةٍ لا مـا لوَحْشِيّةٍ شَنْفُ

اللغة والشرح :

أي لست بقليل من الرجال ولا صغير المقدار ، يقال : هذا رجلٌ دونٌ ورأيت رجلاً دوناً ومررت برجل دونٍ •

يقول : لست خسيساً فيرُتَجَى الغيث دونه ، ولا تُرْتَجى أنت وليس وراءك للجود منتهى والمعنى : ان الجودَ مقصور عليك لا يُرْتَجَى الجود دونك ولا يتجاوز عنك •

تعليق :

ان كلمة « دون » في الأصل نقيض فوق ، وهو تقصير عن الغاية ويكون ظرفاً • ومن هذا المعنى الظرفي توسعوا فاخذوا معنى الخسة التي هي قريبة مما هو في أحطّ الدركات السفلى ، وقال الشاعر :

اذا ما عَلا المــرءُ رامَ العَلاءَ ويَقنَعُ بالدونِ من كان دونا

وفي هذا إشارة الى الخسة والتقصير والقلة •

ولم يشتقّوا فعلاً من هذا الظرف • وعلى كل حال فسبيل العربية في إيجاد المواد سبيل واسع متعدد النواحي •

٧٩ – دير

قال المتنبي :

أُسائلُهــا عــن المُتَديّريهــا فلا تَدْري ولا تُذري دُموعــا

من قصيدة يمدح فيها علي بن ابراهيم التنوخيّ ومطلعها :

مُلِثّ القَطْرِ أعطَشَها رُبوعا وإلاّ فاسقِهــا السُمَّ النقيعــا

اللغة والشرح :

أسائلها عن الذين اتخذوها داراً اين ذهبوا فلا تدري ذلك ولا تساعدني على البكاء •

والاذراء : الالقاء .

تعليق :

لقد عاب النقاد والحاقدون عليه قوله « المتديّريها » وعدوا ذلك من سَقَطه ، والى ذلك أشار الصاحب بن عباد في كتابه « الكشف عن مساوىء المتنبي » .

ولقد حسبوا هذا التوليد في هذه الكلمة من التزيد والتكلف ، وكأنهم قالوا انه خطأ وتوليد لم يسمع .

أقول : جرى المتنبي في توفير مادته بجرأة نادرة في بعض الأحايين ، فقد شعر أنه يملك من مواد اللغة ما يستطيع ان يفخر به ، وكأنه أتاح لنفسه لتوفر هذه السعة والاحاطة فيه ان يولّد ما يريد فكان « المتديريها » وكان قوله « خَنْثى الفحول » كما أشرنا الى ذلك وكانت أشياء أخرى مما سيكشف عنها الاستقراء .

حرف الذال

٨٠ ـ ذعلب

قال المتنبي :

لم يتركوا لي صاحباً غير الأسى وذَميلَ ذعلبةٍ كفحل نَعامِ

من قصيدة قالها سنة احدى وعشرين وثلاثمائة برأس العين وقد أوقع سيف الدولة بعمرو بن حابس من بني أسد وبني ضبة ولم ينشده ايّاها فلما لقيه دخلت في جملة مديحه ومطلعها :

ذِكرُ الصِبَا ومرابِعُ الآرامِ جَلَبَتْ حمامي قبل وقت حمامي

اللغة والشرح :

ذِعْلِبة : ناقة سريعة •

يقول : فارقوني فصاحبت بعدهم الحزن وسير ناقة كالظليم في سرعتها •

تعليق :

كان الشاعر ذا وَلوع بالغريب فهو يستحضره من اوابد الادب الجاهلي والأدب الاسلامي ويعيده مادة جديدة حافلة بحياة جديدة في زمن تبدلت فيه الشخوص والأعلام من بداوة وحضارة •

قد تكون غرائبه متأتّيةً بسبب القافية كأن يبني قصيدة على قافية شرود فتأتي الناووس والدِعِّيس والتقييس وجالينوس والمجوس وطرسوس وغير ذلك وكأن تكون القافية « زاءً » فيأتى بـ : أبرَوازِ وهوّاز ونُحاز وأقواز والكِناز والخاز باز •

ولكنه لا يأتي بهذه الغرائب بسبب من أنه اضطر اليها اضطرارا كالذي يحدث من امر القافية ، بل يقذف بالغريب النافر الذي يبتعد كل البعد عن الحضارة فيأتي بما هو أشد لصوقاً بالبداوة وتصويراً لها . ومن هذا قوله : « ذميل ذعلبة » ، فقد كان في طوقه أن يستبدل بالذِعْلِبة هذه مادة أخرى مما يعرفه الجمع الكثير كأن يقول « وذميل ناجية » ولكنه لم يفعل ذلك حباً منه لهذا المعين الثرّ من الفاظ البادية وأدواتها . وهو يخاطب كافوراً هاجياً له قائلاً « فياهِرمِل الدنيا » .

ولم أجد في كتب اللغة « الهِرْمِل » هذا والذي نعرفه من هذه المادة : هَرْمَلَت العجوز أي بَليَتْ من الكِبَر .

وكأن يقول : « سَدِكت بصرف الدهر طفلاً ويافِعاً » وهو يُريدُ لزمته وولعت به .

وكأن يقول أيضاً : صحبت ملوك الارض مُغتبطاً بهم . وفارقتُهم ملآنَ من شَنَفٍ صدراً .

والشنف محركة البغض .

أقول : كان يمتلك اللغة امتلاك رواتها وعلمائها وكأنه أحدهم ومن اجل ذلك كان شعره ملاك العربية .

٨١ ـ ذفر

قال المتنبي :

شَدَوا بابنِ اسحاقَ الحُسَينِ فصافحَتْ
ذَفاريَها كِيرانُها والنمارِق

من قصيدة يمدح فيها الحسين بن اسحاق التنوخي ومطلعها :

هو البينُ حتى ما تأنّى الحزائقُ
ويا قلبُ حتى أنتَ ممن أفارقُ

اللغة والشرح :

يقول : غنّوا بمدح ابن اسحاق فنشطت الابل ورفعت رءوسها حتى ضربت بأقفائها رِحالَها ونَمارقَها .

والذفاري : جمع الذِفْرَى وهو ما خَلْفَ الأُذنين ، والكيران جمع الكُور وهو الرَحْل ، والنَمارِق جمع نِمْرَقة وهي الوسادة تحت الراكب .

تعليق :

قلت ان تعلّقه بالبيئة البدوية ملازم له فاذا أراد ان يمدح فلابد من حضور الصورة القديمة التي تقتضي السير والرحلة ، وهو صائر من غير شك الى ان يهيّيء نفسه باتخاذ ما يلزم من مواد الرحلة كالجواد أو الناقة ولابد ان يهيىء الرحل ويعد آلة الرحيل فيأتي على اجزائها وما يتصل بذلك . وهو ايضاً صائر الى مثل هذا إن رثى أو هجا أو رجع الى نفسه مخاطباً مناجياً .

٨٢ ــ ذكو

قال المتنبي :

ومن عاتقٍ نَصْرانةٍ بَرَزَتْ له
أسيلةِ خَدٍّ عن قليلٍ ستُلْطَمُ

صُفُوفاً لليْثٍ في لُيوثٍ حُصُونُها
مُتُونُ المَذاكي والوَشيجُ المُقَوَّمُ

من قصيدة يمدح فيها عمر بن سليمان الشَرابي وهو يومئذٍ يتولّى الفداء بين الروم والعرب ومطلعها :

نَرَى عِظَماً بالبَينِ والصَدُّ أعظَمُ
ونَتَّهِمُ الواشينَ والدمعُ منهُمُ

اللغة والشرح :

آثرت أن أثبت البيتين لعلاقة الثاني بالاول .

يريد جارية عاتقاً اي شابّة بكراً ، والنصرانـة تأنيث نَصْر ان برزت للممدوح أي خرجت عن سترها لأنّها سُبِيَتْ فهي تَلْطَم وتهـان وان كانت حسنة الخدّ .

ثم يقول : برزت صفوفاً لان « عاتق » ههنا في معنى جماعة كما تقول : كم من رجلٍ جاءني ، والمذاكي الخيل المُسِنَّة جمع المُذَكّي .

تعليق :

لعل المتنبي أحسن من وصف الحرب لانه ادرك بيئة الحرب وما يلزمها من أدوات هي أدوات البيئة القديمة من خيل وركاب ورجال وسيوف ورماح وما يتصل بهذه الحال .

لقد حفل شعره بهذه المواد فاستحضرها من مادة قديمة لا يلم بها الا فئة خبرت الأمر ان شبت الوغى ودارت رحاها .

وانت تستطيع ان تصنف في مادة الخيل وما يتصل بهـا ان استقريت شعر المتنبي وصحبته في وقائعه ومسيرته الطويلة .

٨٣ ــ ذيم

قال المتنبي :

وقبضُ نَوالِه شَرَفٌ وعـزٌ   وقبضُ نَوال بَعضِ القوم ذامُ

من قصيدة يمدح فيها المغيث بن علي بن بشر العجلي ومطلعها :

فـؤادٌ ما تُسلّيــهِ المُــدامُ   وعُمْرٌ مثل ما تَهَبُ اللئــامُ

اللغة والشرح :

الذام : العيب ، قال عويف القوافي :

ألَـمَّتْ خُناسُ والِمامُهـا   أحـاديثُ نَفسٍ وأسقامُهـا

ومنها :

يَردُ الكتيبةَ مفلولةً بها أفنُها وبها ذامُها

تعليق :

قالوا : الذام هو العيب ومثله الذَيْم أي العيب ايضاً ، ولعلي أقرّب بين هذين وبين المضعف « ذمّ » لأشير الى ان الجميع مادة واحدة وكثيراً ما نتقل من المضعف الى المعتلّ الاجوف كثيراً والى المعتل الناقص قليلاً والمعنى واحد أو متشابه مثل الضرّ والضير والغبّ والغيب والغياب .

ونظير الذامُ والذَيْم والعابُ والعَيْب . وفي المثل : لا تعدَم الحسناءُ ذاماً .

وقالوا ذامَه يَذِيمه ذيماً وذاماً بمعنى عابه .

وقد ورد الفعل في قول المتنبي :

ونذيمهم وبهم عرَفْنا فضلَه وبضدّها تتَبيَّنُ الاشياءُ

حرف الراء

٨٤ ـ رأي

قال المتنبي :

لا خَلْقَ أسمَحُ منك الا عارفٌ
بكَ راءَ نفَسك لم يقُلْ لك هاتِها

من قصيدة يمدح فيها أبا أيّوب أحمد بن عمران ومطلعها :

سَرْبٌ محاسِنهُ حُرِمْتُ ذَواتِها
داني الصفاتِ بعيدُ موصوفاتها

اللغة والشرح :

راءَ مقلوب رأى كما قالوا ناءَ ونَأَى .

يقول : لا أحد أسمحُ منك الا انسان رآك فعرفك فلم يسألك ان تَهَبَ له نفسك .

تعليق :

أقول : راء مقلوب رأى وهذا حاصل في طائفة من الافعال الثلاثية ، وقد مثّل الشارح بالفعل « ناء » و « نأى » . وأود ان أضيف شاء وشأى مع فارق ضئيل في المعنى ومثله « آنَ » و « أنى » وغير ذلك .

وقد استعمل المتنبي الفعل المقلوب « راء » غير مرة ، فقال :

كيف تَرْثي التي تَرَى كل جَفنٍ راءَها غيرَ جَفنها غيرَ راقي

وقال ايضاً :

يضيقُ على من راءَه العُذْرُ أنْ يُرى

ضعيفَ المساعي أو قليلَ التكرّمِ

وما أظن ان ما يقتضيه وزن الشعر جعل الشاعر يستعمل هذه الصيغة بدلاً من الصيغة المشهورة ، ولكن السعي الى الابنية النادرة دفعه الى ان يسلك هذا المسلك .

ومن المفيد ان أشير الى استعماله « رأى » اي أصاب رئته مثل عانَه اي أصاب عينه وبَطَنه أصابَ بطنه ومثله شيء آخر ، وهو قوله :

لأكبتَ حاسداً وأَرَى عدوّاً كأنّهما وداعُك والرحيلُ

من قصيدة مطلعها :

رُوَيْدَكَ أيّها الملك الجليلُ تأنَّ وعُدَّهُ مما تُنيلُ

الشرح :

يقول : جُدْ بالمقام لأكبِتَ من يحسدني قربك وأُوجع رئة عدوّي . ثم شبّه الحاسد والعدو بوداعه وارتحاله لانّهما يُنكيان في قلبه ويوجعانه .

تعليق :

اقول : ان قوله « وأرى عدوّاً » اي أصيب واوجع رئة العدوّ من العربية التي ذهبت في الاشتقاق مذهباً بعيداً ذلك ان في العربية أفعالاً تتصل بكل عضو من اعضاء خلق الانسان تفيد اصابتها . ولعل هذا بسبب الحاجة ذلك انهم يتعرضون في حياتهم للضرب في حروبهم وأيامهم . ولانتفاء اسلوب العيش القديم انتفت الحاجة الى ذلك الكلم .

٨٥ ــ ربحل

قال المتنبي :

رِبَحْلَةٍ أسمَرٍ مُقَبَّلُها سِبَحْلَةٍ أبيضٍ مُجَرَّدُها

من قصيدة قالها في صباه يمدح محمد بن عبيدالله العلوي ومطلعها :

أهلاً بدارٍ سَباكَ أغيَدُها أَبعَدُ ما بانَ عنكَ خُرَّدُها

اللغة والشرح :

الرِبَحْلة والسِبَحْلة من نعوت النساء وهي الجسيمة الطويلة العظيمة ؛ قالت امرأة من العرب تصف بنتها :

رِبَحْلةٌ سِبَحْلَهْ تَنْمي نَماءَ النَخْلَهْ

والمُقَبَّل : موضع التقبيل وهو الشفة وتُحْمَد فيها السُمرة كما قال ذو الرمة :

لَمياء في شفَتَيْها حُوَّةٌ لَعَسٌ وفي اللِثاتِ وفي أنيابها شَنَبُ

والمُجَرَّد حيث تجرَّد من بدنها اي تُعَرَّى من الثوب ، وصفها بسمرة الشفة وبياض اللون .

وخَصَّ المجرَّد وهو الأطراف لانّه اذا ابيضَّ المجرَّد وهو الذي يُصيبه الريح والشمس ويظهر للرائين كان سائر بدنها أشدَّ بياضاً .

تعليق :

الرِبَحْل : التارُّ في طول ، وقيل التامّ .

الليث هو سِبَحْل رِبَحْل اذا وصف بالتَرارة والنعمة . وجارية سِبَحْلة رِبَحْلة : ضخمة لحيمة جيدة الخَلْق في طول أيضاً .

وقد جاء في مادة « سبحل » قول بعض نساء الأعراب وهو المذكور في « الشرح » . وهذا الرجز هو الشاهد الوحيد الذي ورد في كتب اللغة ثم جاء المتنبي فاستعمل الكلمتين « رِبَحْلة ، سِبَحْلة » جرياً على دأبه في إحياء هذه الاوابد .

٨٦ — رسس

قال المتنبي :

هذي بَرَزْتِ فهِجْتِ رَسيسا ثم انصرَفْتِ وما شَفَيْتِ نَسيسا

وهو مطلع قصيدة يمدح فيها محمد بن زُرَيق الطرسوسي .

اللغة والشرح :

قال ابن جني : أي يا هذه ناداها وحذف حرف النداء ضرورة •

وقال ابو العلاء المعري : هذي موضوعة موضع المصدر واشارة الى البرزة الواحدة كأنه يقول :

هذه البرزة برزت لنا ، كأنه يستحسن تلك البرزة الواحدة ، وأنشد :

يا ابلي إمّا سلمت هذي
فاستوسقي لصارم هذّاذ
أو طارق في الدجن والرذاذ

يريد : هذه الكرّة ، وهذا تأويل حسن لا ضرورة فيه ولا حاجة معه الى الاعتذار •

والرسيس والرس مس الحمى وأولها وهو ما يتولد منها من الضعف • والرسيس مارسّ في القلب من الهوى أي ثبت ومنه قول ذي الرمة :

اذا غيّر النأي المحبين لم يكد
رسيس الهوى من ذكر ميّة يبرح

وهذا هو المراد في بيت المتنبي • والنسيس بقية النفس بعد المرض والهزال •

يقول : برزت لنا فحركت ما كان في قلبنا من هواك ثم انصرفت عنّا ولم تشفي بقايا نفوسنا التي ابقيت لنا بالوصال •

تعليق :

قالوا : الرسيس مارسّ في القلب من الهوى أي ثبت •

أقول : وما زال العامة في العراق يستعملون الرس (بكسر الراء) للدلالة على الاصل الثابت أو الخصلة الموروثة ، وأكثر استعمالهم لهذه الكلمة في الموروث الشرير أو الفاسد من الطبع والخلق •

٨٧ ـ رعل

قال المتنبي :

تقنص الخَيلَ خَيْله قَنَصَ الوَحْشِ
ويَسْتَأسِرُ الخميسَ الرَّعيلُ

من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة وقد بعث إليه هديّة الى العراق ومالاً دفعةً بعد دفعة في شوال سنة ٣٥١ ومطلعها :

ما لَنا كلّنا جَوٍ يا رَسولُ
أنا أهوَى وقلبُك المتبولُ

اللغة والشرح :

يقول : خيله تصيد الخيولَ كما تصيد الوحشَ ، والقليل من جيشه يأسر الجيش الكثير . والرعيل القطعة من الخيل ، والخميس الجيش الكثير الذين هم خمسُ كتائب القلب والجناحان والمقدمة والساقة .

تعليق :

جاء في كتب اللغة : الرعيل اسم كل قطعة متقدمة من خيل وجراد وطير ورجال ونجوم وإبل وغير ذلك . وشاهد الرعيل للابل قول القحيف العقيليّ :

أتعرفُ أم لا رسمَ دارٍ معَطّلا من العام يغشاه ، ومن عامِ أوّلا
قطارٌ وتاراتٍ حريقٌ ، كأنّها مَضَلّةُ بَوٍّ في رعيلٍ تَعَجّلا

قال ابن سيده : والرعيل كالرِعْلة ، وقد يكون من الخيل والرجال ، قال عنترة :

إذ لا أبادرُ في المضيق فوارسي أو لا أوَكّل بالرعيلِ الأوّلِ

ويكون من البقر ، قال :

تَجرّدُ من نَصيّتها نَواجٍ كما ينجو من البَقَر الرعيلُ

والجمع أرعال ، وجمع الجمع أراعيل .

وقال بعضهم : يقال للقطعة من الفرسان رَعْلة ، ولجماعة الخيل رعيل .

وفي حديث علي ــ رضى الله عنه ــ : سِراعاً الى أمره رعيلاً أي رُكّاباً على الخيل .

أقول : وما زال شيء من « الرعيل » هذه معروفاً في عربيتنا المعاصرة ولكنها انصرفت المفرقة القليلة العدد من الناس ، وورودها في الاستعمال قليل .

٨٨ – رعي

قال المتنبي :

يُرعيكَ سَمْعاً فيه استماع الى الداعي وفيه عن الخَنَا صَمَمُ

من قصيدة يمدح فيها علي بن ابراهيم التنوخيّ ومطلعها :

أحَقٌ عافٍ بِدَمْعِك الهِمَمُ أَحدَثُ شيءٍ عهداً بها القِدَمُ

اللغة والشرح :

يقال : أَرْعِني سَمْعَك أي استمعْ منّي ومعناه اجعل سمعَك لكلامي بمنزلة الموضع الذي يُرْعَى فيه ويُتَصرَّف .

يقول : هو يسمع صوت من يدعوه ويستغيث به وهو كالأصمّ عن الفُحْش .

تعليق :

قالوا : وأَرْعِني سَمْعَك وراعِني سمعك أي استمِعْ اليَّ .

وأرْعَيْتُ فلاناً سَمْعي اذا استَمعْتُ الى ما يقول وأصغَيْتُ له .

وأرْعَى اليه : استَمَعَ .

وأنت ترى ان الأصل « الرعَي » فكأن الذي تستمع إليه وتصغي له تجعل له من سمعك ما تجعله من ارضك التي يُرعَى فيها ويُتَصرَّف .

وهذا يعني ان البيئة العربية البدوية القديمة هي مادة لغتهم منها تصرفوا

وفي شخوصها واعلامها توجهت العربية هنا وهناك فاستحدثت الالفاظ وكثرت المدلولات •

وأريد ان اقف الدارس على نمط من المجاز الجديد الذي يرد في لغتنا المعاصرة ، وما اكثر هذه المجازات الجديدة التي أضيفت الى العربية الحديثة مترجمة منقولة من لغات أعجمية غربية • ومن هذه المجازات الجديدة قولهم: « أعِرْني سمعك أو أذنك » • ولم تعرف العربية الفصيحة في عصورها الفائتة هذا المجاز أو قل هذه الاستعارة • ان استعارة السمع أو الأذن بمعنى الاصغاء وطلب الاستماع شيء منقول عن لغة أعجمية غربية ففي الفرنسية مثلاً يقولون مثل هذا •

وأنت تدرك الفرق بين « إعارة السمع » وهو مصطلح وأسلوب مأخوذ من بيئة فيها تجارة وربح وبيع واعارة واِجارة وبين « ارعاء السمع » فتتشوف نفسك الى بيئة الراعي القديم في أرضه مع اِبله يتنقل من مَرْعىً الى آخر •

٨٩ ـ رغل

قال المتنبي :

تَخْدِي الرِكابُ بنا بيضاً مشافِرُها
خُضْراً فراسِنُها في الرُغْلِ واليَنَمِ

من قصيدة للشاعر قالها بعد خروجه من مدينة السلام يذكر مسيره من مصر ويَرثى فاتكاً وانشأها يوم الثلاثاء لتسع خلَوْن من شعبان سنة ٣٥٢ ومطلعها :

حتّامَ نحنُ نساري النجم في الظُلَمِ
وما سُراهُ على خُفٍّ ولا قَدَمِ ،

اللغة والشرح :

تسير الابل بنا وهي بيض المشافر باللغام ، وقال ابن جنّي لأنها لا تُتْرَكُ ترعَى لشدة السير خُضْر الفراسِن لأنّها تسير في هذين النبتين ، والفِرسن لحم خف البعير •

تعليق :

أقول : لم يشأ شارح الديوان أنْ يشرح الرُغْل ولا اليَنَم وكلاهما نبت ، ويبدو أنهما كانا معروفين في عصره فلا حاجة الى شرح يبيّن حقيقتهما

الرُغْل : ضَرْب من الحَمْض ، والجمع أرغال ، قال أبو حنيفة : الرُغل حَمضة تنفرش وعيدانها صِلاب ، وورقها نحوٌ من ورق الحَماحِم[1] الا أنها بيضاء ومنابتها السهول ، قال ابو النجم :

تَظَلُّ حِفْراه من التَهَدُّلِ   في روض ذَفْراء ورُغْلٍ مُخْجِلِ

قال الليث : الرُغْل نبات تسمّيه الفُرْس السَرْمَق وأنشد :

بات َ من الخَلْصاءِ في رُغْلٍ أَغَنّ

قال ابو منصور : غَلِطَ الليث في تفسير الرَغْل أنّه السَّرمَق ، والرُغْل من شجر الحمض وورقه مفتول ، والابِل تَحْمِض به ، قال : وأنشدني أعرابي ونحن بالصمّان :

نَرعَى من الصِمّانَ روضاً آرِجا   ورُغُلاً باتَتْ به لواهِجا

وأرغَلَت الأرض : انبتت الرُغْل .

واليَنَمة : عشبة طيبة اذا رعتها الماشية كثر رغوة ألبانها مع قلة .

ابن سيده : اليَنَمة نبتة من احرار البقول تنبت في السهل ودكادك الارض ، لها ورق طِوال لِطاف مُحَدَّب الاطراف ، عليه وَبَرٌ أغبر كأنه قطع الفراء وزهرتها مثل سنبلة الشعير وحَبها صغير .

وقال أبو حنيفة : الينمة ليس لها زهر ، وفيها حَبٌ كثير ، يسمَن عليها الابل ولا تغزُر .

أقول : نحن في هذا العصر عصر العلم أحوج الى شيء من ضبط وتدقيق يتناول المواد تناولاً وافياً فلا يدع شيئاً منها ، والذي ذكره ابن سيده وابو حنيفة كان على نحو ما يتناول عالم النبات في عصرنا فقد افاضا في وصف النبات وأتيا على كثير من الخصائص المميزة .

---

(١) الحماحم : ريحانة معروفة باطراف اليمن وليست ببرية وتعظم عندهم . وقد أخطأ ناشر « اللسان » فاثبتها بالجيم في مادة « رغل » .

٩٠ ــ رفق

قال المتنبي :

وَقَعَتْ على الأُرْدُنِّ منه بَلِيّةٌ   نَضَدَتْ بها هامَ الرِفاقِ تلولا

من قصيدة يذكر فيها منازلة بدر بن عمار للأسد ومطلعها :

في الخد أَنْ عَزَمَ الخليطُ رَحيلا   مَطَرٌ تَزيد بـه الخدود مُحُولا

اللغة والشرح :

الاردُنّ نهر معروف ، ونَضَدَت : وضعت بعضه على بعض .

يقول : كان هذا الأسد بليّةً وقعَت على أهل هذا النهر فأكثر قتل الرفاق في السفر وهي جمع رُفْقة حتى ترك رءوسَهم كالتلول المجتمعة من التراب ، واسنَدَ الفعل الى البلية وهي الأسد .

تعليق :

أقول : ذكروا ان « الرُفْقة » جمع رفيق والصحيح انها اسم جمع للرفيق والجمع رُفَق بضم وفتح ورِفاق بكسر الراء .

والرِفاق بكسر الراء جمع رفيق أيضاً وهذه هي التي بقيت في عربيتنا المعاصرة ، وتكاد هذه العربية الحديثة لا تعرف « الرُفقة » الا أنها مصدر أو اسم مصدر للفعل « رافق » . وكأن معنى الجمع قد زال عنها وتجرّدت الى الاسمية .

٩١ ــ ركن

قال المتنبي :

يروع ركانــةً ويذوب ظـرفاً   فما يُدْرَى أَشَيْخٌ أم غُلامُ

من قصيدة يمدح فيها المُغيث بن عليّ بن بِشر العجليّ ومطلعها :

فـؤادٌ ما تُسلّيــهِ المُــدامُ   وعُمْرٌ مثلُ ما تَهَبُ اللئـامُ

اللغة والشرح :

يَروعُ : يُفزِع ، والركانة الوَقار ورجل ركين أي وَقور . يعني أنه جمع بين وَقار الشيوخ وظرافة الفتيان .

تعليق :

قالوا : ورجل ركين : رَميز ، وقور ، رزين ، بَيِّن الرَكانة ، وهي لرَكانة والرَكانية . ويقال للرجل اذا كان ساكناً وقوراً : انه لركين ، وقد رَكُن ، بالضم ركانة .

أقول : على ان المادة « ركن » معروفة بالفعل والاسم الذي هو « رُكن » بالضم لا تعرف لغتنا الحاضرة هذه الفائدة المعنوية والمجازية في هذه الكلمة . وفي احياء هذه المادة بهذا المعنى فائدة ، ذلك أنها تشتمل على خصوصية في المعنى لا نجدها في لفظة واحدة وهي السكون والوقار .

٩٢ ـ رمع

قال المتنبي :

أركائبَ الأحبابِ إنَّ الادمُعا
تَطِسُ الخدودَ كما تطِسْنَ اليَرْمَعا

والبيت مطلع قصيدة يمدح فيها عبدالواحد بن العباس بن ابي الأصبغ الكاتب .

اللغة والشرح :

الركائب جمع الركوب وهي ما يُركَب ، وتطِسُ تدُقّ ، والوَطْس الدقّ ، واليَرْمَع حجارة رِخوة .

تعليق :

قالوا : اليَرْمَع هو الحصى البيض تَلألأُ في الشمس ، وقال رؤبة يذكر السراب :

ورَقْرَق الأبصارَ حتى أَفدَعا   بالبيد ايقادَ النهار اليَرْمَعا

قال اللحيانيّ : هي حجارة ليّنة رِقاق بيض تلمع . وقيل : هي حجارة رخوة ، والواحدة من كل ذلك يَرْمَعة . ويقال للمغموم : تَرَكْته يفُتّ اليَرْمعا .

وفي مَثَل : كَفَّا مُطَلَّقةٍ تفتُّ اليَرْمَعا

يضرب مثلاً للنادم على الشيء .

أقول : وقد أتيت على طائفة من الالفاظ التي تأتي على وزن المضارع عدا تلك التي تفيد التفاؤل او الدعاء بالبقاء مثل يزيد ويعيش ويعمر ونحو ذلك ، فوجدت ان الغالب فيها أصول يمانية مثل يعرب ويشجب ويحمر ويثرب وينبع وتغلب وغير ذلك .

٩٣ - رمى

قال المتنبي :

وما أَرْمَتْ على العِشرينَ سِنّي فكيف مَلِلْتُ مِن طول البقاء

من قصيدة خاطب فيها محمد بن اسحاق الذي بلغه أن ابا الطيب هجاه وانما هُجِيَ على لسانه فعاتبه محمد بن اسحاق فقال ابو الطيب مجيباً :

أَتُنكِرُ يا ابنَ اسحاقٍ إخائي وتَحسِبُ ماء غيري من إنائي

اللغة والشرح :

أي ما زادت سنو عُمري على العشرين فكيف أمَلُّ طول البقاء بالتعرُّض لهجائك .

تعليق :

اقول : أرْمَت هي أَربَتْ فابدل من الباء الأصلية ميماً . وهذا الابدال قديم وقد وردت على لغة الابدال هذه أخبار نستطيع ان تتخذ منها شواهد في هذه المادة نفسها .

قالوا : ورَمَى على الخمسين رَمْياً وأَرمَى : زادَ . وكلّ ما زاد على شيء فقد أرمى عليه كما يقال : أرْبَى والرَماء بالفتح والمدّ : الرِّبا . قال اللحياني : هو على البَدَل .

وفي حديث عمر : لا تبيعوا الذهب بالفضة الا يَداً بيد هاءَ وهاءَ اني أخاف عليكم الرَماء ، قال الكسائي : هو بالفتح والمد . قال أبو عبيد : أراد بالرَماء الزيادة بمعنى الرِّبا .

قال حاتم :

وأَسمَــرَ خَطِّيّــاً كأنَّ كُعوبَــــه
نَوَى القَسْب قد أرْمَى ذراعاً على العَشْرِ

أي قد زادَ عليها •

أقول : لم يشأ المتنبي ان يستعمل الفعل « أرْبَى » بالباء على الأصل ، بل لجأ الى « أَرْمَى » على البدل اتباعاً للحديث وللمأثور من الشعر القديم ، ولا أريد ان أقول إنه لو استعمل الصورة الأخرى لجانب الفصاحة ، ولكنني أشعر ان المتنبي كان يتوخى الصور والابنية التي لا يعرفها الا خاصة الناس من أهل العلم •

٩٤ ـ رهش

قال المتنبي :

يُدَمِّي بَعضُ أيدي الخيلِ بعضاً   وما بعُجايَــةٍ أَثَــر ارتِهــاشِ

من قصيدة يمدح فيها أبا العشائر الحسين بن علي بن حمدان ومطلعها :

مَبيتي مــن دِمَشْقَ على فِراشٍ   حَشاهُ لي بحَــرٍّ حَشايَ حاشي

اللغة والشرح :

العُجاية عَصَبة في اليد فوق الحافر ، والارتهـاش اصطكاك اليدين حتى تنعَفِرَ الرواهش وهي عَصَب الذراع •

يقول : ازدَحَمت الخيل عاديةً بين يَدَيْه في سوق انطاكيّة فدَمَّتْ أيدي بعضها أيدي بعض ولم يكن ثَمَّ ارتهاش ، ويجوز ان تكون التدْمِية من دماء القَتْلَى •

تعليق :

أقول : قد يقال ان القافية وهي الشين هي التي أتت بـ « الارتهاش » ، ولكني أقول انه لا يضطر الى ذلك اضطراراً وذلك لانه يملك مواد ما يعرض له من موضوعات فاذا كان الأمر يتصل بالحرب وما يدور فيها فالمتنبي شاعر

الحرب خبرها وعرف ما يتصل بها وكيف تدور وما يلزم فيها من سيف ورمح وطعن وضرب وهو القائل :

ولا تحسبَنَّ المجد زِقّاً وقَيْنةً
فما المجدُ الا السيفُ والفتْكةُ البِكرُ
وتضريبُ اعناق الملوك وأن ترى
لك الهَبَوات السودُ والعَسْكرُ المَجْر

٩٥ – روح

قال المتنبي :

وترَكْتَ أَنْتَنَ ريحةٍ مذمومةٍ
وسلَبْتَ أطيَبَ ريحةٍ تتَضَوَّعُ

من قصيدة يرثي بها ابا شجاع فاتكاً وقد تُوفّيَ بمصر ليلة الأحد لاِحدَى عشرة ليلة خلت من شوّال سنة ٣٥٠ ومطلعها :

الحُزن يُقلِقُ والتجَمّلُ يَرْدَعُ
والدَمعُ بينهما عَصِيٌّ طَيِّعُ

اللغة

قالوا : الريحة طائفة من الريح ، سيبويه قال : وقد يجوز ان يدُلّ الواحد على ما يدُلّ عليه الجمع •

وحكى بعضهم : ريح وريحة مع كوكب وكوكبة وأشعر أنهما لغتان •

ويقال : ريح وريحة كما قالوا : دار ودارة •

تعليق :

اقول : ما زالت كلمة « ريحة » معروفة في الدارجة العراقية ولا يوجد غيرها وهي تعني رائحة في اللغة الفصيحة • والذي أراه ان المتنبي استعمل « ريحة » كما تستعمل اليوم في لغتنا الدارجة ولم يستعملها كما وردت في كتب اللغة •

٩٦ – روع

قال المتنبي :

ورائِعُهَا وحيدٌ لم يَرُعْهُ تباعُدُ جَيشِهِ والمُستَجاشِ

انظر مادة (جيش) في هذا المعجم .

اللغة : يعني بالرائع اي الممدوح الذي راعَهم أي أفزَعَهم .

تعليق :

قالوا : الرَوْع الفَزَع ، والرَوْعة : الفَزْعة ، وفي حديث الدعاء : اللهمَّ آمِنْ رَوْعاتي . جمع روعة وهي المرة الواحدة من الروع الفزع . وفي المثل : أفرَخَ رَوعُه أي ذَهَبَ فَزَعُه . وأفرَخ رُوعه . الرُوع « بالضم » موضع الرَوع وهو القلب . والرائع المفزع .

ولكنهم قالوا : وكل شيء يروعك منه جمال فهو رائع ، والرائع من الجمال الذي يُعجب رُوعَ من رآه فيَسرُّه .

والرَوعة : المَسْحة من الجمال . وفرس روعاء ورائعة تروعُك بعِتقها وصفتها .

وامرأة رائعة كذلك .

أقول : وكأن « رائع » و « روعة » انصرفتا للجمال وحده في لغتنا المعاصرة فلا تستعملان في الفزع والخوف .

٩٧ – روغ

قال المتنبي :

فولّتْ تُريغُ الغَيثَ والغَيثَ خلّفَت

وتطلُبُ ما قد كانَ في اليَدِ والرِجْلِ

من قصيدة يمدح دلّر بن كشكروز وكان قد أتَى الكوفة لقتال

الخارجي الذي نجم بها من بني كلاب وانصرف الخارجي قبل وصول دلاّر الى الكوفة ومطلعها :

كدَعْواكِ كلٌّ يَدَّعِي صِحَّةَ العَقْلِ
ومن ذا الذي يَدْري بما فيه من جَهْلِ

اللغة والشرح :

يقول ابو الفضل العَروضيّ : قد كانوا في أمنٍ ونعمة وشَبَّه ما كانوا فيه بالغيث فاستزادوا طلب الملك وجاؤوا محاربين فهُزموا فلما تولّوا هاربين قصدوا بأرجلهم ما كان في أيديهم من مواطنهم ونعمتهم فذلك قوله : « وتطلب ما قد كان في اليد والرِجْلِ » •

وقال ابن فورَّجة : يعني انها كانت في غيث من اِقطاع السلطان واِنعامه فلما عصوا وحاربوا ثم انهزموا وولوا هاربين يطلبون مأمناً وحصناً وقد خَلَّفَت أمْناً كان حاصلاً لها وتطلب بأرجلها ما كان في أيديها أي تطلب بَهَربها واِغذاذها على أرجلها ما كان حاصلاً في ايديها •

تعليق :

أقول : لقد جاء الشاعر بالفعل « أراغَ يُريغ » بمعنى يطلب ويريد • وما أظن ان « يطلب أو يريد » يسد مَسَدَّ « أراغ » ، ذلك ان في « الاراغة » شيئاً من الأصل المجرد « راغ يروغ » وراغ الى كذا أي مالَ إليه سراً وحاد • ومن هنا جاء الفعل راوغَ يراوغ ، يقال : فلان يراوغ فلاناً اذا كان يَحيد عما يُديره عليه ويُحايِصه • وأراغه وراوغه : خادَعَه •

وراغ الصيدُ : ذهب ههنا وههنا •

٩٨ ـ روق

قال المتنبي :

شَرَفٌ يَنْطَحُ النجومَ بِرَوْقَيْهِ وعِزٌّ يُقَلْقِلُ الأَجْبالا

من قصيدة يذكر فيها نهوض سيف الدولة الى ثغر الحَدَث لما بلغه ان الروم قد أحاطت به في جُمادَى الأولى سنة ٣٤٤ ومطلعها :

ذي المَعالي فَلْيَعْلُوَنْ مَن تَعالَى
هكذا هكذا والا فَلا لا

اللغة والشرح :

فَسَّرَ معاليه بهذا البيت فقال : شَرَفُكَ يُزاحِمُ النجوم في العُلُوّ وعِزُّكَ أثبَتُ من الجبال وأرْسَى منها حتى صارت الجبال بالاضافة إليه قلقة .

والرَوْق : القرن ، وكَنَى عن المزاحمة بالمناطحة .

ويجوز أن يريد : أنّ سلطانه ينفُذُ في كل شيء حتى لو أراد أن يُزيل الجبال لأقلقها .

تعليق :

قالوا : الرَوْق : القَرْن من كلّ ذي قَرْن والجمع أرواق ، ومنه شعر عامر بن فُهَيرة :

كالثَوْر يَحمي أنْفَه بِرَوْقِه

وفي حديث علي ، عليه السلام ، قال :

تِلْكُمْ قُرَيشٌ تَمَنَّاني لتقتُلَني
فلا وَربِّكَ ما بَرّوا ولا ظَفِروا

فـان هَلَـكت فرَهْـن" ذِمَّتي لَهُـمُ
بذاتِ رَوْقَين لا يعفـو لهـا أثَرُ

الرَوقان : تثنية الرَوْق وهو القرن ، واراد بها ههنا الحرب الشديدة ، وقيل الداهية •

أقول : اراد المتنبي بالرَوْقين القَرْنَين على وجـه الاستعارة فقـد استعارهما للمعالي على سبيل التشبيه ، وهما شيء آخر في بيتي أمير المؤمنين علي بن ابي طالب — عليه السلام — •

ومن غير شك ان « الرَوْقين » أبْهَى في الاستعمال وأسْنَى من « القرنين » تلك الكلمة التي استهلكت بالشيوع •

٩٩ — ريم

قال المتنبي :

وكُلَّمـا نُطِحَت تحت العَجـاجِ بـه
أُسْـدُ الكتائبِ رامَتْـه ولم يَرِمِ

من قصيدة قالها في صباه :

ضَيفٌ ألَمَّ برأسـي غَيرَ مُحْتَشِمِ
والسيفُ أحْسَنُ فِعْلاً منـه باللِمَمِ

اللغة والشرح :

رامَتْه : زالت عنه ولم يَزِلْ هو عنهـا ، وأراد رامَت عنه فحذَفَ حرف الجر وأوصل الفعل ، والأصل استعماله بحرف الجر كقول الأعشى :

أبانا فـلا رِمتَ مـن عنـدنا فانّـا بخَـيرٍ اذا لـم تَرِمْ

والمعنى : ان الابطال تنهزم عنه ولا ينهزم هو ، والنطح انما هو للكباش ولا يستعمل في الأسود ، ولو قال : كلّما صُدِمتْ أو رُمِيَتْ كانَ أليَق ولكنه اراد بالنطح القتال •

تعليق :

ان قول الشارح : « وأراد رامَت عنه فحذف حرف الجر وأوصل الفعل والاصل استعماله بحرف الجر كقول الاعشى ... » .

أقول : ليس الأمر كما قال الشارح فليس الأصل استعمال الحرف وذلك ان في العربية اتساعاً وقد أفاد من الاتساع المتقدمون من الشعراء فاستعملوا الفعل على نحو ما جاء في بيت المتنبي ، قال ابن أحمر :

فألقَى التِهامِيَ بلَطاتِه وأحلَطَ هذا لا أريم مكانيا

كما ان بيت الأعشى لا يصدق الشارح الذي أفاد ان التعدية بـ « عن » .

وقال آخر :

هل رامَني أحَدٌ أراد خَبيطَتي أم هل تَعَذَّرَ ساحَتي وجَنابي

حرف الزاء

١٠٠ ـ زود

قال المتنبي :

أَمِنَ ازدِيارَكِ في الدُجَى الرُقَبَاءُ
إذْ حيث أَنتِ مِن الظَلامِ ضِياءُ

مطلع قصيدة يمدح فيها أبا عليّ هارون بن عبدالعزيز الأوارجيّ الكاتب .

اللغة والشرح :

يقول : أمِنَ رُقَباءك ان تزوريني ليلاً اذ حيث أنت ضياء بَدَلاً من الظلام يعني في الليل .

والمعنى : انها لكونها نوراً وضياءً لا تخرج ليلاً لان الرقباء يشعرون بخروجها حين يرون الظلام ضياءً .

تعليق :

أود ان أقول : ان بناء « افتعل » من الفعل « زار » من الأبنية الغريبة التي أولِعَ بها الشاعر فصار يتوخاها ويسعى إليها ، فأنت لا تجد الا شاهداً على هذا البناء حين تذهب في استقرائك مذهباً جاداً ، قال ابو كبير :

فدخلتُ بيتاً غيرَ بَيتِ سَناخَةٍ
وازدَرْتُ مُزْدارَ الكريم المِفْضَلِ

ومن المعروف في العربية ان الزيادة ان لم تفد جديداً تعميماً أو تخصيصاً أو شيئاً فأفضل منها بناء الثلاثي .

١٠١ – زول

قال المتنبي :

أنَّ دونَ التي على الدَّرْب والأَحْدَبِ والنَهـرِ مِخْلَطاً مِزْيالا

انظر : مادة خلط (مخلط) من هذا المعجم .

اللغة والتعليق :

جاء في حديث معاوية : أنّ رجلينِ تَداعَيا عنـده وكان أحـدُهما مِخْلَطاً مِزْيَلاً ؛ المِزْيَل بكسـر الميم وسكون الزاي : الجَـدِل في الخصومات الذي يزول من حُجَّةٍ الى حُجّة .

أقول : كان المتنبي قد كان عارفاً بهذا الحديث ولذلك اتخذ مادته ارادة للمدح وإصابة للغرض فكان له ذلك . ولم أجد شيئاً آخر عن : « المخلط والمِزْيَل » واجتماعهما في نص كأنما يُقوّي أحدهما الآخـر الا حديث معاوية هذا . وكأن المتنبي ايضاً أدرك هذا فاستعمله ليصل الى ما يريد .

غير أنه بسبب من القافية وما فيها من حرف التأسيس وهو الالف اضطر ان يتسع في « مِزْيَل » ويجعلها « مزيال » .

وهذا من الشواهد التي تدل على ان الشاعر كان محيطاً إحاطة واسعة بفرائد العربية .

١٠٢ ـ سبجل

قال المتنبي :

رِبَحْلَةٍ أسمَرٌ مُقَبَّلُهَا   سِبَحْلَةٍ أبْيَضٌ مُجَرَّدُها

انظر : سِبَحْلة من هذا المعجم .

تعليق : قالوا : السِبَحْلة العظيمة من الابل ، وهي الغزيرة ، وجمل سِبَحْل رِبَحْل : عظيم .

والسِبَحْلة من النساء : الطويلة العظيمة ، ومنه قول الاعرابية تصف ابنتها :

سِبَحْلَة رِبَحْلَه   تنمي نَماءَ النخله

١٠٣ ـ سجر

قال المتنبي :

عن أشدق مُسَوْجَرٍ مُسَلْسَلٍ   أقبَّ ساطٍ شَرِسٍ شَمَرْدَلِ

من أرجوزةٍ يصف فيها كلباً أرسله ابو علي الأوارجيّ على ظَبْيٍ فصاده ومطلعها :

ومنزلٍ ليس لنا بمنزلِ   ولا لغَيْرِ الغاديات الهُطَّلِ

اللغة والشرح :

يقول : عن أشدق أي عن كلب أشدق وهو الواسع الشِدق ، والمُسَوْجَر الذي له ساجور وهو قلادة الكلب التي فيها مسامير ، والمُسَلْسَل الذي في عنقه سلسلة ، والأقبّ الضامر ، والساطي الذي

يسطو على الصيد أي يصول عليه ، وقال ابن جني : هو البعيد الأخذ من الأرض والشرس العضوض السيّء الخُلُق ، والشَمَرْدَل الطويل •

تعليق :

استعمل الشاعر مُسَوجر للكلب في عنقه ساجور وهو القلادة أو الخشبة التي توضع في عنق الكلب ايضاً •

والمُسَوْجَر اشتقاق غريب لانهم قالوا : سَجَرَ الكلب والرجل يسجُرُه سَجْراً : وضع الساجور في عنقه •

وجاء في « اللسان » : وحكى ابن جني : كلب مُسَوْجَر ، وعلق صاحب اللسان بقوله : فان صحّ ذلك فشاذّ نادر •

قوله : فانْ صَحّ يوحي أنه لم يجد غير ابن جني يحكي هذه الحكاية• وأكبر الظن ان ابن جني وجد أبا الطيب قد استعمل الكلمة وتوسّع في التوليد والاشتقاق ، واستحسن ذلك منه ابن جني فراح يحكيه •

١٠٤ ـ سحن

قال المتنبي :

مَنْ لبيضِ الملوكِ أنْ تُبدِلَ اللّو
نَ بلَونِ الأُستاذِ والسَحْناء

من قصيدة يُهَنّيء فيها كافوراً ببناء دار بإزاءِ الجامع الأعلى على البركة وتحوّل إليها وطالب ابا الطيب بذكرها ومطلعها :

إنّما التهنئات للأكْفاء   ولِمَنْ يَدّني من البُعَداء

اللغة والشرح :

يقول : الملوك البيض الألوان يتمنّون أن يبدلوا ألوانهم بلونك وأن تكون هَيْأتهم في اللون كهيأتك ، والسَحْناء : الأثر والهيئة يقال : رأيته وعليه سَحْناء السفر ، يقول : من يكفل لهم بهذه الأمنية ثم ذَكَرَ لِمَ تَمَنّوا هذا فقال :

فتَراها بنو الحروبِ بأعيا نٍ تَراه بها غداةَ اللقاء

تعليق :

قالوا : السَحْنةُ (بالفتح والسكون) والسَحَنة (بفتحتين) والسَحْناء والسَحَناء : لين البَشَرة والنَعْمة ، وقيل : الهيئة واللون والحال •

وفي الحديث ذكر السَحنة وهي بشرة الوجه ، مفتوحة السين وقد تكسر • والنعمة (بفتح النون) التنعّم •

أقول : وما زالت السحنة معروفة في لغتنا المعاصرة للدلالة على لون البشرة وخصائصها وحالها •

١٠٥ ــ سدس

قال المتنبي :

أُحادٌ أم سُداسٌ في أُحادٍ لُيَيْلتنا المنوطة بالتنادي

وهو مطلع قصيدة يمدح فيها عليّ بن ابراهيم التنوخيّ •

اللغة والشرح :

المشهور في لغة العرب ان هذا البناء لا يتجاوز الأربعة نحو أُحاد وثُناء وثُلاث ورُباع • وحُكِي نادراً انه يقال الى عُشار ومنه قول الكميت :

فلم يَستَريثوك حتى رمَيْتَ فوقَ الرجالِ خِصالاً عُشارا

ولا يستعمل أُحاد في موضع الواحد فلا يقال : هو أحاد أي واحد ، انما يقولون جاؤوا أُحاد أي واحداً واحداً ، فسُداس نادر غريب ، وأُحاد في موضع واحد خطأ ، وكذلك سُداس في موضع ستة •

وأكثروا في معنى هذا البيت ثم لم يأتوا ببيان مفيد موافق اللفظ •

أراد الشاعر : واحدةٌ أم ستٌ في واحدة ، وستٌ في واحدة اذا جعلتها فيها كالشيء في الظرف ولم تُرد الضرب الحسابي سبع ، وخصّ هذا العدد

لانّه اراد ليالي الاسبوع وجعلها اسماً لليالي الدهر كلّها لانه كلّ اسبوع يعد اسبوع آخرَ الى آخرِ الدهر .

يقول : هذه الليلة واحدة أم ليالي الدهر كلها جمعت في هذه الواحدة حتى طالتْ وامتدّتْ الى يوم القيامة وهو قوله « لُيَيْلتنا المُنوطةُ بالتنادي » .

وقالوا المراد بالتصغير ههنا التعظيم والتكبير كقول لبيد :

وكل أناسٍ سوف تدخُلُ بينهم دُوَيْهِيَّةٌ تصفرُّ منها الأناملُ

يعني الموت وهو اعظم الدواهي .

ويريد بالتنادي القيامة والله تعالى سمّى يوم القيامة يوم التنادي لان النداء يكثر فيه .

ويقول ابن جني : يريد تنادي أصحابه بما هم به ، ألا ترى الى قوله : « أفكّر في مُعاقرة المنايا » وعلى هذا استطال الليلة التي عزَمَ في صباحها على الحرب شوقاً الى ما عزَم عليه .

تعليق :

كثر الحديث وطال في هذا البيت وأنا اريد الكلام على سُداس وحدها ولكنني مضطر ان اعرض لهذه المادة التاريخية التي احاطت بالبيت فكان موضوع دارسين عدة .

قالوا : سِتة وسِتّ اصلها سِدسة وسدس .

ولابد ان أعرض طريقة الاقدمين في الوصول الى الكلمة وما انتابها من التغييرات الصوتية فآتى على أقوالهم . قلبوا السين الأخيرة تاءً لتقرب من الدال التي قبلها وهي مع ذلك حرف مهموس كما ان السين مهموسة فصار التقدير سِدْت ، فلما اجتمعت الدال والتاء وتقاربتا في المخرج أبدلوا الدال تاءً لتوافقها في الهمس ، ثم أدغمت التاء في التاء فصارت ست كما ترى ، فالتغيير الاول للتقريب من غير ادغام ، والثاني للادغام .

أقول : وهذا الشرح هو طريقة القدماء في التعليل من أجل الوصول الى الابنية والصيغ المعروفة ، وفي هذه الطريقة قليل من العلم وكثير من غير العلم ذلك ان عدم معرفتهم للأصوات معرفة علمية دقيقة يؤدي بهم الى ارتكاب الخطأ والوصول الى نتائج غير صحيحة .

في قولهم هذا عن ست وأصلها سدس بعد عن العلم ومنه عدم معرفتهم بحقيقة الجهر والهمس . ان حقيقة الجهر عند سيبويه انه صفة في حروف أُشبِعَ الاعتماد في موضعها حتى منع النفس ان يجريَ معه حتى ينقضي الاعتماد ويجرى الصوت كما في الباء والجيم وغيرها .

وحقيقة الهمس عنده في الحرف الذي ضعف الاعتماد من موضعه حتى جرى معه النفس . وعدة الحروف المهموسة معروفة لأهل العلم .

أقول : ان هذا التمييز بين المجهور والمهموس من الأصوات تمييز لم ينبن على علم موضوعي واضح ، فقد جهل المتقدمون من علماء اللغة ميكانيكية الصوت وكيف يخرج وما العامل في إخراجه . انهم جهلوا الاوتار الصوتية ووضعها في اخراج الاصوات وكيف يتذبذب الوتران الصوتيان فيحدث الصوت المجهور Voiced

وقد ينفرج الوتران الصوتيان بعضهما عن بعض اثناء مرور الهواء من الرئتين بحيث يسمحان له بالخروج دون أن يقابله أي اعتراض في طريقه ، فلا يتذبذب الوتران الصوتيان ، وفي هذه الحالة يحدث الصوت المهموس Voiceless

ومن نتائج الخطأ في هذا العلم المتقدم اعتبارهم الدال من الاصوات المهموسة وهو صوت مجهور في علم الصوت الحديث .

على أني لابد لي ان أشيد بجهود المتقدمين في هذا العلم اللغوي وأنهم انجزوا فيه اشياء كثيرة موافقة لما جاء به العلم الحديث المعتمد على منجزات التكنولوجيا الحديثة . ومن غير شك ان الخليل بن احمد صاحب تلك المنجزات التي تنم عن عبقريته وتفوقه .

كلمة اخيرة :

قالوا : أخطأ المتنبي في « أحاد » لاستعماله اياها بمنزلة الواحد لانهم لا يستعملونهـا الا بمعنى واحداً واحداً كقولهم جاؤوا أحـاد أي واحداً واحداً ، ثم اشتقاقه « سُداس » من « ستة » نادر غريب •

أقول : ان الشاعر على علم بكل هذا ولكنه أراد ان يقول ما يعدونـه خطأً ومجافاة للصواب ليبتدع جديداً وليكون رأساً في هـذا السبيـل ، وكأنه أدرك انه يسلك من فنون القول ما يسوغ له ان يخالف المألوف وان يأتي بجديد •

ولنا حين نؤرخ للعربية في عصـرنا هـذا ألا نكون ملتزمين بمقاييس الصواب والخطأ التي جرى عليها النقاد المتقدمون ذلك ان التوليد حاصـل في كل عصر ، ألا ترى ان كثيراً من تلك المقاييس لم يعمل بها المتقدمون فلم يسلم الجاهليون ولا الاسلاميون مما عُدّ بعيداً عن الصواب •

وفي الخزانة العربية مصنفات في مآخذ الشعراء المتقدمين وما صحفوا فيه من كلامهم •

١٠٦ ـ سدك

قال المتنبي :

ما سَدِكَتْ علّـةٌ بمولـودٍ أكرَمَ مـن تَغلِبَ بنِ داودِ

مطلع قصيدة يمدح فيها سيف الدولة ويرثي أبا وائل تغلب بن داود في جمادى الاولى سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة •

اللغة والشرح :

سَدِكَ الشيءُ بالشيء اذا لزمه • وروى ابن جني : « بمورود » وهو المحموم من ورد الحُمّى • يقول : ما لزمت علّةٌ موروداً أو مولوداً أكرم من هذا الرجل •

تعليق :

لقد أشرت الى هذا الفعل في مادة « رمع » من هذا المعجم وعرضت في ذلك الموضع لولوع المتنبي بالغريب النادر من الكلم الذي التزمه التزاماً فصار منهجاً له ، وكأنّ بداية ذلك انه أراد أنْ يوحي أنــه مالك للعربيــة يتصرف فيها كما شاء •

١٠٧ ـ سفل

قال المتنبي :

وقالوا هــل يُبَلِّغــك الثُرَيّا فقلتُ نعم اذا شِئتُ استِفالا

من قصيدة يمدح فيها بدر بن عمار ومطلعها :

بقائي شــاءَ ليس هُمُ ارتِحــالا وحُسْنَ الصبر زمّوا لا الجِمالا

اللغة والشرح :

اي قالوا لي حسدا له عليّ ولي عليه ، هل يرفعُك الى الثريّا انكاراً لأن يبلّغَني بخدمته منزلةً رفيعة ، فقلت : نعم يُبَلِّغنيها ان انحططت عن درجتي، يعني أنه رفعه فوق الثريّا فان استَفَلَ وانحطّ رَجَع الى موضع الثريّا وإلاّ فهو أعلى درجة بخدمة الممدوح •

تعليق :

أقول : ولم يعرف « افتعل » من مادة « سَفَل » وهذا من مُوَلّدات المتنبي •

١٠٨ ـ سلب

قال المتنبي :

كِلا الرجُلَــين أتَلَى قَتْلَهُ فأيُّكُما غلّ حُــرّ السَلَبْ

من مقطوعة قالها في صباه وقد مَرّ برجلين قد قتــلا جُرَذاً وأبرزاه يعجبان الناس من كبره أولها :

لقــد أصبَحَ الجُرَذُ المستغيرُ أســيرَ المنــايا صريع العَطَبْ

اللغة والشرح :

يقول : كلاهما تولىّ قتله اي اشتركتُما في قتله فأيُّكما انفرد بسَلَبه وهو ما يُسلَب من ثياب المقتول وسلاحــه ، وحُرُّه جيِّده ، وغَلَّ أي خان ، وكل هذا استهزاء بهما •

تعليق :

قالوا : السَلَب ما يُسْلَب ، وكل شيء على الانسان من اللباس فهو سَلَبٌ (بفتحتين) والفعل سَلَبته أسلُبه سلباً اذا اخــذتُ سَلَبَه • وسُلِبَ الرجل ثيابه •

أقول : كأنَّ السَلَب هو المسلوب وفي العربية كثير من بناء « فَعَل » « بفتحتين » للدلالة على ما هو « مفعول » في الأصل مثل الحَلَب والجَلَب والقَنَص والهَمَل وغيره • ولعل هذه الابنية المجردة سبقت الابنية القياسية في الدلالة على ما يؤدَّى بالاوزان القياسية •

ثم ان « السَلَب » في الأصل ما يُسلَب من اللباس ويبدو أنهم قد توسّعوا في السلب فصار يتجاوز اللباس الى غيره •

ولعل من حسن الاتفاق ان تكون مادة « سلب » هي المقابلــة لمــادة « لبس » •

ويحسن ان أشير الى قول الشاعر في البيت « أتَّلَى » بمعنى تَوَلّىّ وهذا مما ولده الشاعر وأحدثه فلم يؤثر أنه بُنِي « افتعَلَ » مــن مادة « وَلِيَ » •

١٠٩ ــ سملق

قال المتنبي :

وليــلٍ دَجُوجِيٍ كأنّا جَلَتْ لنــــا
مُحَيّاكَ فيـــه فاهتَدَيْنا السَمالِقُ

من قصيدة يمدح فيها الحسين بن اسحاق التنوخيّ ومطلعها :

هــو البَينُ حتىّ مــا تأَتّى الحزائِقُ
ويا قلــبُ حتى انــتَ ممّــن أُفارِقُ

اللغة والشرح :

الدَجُوجيّ : المظلم لا يستعمل بغير ياء النسبة ، السمالِق جمع سَمْلَق وهي الأرض البعيدة الطويلة •

يقول : رُبَّ ليل مظلم كأنَّ السمالق التي كنا نقطعها أظهرت لنا وجهَك حتى اهتدينا للطريق •

تعليق :

قالوا : السملق : الأرض المستوية ، وقيل : القفر الذي لا نبت فيه ، قال عمارة :

يَرمي بهِنَّ سَمْلَق عن سَمْلَقِ

وذكره الجوهري في سلق • والسملق : القاع المستوي الأملس الاجرد لا شجر فيه وهو القَرِق ، قال جميل :

ألم تَسَلِ الربْعَ القديمَ فينطِقُ

وهل تُخبِرَنْكَ اليومَ بَيْداءُ سَمْلَقُ

وفي حديث علي ، رضوان الله عليه : ويصير معهدها قاعاً سَمْلقاً •

أقول : ان « سملق » من الرباعي في العربية ، وفي أبنية الرباعي في لغتنا القديمة عجب أي عجب ذلك ان طائفة كبيرة لا اشك في أنها مصنوعة لم ترد في كلامهم •

غير ان « سملق » هذا مما صح وثبت للمعنى المشار إليه بدلالة النصوص الواضحة في معناها ونسبتها • وهو تارة ينصرف الى الاسمية وأخرى يستخدم استخدام الصفة وهو من باب الوصف بالاسم •

ومن غير شك ان « السمالق » قد دُفع إليها الشاعر بسبب من القافية •

١١٠ ـ سوع

قال المتنبي :

تَقري صوارمُه الساعاتِ عَبْطَ دَمٍ

كأنَّما الساعُ نُقَّالٌ ونُزَّالُ

من قصيدة يمدح فيها أبا شجاع فاتكاً الملقب بالمجنـــون في سنة ٣٤٨ ومطلعها :

لا خَيْـــلَ عنـــدك تُهديهـــا ولا مـــالُ
فليُسعِـدِ النُطقُ إنْ لم تُسعِـدِ الحالُ

اللغة والشرح :

العَبط والعبيط : الطريّ من الدم ، والساع جمع ساعة .

يقول : كل ساعة تأتي عليه يجدّد فيها ذَبحـاً كأنّ الساعات نُزّال ينزلون عليه ، وقُفّال قَفَلوا من سَفَر يعني أنه لا يُطعِم أضيافه الغابّ بل يجدّد الذبح والنَّحر كل ساعة فيُجري دماً عبيطاً .

وقال ابن جني : يقول هو كلّ ساعة يُريقُ دماً طريّاً من اعدائه فكأنّه يَقري الساعات وكأنها قوم ينزلون عليه ، فيجعل ابن جني عَبط دمٍ مـن الاعـــداء .

تعليق :

أقول : الساعات جمع ساعة وهو جمع مؤنث صريح . أما ساع بنـــاء « فَعْل » فهو من مواد الجمع القديم الذي عرف في اسماء ثلاثية كثيرة وقد أبى اللغويون ان يعدّوه من ابنية الجموع المكسرة فقالوا هو من أســماء الجمع وكأنّ هذه الاسماء تدل على الجمع في المعنى وتعامل معاملة المفـرد احياناً في الاستعمال اللغـــوي كأن يكون الوصف مفـرداً . وقالوا ما كان مفرده بالتاء الدالة على الواحدة مثل تمرة وتمر وشجرة وشَجَر أو ما كان مفرده منسوباً مثل يهوديّ ويهود كل ذلك اسم جمع ســواء فيـه فَعْل (بالسكون) وفَعَل (بفتحتين) وفَعول .

وأرى أن ما يسمى اسماء جموع إن هي الا جموع قديمة استعملها العربي القديم حين كانت لغته لغة قبائل متفرقة لم يُهَيّأ لها ان تتوحد في عربيـــة عامّة أو شبه عامة .

أقول : وأكبر الظن أنْ حفلت العربية بسبب من ذلك بطائفة كبيرة من أبنية جموع التكسير التي لا نجد نظيرها في أية لغة سامية أخرى .

ومثل ساعة وجمعها ساع من المؤنثات ساحة وساح وراحة وراح وباحة وباح وقامة وقام وهامة وهام وغير ذلك .

١١١ ـ سوا

قال المتنبي :

وانما نحنُ في جيلٍ سَواسيَةٍ
شَرٌّ على الحُرِّ من سُقْمٍ على بَدَنِ

من قصيدة يمدح فيها محمد بن عبيد بن عبدالله بن محمد بن الخطيب القاضي الخصيبي ومطلعها :

أفاضِلُ الناس أغراض لذا الزَمَنِ
يخلو من الهَمِّ أخلاهُم من الفطن

اللغة والشرح :

الجيل : الضرب من الناس ، وسواسية متساوون في الشَرّ ولا يقال في الخير والمعنى واضح .

تعليق :

قال ابن سيده : وسَواسِية وسَواسٍ وسَواسِوة ، والأخيرة نادرة وكلها أسماء جمع . وقد تكلموا كثيراً على الياء الأخيرة في « سواسية » في انها منقلبة .

وحَكى ابن السكيت في « باب رُذال الناس » في كتاب « الالفاظ » : قال أبو عمر : ويقال هم سَواسِية اذا استووا في اللؤم والخسّة والشرّ وانشد :

وكيف تُرَجّيها وقد حالَ دونها سواسيَةٌ لا يغفرون لها ذَنْبا

وانشد ابن برّي لذي الرمة :

لولا بنو ذهلٍ لقَرَّبتُ منكم
الى السَوط أشياخاً سواسيةً مُرْدا

يقول : لضربنكم وحلقت رءوسكم ولحاكم •

وقال الفراء : يقال هم سَواسية وسواسٍ وسُؤاسية والاخير بضم السين والهمز • قال كثيّر :

سَواسٍ كأسنان الحمار فما نَرىَ
لذي شَيْبةٍ منهم على ناشىءٍ فضلا

وقال الفراء ايضاً : يقال هم سَواسِية يستوون في الشر ولا أقول في الخير •

وفي التهذيب : ومن امثالهم « سواسية كأسنان الحمار » •

وقال ابن برّي : سواسية جمع لواحد لم ينطق به •

أقول : وما زلنا نستعمل « سواسية » ولكننا فقدنا هذا التخصيص المشار إليه وهو انصرافها الى الشر فهي في استعمال أهل عصرنا للشر والخير على السواء •

حرف الشين

١١٢ ـ شبرق

قال المتنبي :

وهَـــزٌ أطارَ النَــــوم حتى كأنّني
من السُكْرِ في الغَرْزَينِ ثَوْبٌ شُبارِقُ

من قصيدة يمدح فيها الحسين بن اسحاق التنوخي ومطلعها :

هـــو البـــين حتى ما تَأَنَّى الحزائق
ويا قلــب حتــى أنت مِمَّن أفــارقُ

اللغة والشرح :

يقال : ثوب شُبارق اذا كان مقطّعاً وهو واحد وجمعه شَبارق ، والهزّ : التحريك ، يعني تحريك الابِل رُكبانَها في سرعة سيرها وذلك يمنع النوم حتى يصير الانسان من غلبة النوم مائداً بين الغَرْزَين كالثــوب الخَلَق لكثرة تمايله .

تعليق :

قالوا : ثوب مُشَبْرَق وشَبْرَق وشِبْراق وشُبارق (بضم الشين) وشَبارق (بفتحها) وشباريق : مقطع ممزّق . قال امرؤ القيس :

فادركْنَه يأخــذن بالســـاق والنَّســا
كما شَبْرَق الولدان ثَوْبَ المُقَدَّسِ

والمقدّس : الراهب ينزل من صومعته الى بيت المقدِس فيمزّق الصبيان ثيابه تبرّكاً به !

أقول : شُبارق بضم الشين بناء من الابنيـة القديمـة التي أميتت في عربيتنا المعاصرة وربما اميتت قبل ذلك بعصور •

ويجيء على هذا البناء طائفة من الالفاظ الكثيرة وأغلبهـا يوحي أنـه موضوع •

وقد كان لي ان عرضت لهذه الابنية الموضوعة في دراسة وافية •

وهذه الصيغة تكون اسماً وقد يستخدم الاسم استخدام الصفة •

قالوا : الجُخادب المسترخي البطن الغليظ • وقالوا رجل صُلادم أي صلب شديد • ولو أحصيت ما جاء من هذا بمعنى الصلب الشديد والغليظ والضخم والمسترخي لخرجت منه بمعجم صغير على نحو ما صنع الصاغاني في كتابه « كتاب يفعول » و « كتاب ما جاء على فَعالِ » •

١١٣ ـ شجب

قال المتنبي :

تخالَفَ النـاسُ حتى لا اتّفاقَ لهـم
اِلاّ على شَجَبٍ والخُلْفُ في الشَجَبِ

من قصيدة يرثي فيها اخت سيف الدولة الكبرى ويعزّيه بها وتوفّيَت بميّافارقين ومطلعها :

يا أخـتَ خـير أخٍ يا بنت خـير أبِ
كنايـةً بهمـا عن أشـرَفِ النَسَبِ

اللغة والشرح :

يقول : جَرَى الخلف في كل شيء حتى لم يتّفق الناس إلاّ على الهلاك ، وهو أن منتهى الحيوان أن يموت فيهلك ثم قال : والخُلْف الحقيقي في الهلاك وهو ما ذكره في قوله •

تعليق :

جاء في « التهذيب » : قال أبو عبيد : الشـــاجب الهالك الآثم • قال : وشَجَبَ الرجل (بفتحتين) يشجُبُ شُجوباً اذا عَطِبَ وهلك في دِين أو دنيا • وفي لغة : شَجِبَ يَشجَبُ شجباً مثل « فَرِح » وهو أجــود اللغتين قاله الكسائي وأنشد :

لَيْلُكَ ذا لَيْلُكَ الطويلُ كما عالَجَ تبريحَ غُلّهِ الشَّجِبُ

وهذا يعني ان المتنبي جاء بأجود اللغتين •

وشَجَبَه الله يشجُبُه مثل « نَصَر » أي اهلكه •

أقول : لم يبق من هذا الفعل في لغتنا المعاصرة الا فعل جديد في معناهُ بعيد عن معنى الهلاك • يقال : شَجَبَ الشعب ما يرمي إليــه المستعمِر • بمعنى رفض واستنكر ولا اعلم لهذا المعنى وجهاً وكيف وُلِدَ •

١١٤ ـ شفن

قال المتنبي :

شَفَنَّ بخَمْسٍ الى مَــن طَلَبْنَ قَبْلَ الشُفــون الــى نازل

من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة ويذكر استنقاذه أبا وائل تغلب بن داود لمّا أسرَه الخارجيّ في كلب وقتل الخارجي في شعبان سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ومطلعها :

إلى مَ طَماعِيَــةُ العــــاذِلِ ولا رَأْيَ في الحبِّ للعاقِــلِ

اللغة والشرح :

الشُفون : النظر في اعتراض •

يقول : نَظَرْنَ الى ابي وائل قبل النظر الى نازل عن ظهورهن ، يريد : أنّهم لم ينزلوا عن ظهورها خمس ليالٍ حتى بلغــوا أبا وائل في ركضــةٍ واحــدة •

تعليق :

شَفَنَه يشفنه مثل « ضَرَبَ » شَفْناً وشُفونا وشَفِنه يشفَنُه مثل « فرح » شَفَناً ، كلاهما نظر اليه بمؤخر عينه بغضةً أو تعجُّباً ، وقيل : نظر إليه نَظَراً فيه اعتراض •

قال الاخطل :

واذا شَفَنَّ الى الطريق رَأَيْنَه   لَهِفاً كشاكلة الحصان الأَبلَقِ

أقول : وهذا من مادته الغزيرة التي لا تجدها إلا في أقوال المتقدمين من الشعراء • وكأن الشاعر اراد بالفعل مجرد النظر وفي اللغة سعة قال الكسائي : شَفِنْت الى الشيء وشَنِفت (على القلب) اذا نظرت إليه وبيت الاخطل شيء من هذا المعنى فلا اعتراض واضح فيه ولا بغض ولا تعجب •

١١٥ ـ شكل

قال المتنبي :

أحِبُّ التي في البدر منها مَشابِهٌ

وأشكو الى من لا يُصابُ له شَكْلُ

من قصيدة يمدح فيها شجاع بن محمد بن عبدالعزيز الطائي المنْبِجيّ ومطلعها :

عَزيزٌ أسىً من دارُه الحَدَقُ النُجْلُ

عَياءٌ به مات المحِبّونَ من قَبلُ

اللغة والشرح :

المَشابِهُ جمع شِبْه كالمحاسن جمع حُسْن والمشايخ جمع شيخ ، وقد خرج في هذا البيت من النسيب الى المدح مفضّلاً للممدوح بالكمال على المعشوق في الجمال فذكر ان في البدر انواعاً من شبه الحبيبة منها الحسن والضياء والعلوّ والبُعد عن الناس ، ثم قال : وأشكو هواها الى من لا يوجد له نظير ولا مثل وانما يشكو إليه ليعطيه من المال ما يتوصّل به اليها •

تعليق :

الشكل في البيت يعني الشبه والمثل والنظير ، والجمع اشكال وشكول ، وأنشد ابو عبيد :

فلا تطلبا لى أيّماً ان طلبتما فان الأيامَى لسْنَ لى بشكولِ

وقد تشاكل الشيئان وشاكل كل واحد منهما صاحبه •

وفي التنزيل العزيز : وآخر من شكله أزواج أي من مثله • والمشاكلة الموافقة •

وقد استعمل المتنبي الشكل في المعنى نفسه في قوله :

يا أيّها القمَرَ المُباهي وجهُه لا تُكْذَبَنّ فلست من أشكاله

أي من أمثاله •

وقال في أرجوزة : مُجتَمِعَ الاضداد والأشكال •

أقول : اوشك هذا المعنى ان يزول من الفصيح المعاصر لان «الشَكْلَ» عند المعاصرين الظاهر من الشيء والمظهر وما يبدو منه من حيث الملامح والخطوط والعلامات وربما اللون وهم يستعملونه في النقد الادبي والفني فيقولون الشكل ويريدون به الاسلوب والطريقة ويقابلونه بقولهم المضمون ويراد بالمضمون الفكرة والمعنى المراد • وقد يكون هذا الاستعمال الجديد ولا سيما في اللغة الفنية والادبية قريباً من معنى الصورة المحسوسة أو المتوهمة للشكل في الفصيحة القديمة •

ولعل « الشكل » بمعنى المثل والنظير باق في الاستعمال الدارج •

١١٦ ـ شمر

قال المتنبي :

الخائضَ الغمرَات غير مُدافَعٍ والشمَّريَّ المِطْعَنَ الدِعّيسا

انظر مادة « دعس » من هذا المعجم •

١١٧ - شور

قال المتنبي :

فأَقْبَلَهــا المروجَ مُسَوَّمــاتٍ ضَــوامِرَ لا هِزال ولا شِيــارُ

من قصيدة يصف فيها ايقــاع سيف الدولــة ببني عُقَيل وقُشير وبلعجلان وكلاب ومطلعها :

طِــوال قَنــاً تُطاعنُها قِصــارُ وقَطْرُكَ في نَدًى ووَغًى بِحارُ

اللغة والشرح :

يريد مُروجَ سَلَمْية لانّهم كانوا بها ثم انهزموا بين يديــه منهــا ، والكناية في « أَقْبَلَها » للخيل ولم يجر لها ذكر ، ومعنى « اقْبَلَها » جعل وجوهها الى المروج ، وأجاءَها اليها مُسَوَّماتٍ مُعَلَّمات ، وهِزال جمع هزيل ، وشِيار حسنة المناظر سِمانٌ جمع شيِّر وهي من الشارة ، والشَوار حسن الهيئة .

والمعنى : ان ضُمرها ليس عن هزال انما هو عن تضمير وصنعة وقيام عليها فهي مصنوعة مضمَّرة ، ولا هي ايضاً حسنة المناظر لانها قد شَعِثت واغبرَّت بمواصلة السير .

تعليق :

قالوا : الشارة والشَورة : الحسن والهيئة واللباس . وقيل : الشُورة (بالضم) الهيئة والشَورة (بالفتح) اللباس حكاه ثعلب .

قال ابن الاثير : هي بالضم الجمال والحسن كأنــه من الشَور عرض الشيء واظهاره . والشارة والشَورة : السِمَن . وفَرَس شَيِّر وخيــل شِيار مثل جيِّد وجياد أي سمان حسنة المنظر ، قال عمرو بن معد يكرب :

أعبّاسُ ، لو كانت شِياراً جيــادنا بتَثليثَ ما ناصبت بعدي الأحامسا

وفي الحديث : انه رأى امرأة شيِّرة وعليها مناجِد أي حسنة الشارة وقيل : جميلة .

أقول : وهذه مادة من المواد الغنية القديمة ذات الدلالة الواضحة والتي

حفل بها الأدب وردت عند المتنبي توكيداً لما ذهبت إليه انه وفّر مادته من فصيح العربية وفرائدها وأوابدها فقد ألمّ بها واستوعب مادتها فكانت في شعره في المكان المناسب •

١١٨ ـ شوق

قال المتنبي :

ما لاحَ بَرْق أو ترَنَّمَ طائـرٌ الا أنثَنَيْتُ ولي فـؤادٌ شَيِّقُ

من قصيدة قالها في صباه يمدح أبا المنتصر شجاع بن محمد بن أوس بن معن بن الرضا الأزديّ ومطلعها :

أَرَقٌ على أَرَقٍ ومِثْلِيَ يأْرَقُ وجَوًى يَزيدُ وعَبْرَةٌ تترَقْرَقُ

اللغة والشرح :

الشيّق يجوز ان يكون بمعنى فاعل من شاق يشوق كالجيّد والهيّن ومعناه :

ان قلبي يشوقني الى أَحِبَّتي ، ووزنه « فَيْعِل » وهو كثير مثل الصَيِّب والسَيِّد وبابه ، ويجوز ان يكون على وزن فعيل بمعنى مفعول ، ولمعان البرق يُهَيِّج العاشق ويُحرِّك شوقه الى أحبّته لانه يتذكر به ارتحالهم للنُجْعة وفراقهم ، ولانّ البرق ربّما لَمَعَ من الجانب الذي هم فيه وكذلك ترنّم الطائر وهذا كثير في أشعارهم •

تعليق :

أقول : كأن « الشيِّق » قد تحوّل من كونه صفة للعاشق أو للمعشوق في الاقل الى غير العاقل فيقال : مقالة شيّقة وحديث شيّق ومثل هذا هو الجاري في الاستعمال ولا يقال رجل شيِّق أو حبيبة شيِّقة كما ورد في الأدب القديم •

١١٩ ـ شول

قال المتنبي :

أَمَرْتَ بأن تُشالَ ففارَقَتْنا وما أَلِمَتْ لحادثةِ الفِراقِ

ثالث ثلاثة أبيات من مجموعة مقطّعات عدة وصف فيها مرتجلاً لعبة على صورة جارية أحضرت مجلس بدر بن عمار •

أما البيتان الآخران فهما :

وذاتِ غَدائرٍ لا عَيْبَ فيها سوى أنْ ليسَ تصلُحُ للعناقِ

اذا هَجَرَتْ فعنْ غيرِ اجتنابٍ وانْ زارَتْ فعَنْ غيرِ اشتياق

أمَرْتَ بان تُشالَ ...

تعليق :

أراد بالفعل « تُشال » تُرفَع على البناء للمجهول . وهذا المعنى مما لا تعرفه الفصيحة في عصر المتنبي وقبله وبعده . وهو من غير شك مأخوذ من العامية الدارجة ودليلنا على ذلك ان الفعل معروف اليوم في العامية العراقية وربما غير العراقية ، وهو في العامية فعل يائي لا واوي كما هي الحال في اللغة الفصيحة .

على ان المعنى الفصيح المذكور في كتب اللغة هو شيء آخر لا نجده في عصرنا .

قالوا شالت الناقة بذَنَبها تشوله شولاً وشَوَلاناً وأشالتْه واستشالته أي رفعته ، قال النمر بن تَوْلَب :

جَموم الشَدّ شائلة الذُنابَى تَخالُ بياضَ غُرّتِها سِراجا

وشالَ ذَنَبُها اي ارتفع ، قال أُحَيحة بن الجُلاح :

تَأَبَّري ، يا خَيرَةَ الفسيل تَأَبَّري من حَنَذٍ فشولي

ومن المعلوم ان استعمال الفعل للنخلة هو على التشبيه اي كأنها ترفع ذنبها كما تفعل الناقة .

والمعروف من هذا الفعل في عصرنا في العامية القروية في العراق مثلاً قولهم : « شالت الدابة » اي حَمَلَت ومثل هذا في الفصيحة القديمة فالشائلة من الابل التي اتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فخف لبنها والجمع شَول .

حرف الصاد

١٢٠ ـ صَرَد

قال المتنبي :

ومُنتَقٍ والسهـــامُ مُرسَلةٌ   يَحيـدُ عن حابضٍ الى صارِدِ

انظر مادة « صرد » من هذا المعجم .

١٢١ ـ صوع

قال المتنبي :

سَدَّتْ عليه المَشْرِفيَّةُ فانثَنَى   فانصـاعَ لا حَلَباً ولا بَغْـداذا

من قصيدة يمدح فيها مساور بن الرومي ومطلعها :

أمساوِرٌ أم قَرْنُ شمسٍ هـذا   أم ليث غـابٍ يَقـدُمُ الأُستاذا

اللغة والشرح :

انصاعَ مطاوع صُعْته فانصاع اي ثَنَيته فانثَنَى ومنه قول الشاعر :

« يصوعُ عُنوقَها أحوى زنيم »

والمشرفيَّة : السيوف المنسوبة الى مشارف الشام وهي قرى هناك تعمل بها السيوف .

يقول : انهزَمَ فلم يقصد الشام ولا العراق لان سيوفك اخَذَتْ عليه هذه الطرق .

تعليق :

قالوا : صاعَ الشيء صَوْعاً : ثناه ولواه . وانصاع القوم : ذهبوا سراعاً .

وانصاع اي انفتل راجعاً ومر مسرعاً • والمنصاع : المُعَرِّد والناكص ، قال ذو الرمة :

فانصاعَ جانبه الوحْشـــيُّ وانكدَرَتْ

يَلْحَبْنَ لا يأتَلي المطلوبُ والطَلَبُ

وقالوا : صاعَ الشجاعُ أقرانه والراعي ماشيته يصـــوع : جاءهم من نواحيهم ، وفي بعض العبارة : حازهم من نواحيهم ، حكى ذلك الازهري عن الليث وقال : غَلِط الليث فيما فسَّر ، ومعنى الكميُّ يصوع اقرانه أي يحمل عليهم فيفرِّق جمعهم ، قال : وكذلك الراعي يصـــوع اِبِله اذا فرَّقَها في المرعى •

أقول : ان الفعل « انصاع » الذي ورد في بيت المتنبي ما زال مستعملاً في المعنى نفسه في لغتنا المعاصرة غير ان الثلاثي الذي بني عليه المطاوع موضع الشاهد لا وجود له في العربية الحديثة المعاصرة ولكنه معروف في العاميـــة العراقية التي بدأت تفقد كثيراً من مادتها بين الاجيال الناشئة لقرب لغة هؤلاء من الفصيحة المكتوبة والمقروءة •

١٢٢ – صمع

قال المتنبي :

ولقـــد اراك ومـــا تُلِمُّ مُلِمّـــةٌ

اِلاّ نفـــاها عنـــك قلبٌ أصْمَعُ

وتُوفِّيَ ابو شجاع فاتك بمصر فقال يرثيه في قصيدة مطلعها :

الحُـــزْنُ يُقلِقُ والتجمُّـــلُ يَرْدَعُ

والدَمـــعُ بينهمـــا عَصِيٌّ طيِّـــعُ

اللغة والشرح :

الأصمع : الحاد الذكي • ويقال : ثريدة مُصَمَّعـــة اذا كان وسطهـــا ناتئـــاً •

يقول : كنتُ اراكَ في حال حياتك وما تنزل بك نازلة الا دفعها عنك قلبٌ ذكي •

تعليق :

قالوا : صَمَعُ الفؤاد : حدّته وقد صَمِعَ صَمَعاً وهو أصمَع • وقلب أصمَع ذكي متوقّد فَطِن ، وكذلك الرأيُ الحازم على المَثَل كأنه انضَمّ وتجَمّعَ • والأصمعان : القلب الذكيّ والرأي العازم • ورجل صَمِع : حديد الفؤاد ، شجاع •

أقول : وهذا من الكلم الذي لا نعرفه في لغتنا المعاصرة ولم يكن من الغريب النافر ولا المستكره البعيد •

١٢٣ ـ صوت

قال المتنبي :

بعيدُ الصيتِ مُنبَثُّ السَّرايا يُشَيِّبُ ذكرهُ الطفلَ الرَضيعا

من قصيدة يمدح علي بن ابراهيم التنوخيّ ومطلعها :

مُلِثُّ القَطْرِ أَعْطِشْهَا رُبوعا وإلا فاسْقِها السَمَّ النَقيعا

اللغة والشرح :

الصيت والصات : ذَهابُ الذكر الحسن بين الناس وخوف سراياه اذا ذكر اسمَه الطفل الرضيع شاب خَوفاً منه •

تعليق :

قالوا : ذهب صيته في الناس أي ذكره • والصيت والصات : الذكر الحسن •

وخص الجوهري الصيت بالذكر الجميل الذي ينتشر بين الناس دون القبيح •

أقول : وهو من الصَوت الذي هو المصدر وقد أشرت في غير هذا المكان الى أن العربية درجت في الثلاثي من المصادر التي جاءت على « فَعْل » باسكان العين مع فتح الفاء ان تجاوز المصدر فتكسر الفاء فتحول المصدر الى اسم منه أو الى شيء قريب منه فيه الاسمية أو خصوصية معنوية أخرى فقد قالوا الريح من الرَوح وكذلك الذِبح وهو الحيوان المذبوح أو ما شأنه ان يُذبَح من المصدر الذي هو الذَبْح بالفتح ومثله المِسخ بالكسر وهو الاسم من المسخ بالفتح وهو المصدر . والسِقط بالكسر وهو الاسم من السقط بالفتح وهو المصدر وهذا كثير .

وكان ينبغي ان نفيد من هذا الباب في حياتنا الحاضرة في توفير شيء من المصطلح الجديد .

حرف الضاد

١٢٤ ـ ضبرم

قال المتنبي :

فلِلّــهِ وَقْتٌ ذوَّبَ الغِـشَّ نــارُه
فلــم يَبْــقَ إلاّ صــارِم أو ضبارِمُ

من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة ويذكر بناءه ثغر الحدَث ومنازلته أصناف جيش الروم ومطلعها :

على قدْر أهلِ العَزْمِ تَأْتِي العَزائِمُ
وتَأْتِي على قَــدْر الكِرامِ المكارِمُ

اللغة والشرح :

يتعجب من ذلك الوقت الذي قامت الحرب فيه بينه وبين الروم •

يقول : ما كان مغشوشاً هلك وتلاشى كأنه ذابَ بنــار الحرب ولم يبقَ الا سيف قاطع أو رجل شجاع ، وعَنَى بالغشّ الضِعاف من الرجال والأسلحة •

تعليق :

قالوا : الضُبارم : الأسد الوثيق • والضُبارِم والضُبارِمة : الجريء على الأعداء • وهو ثلاثي عند الخليل •

ابن السكيت : يقال للأسد ضُبارِم وضُبارِك ، وهما من الرجــال الشجاع •

أقول : ان ضبارِم من الرباعي وأصله كما ذهب الخليل هو الثلاثي ،

ومعنى هذا ان الاسم من مادة الضَبْر ويفيد الشد والوثاقة وقد قوّيَ هذا المعنى بالميم او الكاف على قول ابن السكيت كما قوّي الصَلْد وهو الصُلْب بالميم فقالوا صلدِم وصلادم للصلب الشديد .

وقد أشرت في مكانٍ آخر الى بناء « فُعالِل » وقلت انه من الأبنية القديمة التي لا نجد لها في عربيتنا المعاصرة أو قبل المعاصرة بعدة قرون أمثلة حية . وأقصد بالحية ان تلوكها الالسنة وتشتهر في الاستعمال .

ولقد ذكرت انَ كثيراً مما وَرَدَ على هذا البناء يوحي انه مصنوع بل قل موضوع وقد بسطت في ذلك القول في دراسة غير هذه .

حرف الطاء

١٢٥ ـ طبا

قال المتنبي :

لا بما تَبْتَنى الحواضرُ في الريفِ   وما يَطَّبي قلوبَ النِساءِ

وبَنَى كافوز داراً بازاء الجامع الأعلى على البركة وتحوَّلَ اليها وطالب أبا الطيّب بذكرها فقال :

اِنَّما التَهْنِئاتُ للأَكْفاءِ   ولِمَنْ يَدَّني من البُعَداء

اللغة والشرح :

أي لا يفخرَ بما يبنيه اهل الحَضَر في البلاد ولا بالمسْك الذي يستميل قلوبَ النساء ، وانّما يفخر ببناء العلياء وبالمسك الذي هو طيّب الثناء •
ويقال : طباه واطّباه اذا دعاه واستماله •

تعليق :

أقول : ان هذا الفعل مما لا ندركه في عصرنا ولا نعرفه وهو شيء فينا حاجة إليه ثم اننا لا نجد فيه غرابة وندرة بسبب من اجتماع الاصوات اللغويـة •

وقد استعمل المتنبي الفعل نفسه في صيغة الثلاثي في بيت آخر من قصيدة يمدح فيها أبا شجاع عضد الدولة فنّا خُسْرَو ومطلعها :

مَغاني الشِعْبِ طيباً في المَغاني   بمنزلةِ الربيعِ من الزَّمانِ

قال :

طَبَتْ فُرساننا والخَيلُ حتى   خَشيتُ وانْ كَرُمْنَ من الحِرانِ

يقال طباه يَطبيه ويطبو طَبْياً وطَبْواً واطَّباه اذا دعاه واستماله ، قال ذو الرمة :

لَيالِيَ اللهوُ يَطْبيني فأَتبَعُه كأنَّني ضارِبٌ في غَمرةٍ لَعِبُ

١٢٦ ـ طفل

قال المتنبي :

أَلْقَى فريستَه وبَرْبَرَ دونها وقَرُبْتَ قُرْباً خالَهُ تَطفيلا

انظر مادة (بربر) من هذا المعجم •

١٢٧ ـ طلس

قال المتنبي :

يُصرِّفُ الأمرَ فيها طينُ خاتمِه ولو تَطَلَّسَ منه كلُّ مكتوبِ

من قصيدة يمدح فيها كافوراً الاخشيديّ ومطلعها :

مَن الجآذِرِ في زِيِّ الأعاريب حُمْرُ الحِلَى والمطايا والجَلابيبِ

اللغة والشرح :

يقول : أمره مُطاع ومِثاله مُمْتَثَل في هذه البلاد يُؤْتَمرَ أمره بمكتوب يكتُبه ويختمه بطين وإن انْمَحىَ المكتوب يُراعَى حكمه إعظاماً له •

تعليق :

الطَلْس : لغة في الطِرس • والطَلْس : المحو • وطَلَس الكتاب طَلْساً وطلَّسه فتَطَلَّسَ كطرَّسَه • ويقال للصحيفة اذا مُحِيَت : طِلْس وطِرْس ، وأنشد :

وجَوْنِ خَرْقٍ يَكْتَسي الطُلوسا

يقول : كأنما كُسِيَ صُحُفاً قد مُحِيَتْ مرّةً لدروس آثارها •
والطِلْس : كتاب قد مُحِيَ ولم يُنْعَم محوه فيصير طِلْساً • ويقال لجلد فخذ البعير : طِلْسان لتساقط شعره ووبره ، واذا مَحوْتَ الكتاب لتفسد خطه قلت : طَلَسْتُ ، فاذا أنعمت محوه قلت : طَرَسْتُ •

وفي الحديث عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه أمَرَ بطَلْس الصور التي في الكعبة • قال شمر : معناه بطمسها ومحوها •

وفي حديث علي ـ رضي الله عنه ـ قال : لا تَدَع تمثالاً الا طَلَسته اي مَحَوته •

أقول : وقد كنا في بداية عهدنا في الدرس قبل عدة عقود نقول « الطلاسة » للشيء أو قطعة اللباد التي نمحو بها الكتابة من اللوح أو لقطعة المطاط الذي نمحو به آثار القلم من الورق • غير ان هذه الكلمة مما عفى عليه الزمان •

١٢٨ ـ طمطم

قال المتنبي :

غَضِبْتُ لــه لما رأيتُ صِفاتِــه
بلا واصفٍ والشعرُ تَهْذي طَماطِمُــهْ

من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة ومطلعها :

وفاؤُكُمـا كالرَبْـعِ أَشْـجاهُ طاسِـمُهْ
بأَنْ تسعِدا والدَمْعُ أشْفاهُ ساجِمُهْ

اللغة والشرح :

الطمَاطِم جمع الطِمْطِم وهو الذي لا يفصح •

يقول : لما رأيت صفاته لا واصف لها مع كثرة طماطم الشعر يعني الشعراء الذين يمدحونه فغضِبْتُ لاجله ، وسبب غضبه قصور شعرائه عن بلوغ وصفه •

تعليق :

أقول : لقد نبز جملة الشعراء الذين تصدّوا لمدح سيف الدولة فوصفهم بالعِيّ والقصور وأنهم كالطماطم الذين لا يستطيعون الافصاح . وفي هذا ادراك من نفسه لقدره واعظام لمنزلته مع شيء كثير من الكبر الذي بلغ به حد الصلف أحياناً .

ومن المفيد ان أشير الى ان الطمطم ما زال معروفاً صفة في الأسود الخالص في السواد كأن هذا الأسود عَيِيٌ لا يفصح وهذا نبز غير مقبول في عصرنا هذا .

١٢٩ ـ طول

قال المتنبي :

رَجَا الرومُ مَن تُرْجَى النوافِلُ كُلُّها
لَدَيْه ولا تُرجَى لَدَيْهِ الطَوائلُ

من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة بعد دخول رسول الروم عليه ومطلعها :

دُروعٌ لِمَلْكِ الروم هذي الرسائلُ
يَرُدُّ بها عن نفسه ويُشاغِلُ

اللغة والشرح :

الطَوائل : الأحقاد واحدتها طائلة .

يقول : رَجَوا عَفْوَ من يُرْجَى كل الفواضل من عنده ولا يُرْجَى ان يُدرَكَ لديه ثأر .

تعليق :

قالوا : الطوائل : الأوتار والذحول ، واحدتها طائلة ، يقال : فلان يطلُب بني فلان بطائلة اي بوَتْر كأنّ له فيهم ثأراً فهو يطلبه بدَمِ قتيله . وبينهم طائلة اي عداوة وتِرة .

أقول : وقد نستعمل في عصرنا « الطائلة » ولا نريد معناها الحقيقي وهو الوَتْر والثأر وانما نريد شيئاً نطلبه ونمضي جادين في طلبه .

حرف الظاء

١٣٠ ـ ظلل

قال المتنبي :

ظَلْتَ بها تنطوي على كَبِدٍ　　نَضيجةٍ فوقَ خِلْبِها يَدُها

من قصيدة يمدح فيها محمد بن عبيد الله العلوي ومطلعها :

أهلاً بدارٍ سباكَ أغيدها　　أبْعَدُ ما بان عنك خُرَّدُها

اللغة والشرح :

يريد ظللت فحذف احدى اللامين تخفيفاً كقوله تعالى : فظَلْتُم تَفَكَّهون .

يقول : ظللتَ بتلك الدار تَنْثني على كبدك واضعاً يدَك فوق خِلْبها ، والمحزون يفعل ذلك كثيراً لما يجد في كبده من حرارة الوجد يخاف على كبده أن تنشقَّ وهو كقول الآخر :

عَشيَّةَ أَثْني البُرْدَ ثُمَّ أَلوثُه　　على كبدي من خشيةٍ ان تَقَطَّعا

وقال الصمة القُشَيري :

وأذكر أيامَ الحِمى ثم أَنثني　　على كبدي من خشيةٍ ان تَصَدَّعا

والنضيجة لليد ولكن جرى نعتاً للكبد لاضافة اليد اليها كقوله تعالى : من هذه القرية الظالم أهلها . والظلم للأهل وجرى صفة للقرية ، وجعل اليد نضيجة لانه أدام وضعها على الكبد فانضجتها بما فيها من الحرارة ولهذا جاز اضافتها الى الكبد .

والخِلب غشاء للكبد رقيق لازب بها •

وقد استعمل المتنبي الفعل « ظلّ » على التخفيف في قوله ايضاً :

ولما التَقَيْنا والنَــوَى ورقيبُنــا غفولان عنا ظَلْتُ أبكي وتَبْسِمُ

تعليق :

حذف لام « ظل » في قوله « ظَلْتُ » للتخفيف • وما أظن ان الشاعر اراد التخفيف ولكنه أراد ان يتبع لغة التنزيل اذ وردت في آيتين بالحــذف وقد ذكرنا احدى الآيتين والأخرى قوله تعالى : « ظَلْتَ عليـــه عاكفا » • وكأنه أراد ان يلتمس الفصاحة ويظهر الاحاطة •

وأهل الحجاز يكسرون الظاء مع التخفيف فيقولون : ظِلنا وظِلتم •

قال ابن سيده : قال سيبويه أما ظِلْتُ بالكسر فأصله ظَلِلت بالفتح الا أنهم حذفوا فألقوا الحركة على الفاء كما قالوا : خِفت ، وهذا النحو شــاذ •

حرف العين

١٣١ ـ عبد

قال المتنبي :

وما مَطَرَتْنيهِ من البِيضِ والقَنا ورُومِ العِبِدّى هاطلاتٌ

من مقطوعة يودع فيها سيف الدولة وقد خرج الى الاِقطاع الذي أقطعه اياه ومطلعها :

أيا رامياً يُصمي فؤادَ مَرامِه تُرَبي عداه ريشَها لسهامِهِ

اللغة والشرح :

الروم جمع رومي كما يقال زِنج وزنجيّ • والعِبِدّى : العبيد وما انعَم به عليّ من أنواع نِعمه من الأسلحة والعبيد الرومية •

تعليق :

قالوا : والعِبِدّى ، مقصور ، والعِبِدّاء ، ممدودة ، والمعبوداء ، بالمدّ ، والمَعْبَدة أسماء الجموع •

أقول : لعلهم اعتبروا من أسماء الجموع كل ما دلّ على معنى الجمعية لم يرد عليه كثير من الكلم • وإلا لم كان ركب اسم جمع لراكب في حين ان « طرق » مثلاً جمع « طريق » ؟ وكأنهم خصّوا العِبِدّى والعبيد بمن ولد عبداً مملوكاً في حين ان « عباد » هم عباد الله وليسوا مملوكين •

وقد استعمل الشاعر « العِبِدّى » جرياً على عادته في التماس الابنية النادرة •

وقد وردت « العِبِدّى » في بيت آخر للشاعر نفسه :

تشابَهَتِ المَوالي والعبيدُ حتّى علينـا والمَوالـي والصَميمُ

يقول : عمَّ الجهل الناسَ كلّهم الذين هم عبيد الله حتى أشبَهوا البهائم في الجهل وملك المملوكون فالتَبَسَ الصميم وهو الصريح النَسَب الخالص، يعني اشتبه الاحرار بالموالي وهم الذين كانوا عبيداً أرقّاء ، وذلك أن نفاذ الأمر يترجم عن علوّ القدر والامارة اذا صارت الى اللئام التبسوا على هذا الأصل بالكرام . يعني ان التملّك انّما يستحقه الكرام فاذا صار الى اللئام ظنّوا كراماً .

١٣٢ ـ عبر

قال المتنبي :

فأبصَرْتُ بدراً لا يَرَى البـدرُ مثلـه
وخاطبت بحـراً لا يَرَى العِبْرَ عائمـه

من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة ومطلعها :

وفاؤُكمـا كالرَبْـعِ أشجـاه طاسِمُـهُ
بأنْ تُسعِدا والدَمـعُ أشفاه ساجِمُهُ

اللغة والشرح :

يقول أبصرت من سيف الدولة بدراً في الصباحة والطلاقة لا يرى بدر السماء مثله مع اطّلاعه على الدنيا كلها وخاطبت منه بحراً لا يرى السابح فيه ساحله .

تعليق :

قالوا : العِبْر بالكسر جانب النهر ، وعِبْر الوادي : شاطئه وكذلك عَبره بفتح العين عن كراع ، قال النابغة الذبياني يمدح النعمان :

وما الفـراتُ اذا جاشـت غوارِبُـه
تَرْمي اواذيُّـه العِبْرَين بالزَبَد

والفعل عَبَرَ النهر ومصدره عَبْر بفتح فسكون وعبور اذا قطع من هذا العِبْر الى ذلك العِبْر .

اما قول المعاصرين : « عَبْر الاحداث » فاستعماله جديد وليس فيه ما يجانب الصواب فهو على التشبيه اي تشبيه الاحداث بالنهر الذي يعبر . ويجب ان يضبط عين عبر بالفتح ليؤدي المصدر أما عِبْر بكسر العين فخطأ ان استعمل مع الاحداث لان « العِبْر » بالكسر هو الشاطىء أو الجانب أو الناحية .

١٣٣ ـ عذفر

قال المتنبي :

رَكِبْتُ مُشَمِّراً قَدَمي اليها وكل عُذافِرٍ قَلِقِ الضُفُورِ

من قصيدة يصف فيها سيره في البوادي وهجا فيها ابن كرّوس الأعور ومطلعها :

عَذيري مِن عَذارَى مِن أمورٍ سَكَنَّ جَوانِحي بَدَلَ الخدُورِ

اللغة والشرح :

مُشَمِّراً : رافعاً ذيلي للسرعة ، والعُذافِر : القويّ من الابِل ، والناقة عُذافِرة والضُفور جمع ضَفر وهو الحَبْل والنِسع .

يقول : قصدتها راجلاً وراكباً وانما تقلَق الضفور لشدة السَيْر والهُزال .

تعليق :

جعل الشاعر العُذافر القوي من الابِل وهو أيضاً العَذَوْفَر . وكذلك الأسد لشدّتِهِ والناقة عُذافِرة .

قلت غير مرة ان هذا البناء « فُعالل » من الابنية القديمة التي انصرفت الى مواد قديمة في مدلولها . وقد أكثروا من هذا البناء مما وضعوه وصنعوه فجاء غفلاً من شواهد صحيحة وجاء دالاً على صفات لا نستطيع معرفتها

وضبطها مثل الصلب الشديد أو الغليظ المسترخي وغير ذلك من صفات خلق الانسان والحيوان .

وقد استعمل المتنبي العُذافِرة وهي الناقة في بيت آخر وهو قوله :

وان البُدْنَ لا يُعْرِقْنَ الا وقد أنْضى العُذافِرةَ اللِكاكا

اللغة والشرح :

يُعْرِقْنَ أي يأتينَ العراق ، والعُذافِرة : الناقة الشديدة ، واللِكاك : المكتنزة اللحم .

يقول : ليت النوم حدّثه انّ ركابنا لا تبلغ العراق إلاّ وقد أهزلها ثِقلُ ما حَمَلت من نداك وانْضَى فعل نداك .

تعليق :

أقول : لم يرد مؤنث فُعالِل كثيراً فمثلاً قالوا : امرأة حِفَنْضِج وحُفاضِج اي عظيمة البطن كذا زعموا !

ولم يقولوا حفضجة أو حُفاضجة مثلاً . وقد يكون هذا لانهم لم يعدوا هذه المواد صفات وان أدّتْ معنى الوصفية .

١٣٤ ـ عشر

قال المتنبي :

كأنّكَ بَرْدُ المـاء لا عَيْشَ دونَـه
ولو كنتَ بَرْدُ المـاء لم يكن العِشْرُ

من قصيدة يمدح علي بن احمد بن عامر الانطاكيّ ومطلعها :

أُطاعِنُ خيلاً مـن فَوارسِها الدهـرُ
وحيـداً وما قَولي كـذا ومعي الصَبْر

اللغة والشرح :

العِشر (بكسر العين) أبْعدُ أظماء الابل .

يقول لو كنتَ الماء لوَسِعتَ بطبع الجود كلَّ حيوان في كل مكان ، وفي ذلك ارتفاع الأظماء ، ويجوز أن يقال : لو كنتَ بردُ المـاء لما عاودت غُلّة أطفأتَها .

وقال ابن جنيّ : أي كانت تُجاوز المدّة في وردها العِشر لغَنائها بعُذوبتك وبَرْدك .

تعليق :

قالوا : والعِشْر (بكسر العين) وِرد الابل اليوم العاشر . وفي حسابهم : العشر التاسع فاذا جاوزوها بمثلها فظِمؤها عِشران ، والابـل في كل ذلك عَواشِرُ أي ترد الماء عِشراً .

أقول سموا الأظماء (جمع ظِمء بالكسر) لورد الابل بعد أيام مـن الانقطاع عن الشرب ، فاذا شربت كل يوم يقال قد وردت رِفهاً ، فاذا وردت يوماً ويوماً لا ، قيل وردت غِبّاً ، فاذا ارتفعت عن الغِبّ فالظِمء الرِبع ، ثم الخِمس الى العشر ولا يوجد ثلث .

كل هذا بكسر الحرف الاول . وقد آشرت ان الكسر في اول الثلاثي يحول المصدر الى اسم قريب من الأصل المصدري أو معنى جديد يتصل به من قريب أو بعيد .

١٣٥ ـ عضرط

قال المتنبي :

وانّ ذا الاسـودَ المثقـوبُ مِشفَرُهُ

تُطيعُـــه ذي العَضاريطُ الرّعاديـدُ

من قصيدة قالها يوم عرَفة وقد خرج من مصر سنة خمسين وثلاثمائـة ويهجو فيها كافوراً ومطلعها :

عيـــدٌ بأيّةِ حالٍ عُدْتَ يا عيـــدُ

بمـا مَضىَ أم بأمْرٍ فيــك تجـــديدُ

اللغة والشرح :

يقول : ولا تَوَهَّمتُ ان الاسوَدَ العظيم المشافِر يستغوي هؤلاء اللئام الذين حوله يطيعونه ويصدرون عن رأيه وجعله مثقوب المشفر تشبيهاً في عِظَم مشافره بالبعير الذي يثقب مشفره للزمام . والعُضروط : التابع الذي يخدُم الناس بطعام بطنه ، والرِعديد : الجبان .

تعليق :

أقول : لو لم يعرف القارىء معنى « عُضروط » لاستشعر انها لا تدل الاّ على شيء حقير كريه في معناه وذلك ان اجتماع اصوات الكلمة وقربها مما هو متعارف عنده من الكلم يوحي انها تدل على شيء تافه لا قيمة له .

قالوا : العضروط التابع الذي يخدم الناس بطعام بطنه ، وهذا شيء يفصح عن حطة هذا الرجل وكونه دوناً رذلاً لا يرقى الى درجة الناس عامة .

ثم اذا عرضت لطائفة الالفاظ التي تتفق مع « العضروط » في الأصوات وجدتها مجموعة لغوية مَجفوّة تتصل بعضوي الذكر والانثى .

١٣٦ - عقل

قال المتنبي :

على فتىً مُعتَقِلٍ صَعْدَةً يُعِلُّها من كلّ وافي السِبالِ

البيت الثاني من بيتين قالهما في صباه فقد قيل له وهو في المكتب : ما أحسن هذه الوفرة فقال :

لا تحسُنُ الوَفْرةُ حتى تُرَى منشورةَ الضَفْرَين يومَ القِتالْ

اللغة والشرح :

يقال اعتَقَلَ الرمحَ وتنكَّبَ القوس وتَقَلَّدَ السيف اذا حَمَلَ كلاًّ منها حَمْلَ مثلها ، والصعدة : الرمح القصير . ومعنى يُعلّها يسقيها الدم مرة بعد أخرى من كل رجل تامّ السَبَلة وهي ما استرسل من مقدَّم اللحية .

يقول : انما يحسُن شِعْري اذا كنت على هذه الحالة •

وقد وردت « اعتقل » في قوله أيضاً :

أيقَنْتُ أنَّ سعيداً طالبٌ بدَمي **لما بَصُرتُ** به بالرمح مُعْتقِلا

وقال ايضاً :

قُلوبُهُم في مَضاء ما امتَشَقوا قاماتِهم في تَمامِ ما اعتَقَلوا

اللغة والشرح :

الامتشاق الافتعال من المشق وهو سرعة الطعن والضرب ، والاعتقال : إمساك الرمح بين الساق والركاب •

يقول : قلوبهم في مضاء سيوفهم وقدودهم في طول رماحهم •

تعليق :

اقول : والاعتقال بهذا المعنى من المواد التي انتفت الحاجة إليها فلا نكاد نستعملها أو نعرفها • وقد بقي من هذه المادة ما يعرف من أمر الاعتقال الذي هو الحبس وأصله شد وظيف البعير مع ذراعه بالعقال •

وهذا لون من التطور اللغوي الذي صير من الحبل وما يشبهه مادة تتصل بالحبس اولاً وبالعقل وهو يعنى الرشد وعدم تجاوز الحق وأشياء أخرى •

١٣٧ ـ عُقّل

قال المتنبي :

وقد يُلقِّبُه المجنونَ حاسِدُهُ

اذا اختلطن وبعض العَقْل عُقّالُ

من قصيدة يمدح فيها ابا شجاع فاتكاً الملقب بالمجنون ومطلعها :

لا خَيْلَ عندكَ تُهديها ولا مالُ

فليُسْعِدِ النطقُ إنْ لم تُسْعِدِ الحالُ

اللغة والشرح :

يقول : اذا اختلطت الرماح والسيوف عند الحرب لقبه حاسده مجنوناً ، والعقل في ذلك الوقت عقال" لانه يمنع الاقدام • والعقال داء يأخذ الدواب في الرجلين ، وهذا الممدوح كان يلقب بالمجنون فهو يقول : انما يلقبه بهذا اللقب حاسده حسداً له على فرط شجاعته التي تشبه الجنون •

تعليق :

قالوا : والعقال داء في رجل الدابة اذا مشى ظلع ساعة ثم انبسط ، وأكثر ما يعتري في الشتاء • وخص ابو عبيد بالعقال الفرس •

أقول : واستعمال « فعال » للداء المشار إليه اضافة جديدة يحسن ان يفيد منها أهل المصطلح العلمي الجديد ذلك ان « فعال » بالتخفيف من المصادر التي تفيد الادواء والامراض والاعراض ، ويضاف الى هذا « فعال » بالتشديد •

١٣٨ ـ عكن

قال المتنبي :

ودى ما جنى قبل المبيت بنفسه

ولم يده بالجامل العكنان

من قصيدة يذكر فيها خروج شبيب العقيلي سنة ٣٤٨ ومطلعها :

عدوك مذموم بكل لسان

ولو كان من اعدائك القمران

اللغة والشرح :

الجامل اسم للجمال الكثيرة كالباقر اسم لجماعة البقر ، والعكنان الابل الكثيرة •

يقول : إنه أدى دية من قتل من الناس بنفسه قبل ان دخل عليه الليل ، ولم يؤد الدية بالابل ، يريد أنه هلك فصار كأنه اقتص منه •

تعليق :

قالوا : العَكَنانُ (بفتحتين أو بسكون الكاف) : الابل الكثيرة العظيمة •

وقالوا : نَعَمٌ عَكْنان وعَكَنان اي كثيرة ، قال ابو نخيلة السعدي :

هل باللِّوَى من عَكَرٍ عَكْنانِ

أمْ هل تَرَى بالخَلِّ من أظعانِ ؟

أقول : وهذه مادة من مواد بداوة الشاعر ، تلك المواد التي لا ينفك يستحضرها في كثير من المناسبات • أقصد انه قد يكون في معرض ظرف من ظروف الحضارة بل قل ان مقتضى الحال يقتضي الشاعر ان يقول شيئاً يتصل بتلك المناسبة وذلك الظرف ، ويستجيب الشاعر لذلك ولكنه لابد ان يتخذ من مواده القديمة وسائل يصوّر ما يقتضيه الظرف أو المناسبة وان كانا بعيدين كل البعد عن ظروف البيئة البدوية • انه استطاع ان يتخذ من هذه المواد العتيقة شيئاً يناسب متطلبات الجدة في عصره •

١٣٩ ـ علل

قال المتنبي :

يُعَلِّلُها نِطاسِيُّ الشَّكايا ووَاحِدُها نِطاسِيُّ المعالي

من قصيدة يرثي فيها والدة سيف الدولة ويعزّيه عنها ومطلعها :

نُعِدُّ المَشرَفِيَّةَ والعَوالي وتَقتُلُنا المَنونُ بلا قتالِ

اللغة والشرح :

النطاسيّ : الطبيب الحاذق في الأمور ، ويُريد بواحدها ابنها الذي هو واحد الناس •

يقول : يُمرِّضُها ويُزيلُ عِلَّتها طبيب الأمراض يعني قبل موتها • وابنها طبيب المعالي أي العالم بأدواء المعالي فيزيلها عنها حتى تصحّ معاليه فلا يكون فيها نقصان ولا عيب •

تعليق :

أراد الشاعر بقوله « يُعَلِّلُها » أي يزيل العِلّة •

أقول : وهذا باب في العربية يكون فيه التضعيف وسيلة لازالة المعنى واثبات ضده فقولهم « مرّض » اي ازال المرض ، وفزّعَ ازال الفزع • وكأن الشاعر اتبع هذا الباب فجعل التضعيف في الفعل « علل » مفيداً الازالة والسلب ولم يكن هذا التضعيف في هذا الفعل معروفاً انه يفيد الازالة • وكأن الشاعر أراد ان يقول ان « التعليل » على وجه العموم هو اظهار العلة وكشفها وفي ذلك يكون التأويل والتفسير ، وعلى هذا فلم يكن بعيداً عن سنن العربية •

١٤٠ ــ عمر

قال المتنبي :

وقد تُحدِثُ الأيّامُ عندكَ شيمةً
وتَنْعَمِرُ الأوقاتُ وهي يَبابُ

من قصيدة يمدح فيها كافوراً وقد انشده إياها ولم يلقَه بعدها ومطلعها :

مُنىً كُنَّ لي أنّ البَياضَ خِضابُ
فيَخْفَى بتَبييِنِ القُرونِ شَبابُ

اللغة والشرح :

يقول : الايام تُغَيِّر عادتَها عندك فتُرضي المعاتب وتُصالح ذوي الفضل فلا تقصد مَساءتهم لحصولهم في ذِمّتك وجوارك ، والاوقات تصير عامرة لهم بأن يُدركوا مطلوبهم •

والمعنى : إن أظفرَتْني الأيام بمطلوبي عندك فلا عجب لها فانها تحدث شيمةً غير شيمتها خوفاً منك وهيبة لك •

تعليق :

أقول : لقد ورد الفعل « انْعَمرَ » وقد صاغه المتنبي فخرج على السماع وذلك ان هذه الزيادة لم تسمع في هذا الفعل ، وهذا من مولّدات الشاعر •

١٤١ ـ عمل

قال المتنبي :

أَنكَحْتُ صُمَّ حَصاها خُفَّ يَعْمَلَةٍ

تغشمرت بي اليك السهل والجَبَلا

من قصيدة له من قصائد الصبا يمدح سعيد بن عبدالله بن الحسين الكلابيّ ومطلعها :

أَحْيَا وأيْسَرُ ما قاسَيْتُ ما قَتَلا

والبينُ جارَ على ضَعْفي وما عَدَلا

اللغة والشرح :

الصُمّ الصِلاب : الشِداد من كل شيء ، واليعملة الناقة القوية لأنها تعمل السير وتغشمرت تعَسَّفت وركَضَت على غير قصد .

يقول : أوطأت خُفَّ ناقتي حجارة المفاوز حتى وَطِئتها وسارت بي اليك في السهل والجَبَل على غير الطريق .

تعليق :

قالوا : اليَعْمَلَة من الابل : النجيبة المُعتملة المطبوعة على العمل ، ولا يقال ذلك الا للانثى . هذا قول أهل اللغة .

قال كراع : اليعملة الناقة السريعة اشتق لها اسم من العمل ، والجمع يَعمَلات .

أقول : واشتقاق « يَعْمَلة » يشير الى جرأة العربي القديم واتساع ذهنه وصفاء سليقته في صنع الالفاظ واستيحائها ، وهذا شيء اختصت به العربية بين سائر اللغات السامية .

ولقد استعمل الشاعر « تغشمر » للتعسّف واراد ان الناقة تركض على غير قصد وهذا معروف في اللغة فقد يفيد الفعل التهضّم والظلم والتنمّر كما يفيد في الوقت نفسه اتيان الامر من غير تثبت ، وكأن المتنبي قد أراد المعنيين في البيت نفسه فالناقة تعسفت وجرت على غير قصد .

١٤٢ ـ عود

قال المتنبي :

هَيْهاتَ عاقَ عن العَوادِ قواضِبٌ
كثر القتيلُ بها وقلَّ العاني

من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة وقت منصرفه من بلاد الروم ومطلعها :

الرأيُ قبلَ شجاعةِ الشجعان
هو أوّلٌ وهي المَحَلُّ الثاني

اللغة والشرح :

اي بَعُدَ ما أمّلوا من العود الى القتال فقد عاقَهم عن ذلك سيوفٌ كَثُرت بها القَتْلى منهم وقلَّ الأسير أي أنهم لم يُؤسَروا بل قُتِلوا •

تعليق :

أقول : اراد بـ « العواد » العَوْد وهو شيء اختص به وجوّزه على جريه في احداث الالفاظ لمعانٍ يريدها • وكأنَّ العَواد مثل العَود اي ان للفعل « عاد » مصدرين هما عَود وعَواد • ولم يرد هذا المصدر في كتب اللغة • ان « العَواد » في كتب اللغة تعني البِرّ واللطف •

حرف الغين

١٤٣ ـ غرد

قال المتنبي :

فالموتُ آتٍ والنفوسُ نفائِسٌ
والمُستَغِرُّ بما لديهِ الاحمقُ

من قصيدة يمدح فيها أبا المنتصر شجاع بن محمد بن اوس بن معن بن الرضا الازديّ ومطلعها :

أَرَقٌ على أَرَقٍ ومِثْلِيَ يأرَقُ
وجَوًى يَزيدُ وعَبْرَةٌ تَتَرَقْرَقُ

اللغة والشرح :

يقول : الموت يأتي على الناس فيُهلِكهُم وان كانت نفوسهم نفيسةً عزيزة ، والنفيس : الشيء الذي يُنْفَس به أيْ يُبْخَل به ، والمستَغِرّ : المغرور .

يعني ان الكيّس لا يغترّ بما جمعه من الدنيا لعلمه انه لا يبقى ولا يدفع عنه شيئاً ، ومن لم يعلم هذا فهو أحمق . وروى علي بن حمزة المستعزّ اي الذي يطلب العزّ بماله فهو الأحمق .

تعليق :

أقول : وليس في العربية « استغرّ » من الثلاثي « غرّ » . وهذا مما ولّده المتنبي وله في هذا الباب اجتهاد . يقال : ان اكثر التجاوز على الاقيسة في العربية حدث في الشعر وذلك لان الشاعر ابداً ممتحن وأنا اقول : ان

بين الشعراء من يستحن وتعرض له الهفوات والهنوات ولكن نفراً آخر يملك من الوسائل والادوات لا تحزبه قضية الوزن والقافيـــة وعلى رأس هؤلاء ابو الطيب ولكني أرى انه أراد ان يولد ويجتهد فكان له ذلك •

١٤٤ ـ غشمر

قال المتنبي :

أنكحت صُـمَّ حَصَاها خُفَّ يَعْمَلَةٍ

تَغَشْـمَرَتْ بي اليك السهـل والجَبَلا

انظر مادة (عمل) من هذا المعجم •

١٤٥ ـ غرنق

قال المتنبي :

تَغَيَّر حالي والليـــالي بحالِهـــا

وشِبْتُ وما شابَ الزمـانُ الغُرانِقُ

من قصيدة يمدح فيها الحسين بن اسحاق التنوخي ومطلعها :

هــو البــين حتى ما تَأَنَّى الحــزائقُ

ويا قلــبُ حتــى أنتَ ممّــن أفارِقُ

اللغة والشرح :

الغُرانق : الشاب الناعم وجمعه غَرانِق (بفتح الغين) مثل جُوالِق وجَوالِق • ويقال : الغرانيق •

تعليق :

الغُرْنوق والغِرنَوق والغِرنَيــق والغِرنيــق والغِرناق والغُرانِق والغُرَونِق كله الابيض الشابُّ الناعم الجميل •

وفي حديث علي ــ عليه السلام ــ : فكأنّي انظر الى غُرنوقٍ من قريش يتشحَّط في دَمِه اي شاب ناعم وشباب غُرانِق : تامٌّ •

والجمع : غَرانِق وغرانيق وغرانقة .

وقد قال المتنبي : شاب الزمان الغُرانق على تشبيه الزمان بالشابِّ الناعم .

١٤٦ ـ غرو

قال المتنبي :

أَرَى المتشاعِرينَ غَرُوا بذَمّي ... ومن ذا يحمَدُ الداءَ العُضالا

من قصيدة يمدح فيها بدر بن عمار ومطلعها :

بقائي شاءَ ليس هم ارتِحالا ... وحُسْنُ الصبرِ زَمّوا لا الجِمالا

اللغة والشرح :

يقال : غَرِيَ بالشيء اذا وَلِعَ به ، والداء العُضال : الذي لا دواء له ، يعني انه لهم كالداء الذي لا يجدون له دواءً لذلك يذمّونَه ويحسدونه .

تعليق :

يقال : غَرِيَ بالشيء يَغْرَى غَرًى وغَراءً : أولع به وكذلك أُغرِيَ به اِغراءً وغَراةً .

أقول : وهذا من الافعال التي أميتت في العربية المعاصرة ولم يبق من هذه المادة اللغوية الا الرباعي المزيد بالهمزة وهو « أغرى » .

١٤٧ ـ غفر

قال المتنبي :

ويَرُدُّ غُفْرَتَه الى يافوخِه ... حتى تصير لرأسه اِكليلا

من قصيدة يصف فيها منازلة بدر بن عمّار للأسد ومطلعها :

في الخدِّ ان عَزَمَ الخليط رحيلا ... مَطَرٌ تَزيد به الخدودُ مُحولا

اللغة والشرح :

الغُفْرة الشَعَر المجتمع على قفاه •

يقول : يردّ ذلك الشَعَر الى هامته حتى يجتمع عليها فيصير ذلك لرأسه كالاكليل وانما يفعل ذلك غَضَباً وتغيّظا يجمع قوّته في أعالي بدنه •

ويقول ابن دوست : الغُفرة شعر الناصية ، يعني ان هذا الأسد يرفع رأسه في مشيته حتى يرتدّ شعر ناصيته الى أعلى رأسه • والقول هو الأول لانه بعد هذا وصف غيظ الاسد •

تعليق :

قال أهل اللغة : الغُفْرة (بالضم) ما يغطى به الشيء • غير ان المتنبي استعمله للشعر المجتمع على قفا الأسد • ولم يكن شيء من هذا في كتب اللغة •

قالوا : غَفْر الجَسَد وغُفاره : شعره • والغَفَر : شعر كالزغب على ساق المرأة والجبهة • والغفيرة : الشُعر يكون على الاذن • وامرأة غَفِرة الوجه اذا كان في وجهها غَفَر •

والغفير : شعر العنق واللحيين والجبهة والقفا •

والأصل في مادة « غَفَرَ » انها بمعنى سَتَرَ وغَطّى ، وقولهم غفر الله ذنوبه اي سترها •

والمِغْفَر والمِغفَرة والغفارة : زَرَد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة ، وقيل : هو حَلَق يتقنع به المتسلّح •

قال المتنبي :

نُعْج مَحاجِرُه دُعْج نواظرُه حُمْر غَفائرُه سود غَدائرُه

والغَفائر جمع غِفارة وهي خرقة تلبسها المرأة فتغطّي رأسها ما قَبَل منه وما دَبَر غير وَسْط رأسها • وقيل : الغِفارة خرقة تكون على رأس المرأة يُوَقى بها الخِمار من الدهن ، وقد تكون اسماً للمقنعة التي يغطّى بها الرأس •

وقد جاء المِغفَر وهو ما يغفر الرأس اي يغطيه في قوله أيضاً :

تَرَكْنَ هامَ بنى عَوفٍ وثَعْلَبةٍ على رُءوسٍ بلا نـاس مَغافـرُهُ

فالمِغْفَر وهو من اوزان الآلة والغِفارة (بالكسر) من أسماء الادوات القديمة يشيران الى أصل مادة « غَفَرَ » وهو الستر والتغطية .

ومن المفيد ان أشير في هذا المكان الى ان « الغفر » للتغطية انتهى الى غفران الذنوب اي سترها ، والله هو الذي يسترها فهو غافر وغفّار وغفور .

ومن الطريف ايضاً ان « الكفر » الذي انتهى الى الكفر بالله اي الالحاد والاشراك فيه أو نكرانه هو في الأصـل بمعنى الستر فكأن الكافر يستر الايمان بحاله من الكفر بالله . وقالوا : سُمّيَ الفلاح والزارع كافراً بسبب من هذا! .

١٤٨ ـ غلت

قال المتنبي :

غَلِتَ الذي حَسَبَ العُشورَ بآيَـةٍ
تَرتيلك السُـورات مـن آياتهـا

من قصيدة يمدح بها أبا ايوب احمد بن عمران ومطلعها :

سِرْبٌ محاسِنُه حُرِمت ذَواتِهـا
داني الصفـاتِ بعيـد موصوفاتِها

اللغة والشرح :

الغَلَتُ مثل الغلط ، والعُشور : أعشار القرآن ، والترتيل : التبيين في القراءة .

يقول : الذي يحسب العُشور ، يعني القرآن ، والقرآن كلّه عُشور وهي معجزة واحدة ، وترتيلُك في حسن قراءتك وبيانِك معجزةٌ ايضاً ، فمن

سمع ترتيلك فلم يعدّه آية فهو غالط بآية لانّ ترتيلك في الإعجاز مثلها الحاقه بها حتى يقال : القرآن معجزة وترتيلك معجزة فهما معجزتان .

تعليق :

قالوا : الغلت والغلط سواء وقد غلِتَ الرجل ، ورجل غلوت في الحساب كثير الغلط ، قال رؤبة :

اذا استدارَ البرِم الغلوت

وخصّ بعضهم الغلت بالحساب والغلط ما سوى ذلك .

أقول : وعلى هذا جرى المتنبي فقال « غلت الذي حسَبَ ... » .

وأنت تدرك انه يميل الى تحرى الصواب النادر في أكثر الاحايين على أنه قد يخرج فيتصرف أو قد يولد بناءً جديداً أو معنى جديداً .

١٤٩ ـ فخر

قال المتنبي :

يا افْخَرْ فانَّ الناسَ فيك ثلاثـة　　مستعظم أو حاسِـدٌ أو جاهِـلُ

من قصيدة يمدح فيها القاضي ابا الفضل احمد بن عبدالله بن الحسن الانطاكيّ ومطلعها :

لكِ يا منازِل في القلـوب منازِلُ　　أقفَرتِ أنتِ وهُنَّ منكِ أواهِلُ

اللغة والشرح :

اراد يا هذا افخرْ فحذف المنادى كقراءة من قرأ « ألا يا اسجُدوا » على معنى : « ألا يا هؤلاء اسجُدوا » .

ومنه قول ذي الرمّة :

الا يا اسلمي يا دارَ مَـيَّ على البِلَـى
ولا زالَ منهـلاًّ بجَرعائِـكِ القَطْـرُ

يقول : الناس فيك ثلاثة اقسام : إما مستعظِم يستَعْظمُكَ لما يَرَى من عِظَمِك أو حاسِدٌ يحسُد فضلك أو جاهل يجهل قدرك .

تعليق :

أقول : وكان المتنبي يتحرى الاستعمالات التي بقيت شخوصاً واضحة في بناء العربية تُعَدّ شواهد فتستحسن على خروجه احياناً عن هذا النسق القديم .

١٥٠ ـ فذلك

قال المتنبي :

نُسِقُوا لنا نَسَقَ الحساب مُقَدَّماً
وأَتَى فذلك اذ أتَيتَ مُؤَخَّرا

من قصيدة يمدح فيها ابا الفضل محمد بن الحسين بن العميدي وورد عليه بأرَّجان ومطلعها :

بادٍ هواكَ صَبَرتَ أم لم تصبِرا
وبُكاكَ إنْ لم يَجرِ دمعُكَ أو جرَى

اللغة والشرح :

يقول : جُمع لنا الفضلاء في الزمان ومَضَوا متتابعين متقدّمين عليك في الوجود ، فلما أتَيتَ بعدهم كان فيك من الفضائل ما كان فيهم مثل الحساب يذكر تفاصيله اولاً ثم يجمل على تلك التفاصيل فيُكتب في مؤخَّر الحساب « فذلك كذا وكذا » فيُجمع في الجملة ما ذكر في التفصيل . كذلك انت جُمِعَ فيك من الفضل ما يُفرَّقُ فيهم .

تعليق :

أقول : ولقد أفاد المتنبي من لغة الناس في حياتهم اليومية فأهل التجارة في السوق يحسبون ويكتبون حسابهم ويجمعون المقادير وينتهي ما يكتبون بقولهم في نهاية الحساب « فذلك » للمجمع لقد أفاد المتنبي من هذه العامية الدارجة .

ويظن ان « الفذلكة » في العربية من هذا وهي اتيان الغريب من الأمر وتكلف الصعب أو ما يقرب من هذا .

١٥١ ـ فرد

قال المتنبي :

قامت على فَرْدِ رِجْلٍ من مهابتِهِ
وليس تعقل ما تأتي وما تَذَرُ

من مقطعات تشتمل كل واحدة على بيتين أو أكثر في وصف لعبة على صورة جارية أُحضِرتْ مجلس بدر بن عمار . والبيت ثاني بيتين من هذه المقطعات .

تعليق :

قوله : «فرْدِ رجل» أي « على رِجلٍ واحدة » وهذا تعبير عامي واضح ما زلنا نستعمله في العراق كثيراً . ويبدو ان كثيراً من الوان عاميّة اليوم كانت معروفة قبل عدة قرون .

١٥٢ – فرس

قال المتنبي :

أفرَسُها فارساً وأطولُها   باعاً ومِغوارُها وسيّدُها

من قصيدة في صباه يمدح فيها محمد بن عبدالله العلويّ ومطلعها :

أهلاً بدارٍ سباكَ أغيدُها   أبعَدُ ما بانَ عنك خُرَّدها

اللغة والشرح :

أي هو أفرسُها اذا ركب فرسه وكان فارساً وأكد الكلام بذكر الحال لان أفرس يكون من الفرس والفراسة . وطول الباع مما يمدَح به الكرام ، ويقال : فلان طويل الباع اذا امتدّت يده بالكرم ، ويقال للئيم ضيّق الباع ، والمِغوار الكثير الغارة .

تعليق :

أقول : قوله « أفرس » اشتقاق من مادة « الفرس » وهذه المادة هي التي ولدت النسق الفعلي في العربية فقيل : « فروسية » مع المصدر الصناعي والوصف « فارس » وجاء المتنبي فاستعمل التفضيل « أفرس » .

وهذا مثل من تصرفه في العربية ومثل من سعة العربية نفسها .

١٥٣ ـ فعل

قال المتنبي :

نَصَرَ الفَعَالُ على المِطَالِ كأنَّما
خالَ السؤالَ على النَّوالِ مُحَرَّما

من قصيدة يمدح فيها احدهم واراد ان يستكشفه عن مذهبه ومطلعها :

كُفِيٌّ أرانِي وَيْكِ لَوْمَكِ أَلْوَما
هَمٌّ أقامَ على فُؤادٍ أنجُما

اللغة والشرح :

الفَعَال بفتح الفاء يستعمل في الفعل الجميل ، والمِطال : المماطلة وهي المدافعة .

يقول : نَصَر فعله على القول ، وعطاءه على المطل ، أي يُعطي ولا يَعِدُ ولا يماطِل كأنّه ظنَّ انّ السؤال حرام على النوال ولا يُحوِج الى السؤال ، بل يسبق بنواله السؤال وهذا مجاز وتوسّع لانّ النوال لا يوصف بأنه يُحَرَّم عليه شيء ولكنه اراد أن يذكر تباعده عن الالجاء الى السؤال .

تعليق :

اقول : « الفَعال » بفتح الفاء للفعل الجميل تخصيص في الدلالة وافادة مما يسمى في العربية بالحركات وما يتبعها من حروف المد . ومن هنا كان « الفَعال » غير « الفعل » .

١٥٤ ـ فوز

قال المتنبي :

وأحسَنُ من ماءِ الشبيبةِ كُلِّه
حَيَا بارقٍ في فازَةٍ أنا شائِمُه

من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة ومطلعها :

وَفاؤُكُما كالرَبْـع أشجاه طاسِمُه
بأن تُسعِدا والدمـعُ أشفاه ساجِمُه

اللغة والشرح :

اراد بماء الشبيبــة نضارتها وحسنهــا ، والبارق السحاب ذو البرق ، والفازة شراع ديباج نُصِبَ لسيف الدولة ، والشائم الناظر الى البرق يرجو المطـر .

يقول : احسن من الشباب مطر سحابٍ بارق انا انظر إليه ، يعني سيف الدولة ، جعله مطر سحاب لجوده وعموم نفعه ، وكنى بالشيم عن تعليق رجائه به بانتظار جوده .

تعليق :

الفازة من الكلم الغريب . وهى بناء من خِرَق وغيرها تبنى في العساكر والجمع « فاز » ، وقالوا : الفها مجهولة الانقلاب ، قال ابن سيده : ولكن احملها على الواو لان بدلها من الواو أكثر من الياء وكذلك اذا حَقَّر سيبويه شيئاً من هذا النحو أو كسَّره حمله على الواو اخذاً بالاغلب .

قال الجوهريّ : والفازة مِظلّة بعمود ، عربيّ فيما أرى .

١٥٥ ـ فوق

قال المتنبي :

فكانَ الطَعْنُ بينهمـا جَواباً   وكـان اللُبْثُ بينهمـا فُواقا

من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة ومطلعها :

أيَدري الرَبـعُ أيَّ دَمٍ أراقا   وأيَّ قلوبِ هذا الركبِ شاقا

اللغة والشرح :

الفَواقُ والفُواق قَدْر ما بين الحَلْبتين ويضرب مثلاً في السـرعة واللبث القليل ، والفواق ايضاً الشهقة الغالبة للانسان .

يقول : تجيب خيله الصريخَ بالطعان من غير لُبث في اجابته فتجعل الطعنَ جواباً ، وقدَّر اللبث الاجابة وبين دعاء الصريخ قدر فُواق ناقة أو فواق انسان يعني لا لبث بينهما •

تعليق :

أقول : والفواق هذا يؤيد ما ذهبت إليه من ان الكثير من مواد العربية يكشف عن مظاهر البيئة القديمة وان الصفات والاحوال قد تؤخذ مما يباشره العربي القديم في بيئته ، الا ترى ان السرعة واللبث القليل اتصلت بما بين الحلبتين من وقت ، وقد لا يكون هذا دالاً على السرعة الفائقة أو اللبث القليل دلالة كافية ولكنهم اطلقوا ذلك مستوحين مما يباشرون من عمل أو سلوك يومي •

١٥٦ ــ فيش

قال المتنبي :

يُزيلُ مخافةَ المَصبورِ عنه ويُلْهي ذا الفِياشِ عن الفِياشِ

من قصيدة يمدح فيها ابا العشائر الحسين بن علي بن حمدان :

مَبيتي من دِمشقَ على فِراشٍ حَشاهُ لي بَحرُّ حَشايَ حاشي

اللغة والشرح :

المصبور : المحبوس على القتل ، يقال : قُتل فلان صبراً • والفِياش المفايشة وهي المفاخرة •

يقول : انه يستنقذه من القتل فيزيل خوفه ويشغل المفاخر عن المفاخرة لانه يتواضع له ويقرّ بفضله •

تعليق :

قالوا : الفِياش المفاخرة ، قال جرير :

أيُفايِشونَ وقد رأوا حُفّاثهَم قد عضَّه فقَضَى عليه الأشجعُ

ومنه قالوا : الفيّاش للرجل النَفّاج بالباطل وليس عنده طائل •

أقول : وهذا مثل من استعماله للغريب النادر •

حرف القاف

١٥٧ ـ قبع

قال المتنبي :

قَبائعُها تحتَ المَرافِقِ هَيْبةً وأنفذُ ممّا في الجفون عزائِمُه

من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة ومطلعها :

وفاؤكما كالربعِ أشجاهُ طاسِمُه ......

اللغة والشرح :

القبائع جمع القبيعة وهي حديدة فوق مقبض السيف وهي التي يد القائم فيها .

يقول : قاموا متّكئين على قبائع سيوفهم هيبة له وتعظيماً ثم قال : عزائمه أنفذ من نصال السيوف وهي في الجفون .

تعليق :

أقول : القبيعة من أجزاء السيف . وهذا المعجم الذي يتصل بادوات الحرب القديمة قد عفا عليه الزمان ذلك ان الحاجة إليها قد انتهت . وهي على كل حال تثبت ان العربية القديمة حفلت بالادوات والآلات وانها استطاعت ان تفي بحاجات تلك العصور فكان مصطلح للحرب وكان مصطلح للسلم ولأي ظرف من الظروف .

١٥٨ ـ قتل

قال المتنبي :

وقَتَلْتَ الزمانَ علماً فما يُغرِبُ قَولاً ولا يُجَدِّدُ فِعْلا

من قصيدة يُعزّي فيها سيف الدولة بأخته الصغرى ويُسلّيه ببقاء الكبرى ومطلعها :

إنْ يكنْ صبرُ ذي الرزيّـةِ فَضـلا
تكنِ الأَفضَلَ الأَعـزَّ الأَجَـلاّ

اللغة والشرح :

أي عرفت الزمان وألوانه وصروفه معرفة تامة فلا يأتي بشيء غريب ولا فعل جديدٍ لم ترَه ولم تعرفه ، ومعنى قَتَلتَ الزمان علماً أي علمتَ منه كل شيء حتى اذللتَه بعلمك وليّنتَه لك .

تعليق :

أقول : قوله : « وقتلت الزمان علماً » مجاز من المجازات أو قل استعارة جميلة . وهذا يظهر ان المجاز والاستعارة شيء كان من صميم بناء العربية الاولى وذلك ان كثيراً من المجازات انصرفت الى الواقع المحسوس فكانت حقائق .

ولعل هذا المجاز يسوّغ لنا إن نقبل ما يجدّ في عصرنا من المجازات كأن نقول وقتل المسألة بحثاً او قتلها تجربة . وهذا المجاز وان كان قد تسرب الينا منقولاً من لغة أجنبية ففي العربية سعة وتقبّل .

وقد استعمل المتنبي « الاقتال » جمع قِتل (بالكسر) أي الاعداء في قوله :

فلمثله جَمَعَ العَرَمْرَمُ نفسَه وبمثله انفصمت عُرَى أقتاله

وقد أشرت غير مرة الى المصادر الثلاثية على بناء « فَعْـل » بسكون العين وفتح الفاء وبينت سبيل العربية فيها وكيف ينتقل المعنى بكسر الفاء الى اسمية قريبة أو بعيدة و « قِتل » بالكسر مثل من هذه الامثال .

١٥٩ ـ قد

قال المتنبي :

اذا استَعطَيْتَه مـا في يَدَيْـهِ فقَدْكَ سأَلْتَ عن سِرٍّ مُذيعا

من قصيدة يمدح فيها علي بن ابراهيم التنوخيّ ومطلعها :

مُلِثٌ القَطرِ أعطَشَها رَبوعا   والا فاسقِها السَّمَّ النَّقيعا

اللغة والشرح :

قدكَ اي حسبك وكفاكَ •

يقول ان سألته جميع ما له كفاكَ ذلك السؤال كالمذيع اذا سألته عن سِرٍّ فشا به ولم يكتمه كذلك هو يُعطيك ما يملكه ولا يبخل به •

تعليق :

قال الجوهري : وأما قولهم « قَدْكَ » بمعنى حسبك فهو اسم ، تقول : قدي وقدني بالنون وفي حديث عمر انه قال لأبي بكر : قدْكَ يا أبا بَكرْ •

أقول : واستعمال قد بهذا المعنى قديم ، وقد أشرت الى ان الشاعر يتحرى هذه الاستعمالات القديمة وكأنه يريد ان يجدد لها حياة •

١٦٠ ـ قرب

قال المتنبي :

ما كانَ أقصَرَ وقتاً كان بينهما

كأنَّه الوقتُ بين الوِرْدِ والقَرَبِ

من قصيدة يرثي فيها اخت سيف الدولة الكبرى ويُعزّيه بها ومطلعها :

يا أُخْتَ خيرِ أخٍ يا بنتَ خيرِ أب

كنايةً بهما عن أشرف النَسَبِ

اللغة والشرح :

يريد ان قِصَر ما كان بين موتيهما (اي أختيه) من الزمان كان كقِصَر ما بين الوِرد والليلة التي يُصَبِّح فيها الماء •

تعليق :

قال الأصمعي : قلت لأعرابي : ما القَرَب ؟ فقال : سير الليل لوِرد الغد •

الليث : القَرَب ان يرعى القوم بينهم وبين المورد ، وفي ذلك يسيرون بعض السير ، حتى اذا كان بينهم وبين الماء ليلة أو عَشيّة ، عجّلوا فقرّبوا يقرُبون قرباً ، وقد أقربوا ابلَهم ، وقرِبَت الابل قرَباً •

أقول : وأنت تحس أن مواد الصورة البدوية وأدواتها وما هو من لوازمها من ظلال العيش البدوي ، كل ذاك ماثل واضح في شعر المتنبي ، ولكنه ينقل هذه الادوات البدوية حين يتناول مسألة من مسائل الحضارة •

١٦١ ـ قرح

قال المتنبي :

لعَلّ بَنيهمُ لِبَنيكَ جُنْدٌ فأوّلُ قُرَّحِ الخيل المِهارُ

من قصيدة يصف ايقاع سيف الدولة بقبائل عقيل وقشير وكلاب ومطلعها :

طِوالُ قَناً تُطاعِنُها قِصارُ وقَطْرُكَ في نَدًى ووَغًى بِحارُ

اللغة والشرح :

يستعطفه عليهم ويحثّه على العفو عنهم •

يقول : لعل ابناءهم يكونون جنداً لأبنائك ، والمِهارُ من الخيل هي التي تصير قُرّحاً أي الصغار تصير كباراً •

تعليق :

قالوا : وفَرَس قارح هي التي أقامت اربعين يوماً من حملها وأكثر حتى شَعَّر ولدها • وتطلق على الناقة ايضاً اول ما تحمل • والقارح مما يستوى فيه المذكر والمؤنث •

أقول : وهذه مادة من المواد التي تتصل بحياته المضطربة التي تضطره ان يتحول من مكان الى آخر • وهي من غير شك من مادة معجمه في الخيل ومعجمه في الابل •

١٦٢ ـ قرى

قال المتنبي :

لا أَقتَرِي بَلَـــداً الا على غَـــرَرٍ
ولا أمُــرُّ بخَلْــقٍ غــير مُضطَغِــنِ

من قصيدة يمدح فيها محمد بن عبيدالله بن محمد بن الخطيب القاضي الخصيبي ومطلعها :

أفاضِلُ النــاسِ أغراضٌ لــذا الزَمَنِ
يخلــو من الهَمِّ اخلاهــم مــن الفِطَنِ

اللغة والشرح :

تقول : قَرَوتُ البلاد واستقريتها اذا تتبَّعتَها تخرُجُ من بلد الى بلدٍ ، ومُضْطَغِن ذو ضِغْنٍ وحِقد •

يقول : لا اسافر الا على خَطَر وخوف على نفسي من الحُسّاد والأعداء ولا أمُرُّ بأحد لا يكون له عليَّ حقد ، يعني انهم جُهّال أعداء لذوي الفضل والعلم فلجهلهم وفضلي يعادونني •

تعليق :

أقول : وكذلك التقرّي بالتاء مع تشديد الراء •

وفي حديث أنس : فتَقَرَّى حُجَرَ نسائه كلّهِنَّ •

وكذلك استقرى ، ومنه حديث عمر ـ رضي الله عنه ـ بلغني عن أمَّهات المؤمنين شيء فاستقريتُهن •

أقول لتَكْفُفَنَّ عن رسول اللــه ـ صلى اللــه عليــه وسلم ـ أو ليُبَدِّلَنَّه الله خيراً منكُنَّ •

والاستقراء الذي نستعمله في عصرنا من هذه المادة القديمة • وأكبر الظن ان الكلمة من « القَرا » وهو وسط الظهر ، فكأن المتتبّع للشيء يمر عليه أو على ما ظهر منه •

١٦٣ ـ قزم

قال المتنبي :

سادات كلِّ أُناسٍ مِن نفوسهِم
وسادة المسلمين الأعبُدُ القَزَمُ

من قصيدة يهجو فيها كافوراً ومطلعها :

من أيَّةِ الطرق يأتي مثلَكَ الكَرَمُ

••••••

اللغة والشرح :

هذا اغراء لأهل مملكته به •

يقول : كل جيل وأمّة يملكهم من هو من جنسهم فكيف سادَ بالمسلمين عبيد رُذال لئام • والقَزَم : رُذال الناس لا واحد له من لفظه وروى ابن جني القُزْم •

تعليق :

قالوا : القَزَمُ اللئيم الدنيء الصغير الجُثة الذي لا غناء عنده ، الواحد والجمع والمذكر والمؤنث سواء لانه في الأصل مصدر اي الدناءة والقماءة •

وفيه لغة أخرى فيقال رجل قَزَم وامرأة قَزَمة ونساء قَزَمات ورجال أقزام •

ومنه حديث علي ـ رضي الله عنه ـ في ذمّ أهل الشام : جُفاة طغام عبيد أقزام •

أقول : والكلمة ما زالت باقية للدلالة على قصر الجسم وقماءته في الأغلب وقد تدل على التافه الحقير من الناس وكأنّ ذلك عند المعربين على سبيل المجاز •

وأكثر ما ترد الكلمة بكسرتين وهو خلاف الفصيح القديم المشهور •

١٦٤ ـ قصر

قال المتنبي :

شَمسُ ضُحاها هِلالُ لَيْلَتِها   دُرٌّ تَقاصيرِها زَبَرْجَدُها

من قصيدة من قصائد صباد يمدح فيها محمد بن عبيدالله العلويّ ومطلعها :

أهلاً بدار سباك أغيدها   ......

اللغة والشرح :

اي هو فيما بينهم كالشمس في النهار ، والهلال في الليل ، والدرّ والزبرجد في القلادة ، أي هو أفضلُهم وأشهرهم ، وبه زينتُهم وفخرهم : والتقاصير جمع تقصار .

قال ابن جني : التِقصار هو القلادة القصيرة وليس هذا من القَصْر انما هو من القَصَرة وهي أصل العنق ، والتِقصار ما يعلق على القَصَرة .

تعليق :

أقول : ان التِقصار (بكسر التاء) من الحلي فهو اذن من الفاظ الحضارة ، وهو من الآلات والأدوات . وكأنهم أفادوا من بناء تفعال لتوليد ما تقتضيه الحضارة . وأرى أنه يحسن بنا في هذا العصر ان تتخذ من هذا البناء مادة توفر لنا شيئاً من المصطلح الجديد .

وقد وردت هذه المادة في بيت آخر للمتنبي في لفظ « قصورة » لتؤدي معنى المحبوسة وهو قوله :

ولا ليلةً قَصَّرتُها بقَصورةٍ
أطالَتْ يَدي في جيدِها صُحبةَ العِقْدِ

من قصيدة يُودّع فيها ابن العميد عند مسيره الى بلد فارس ومطلعها :

نَسِيتُ وما أَنْسَى عِتاباً على الصدِّ
ولا خَفَراً زادَتْ بهِ حُمرةُ الخَدِّ

اللغة والشرح :

المرأة القصورة : المحبوسة في خدرها ، الممنوعة من التصرّف ، من القَصْر وهو الحبس •

يقول : لا أنسى ليلة قُصِرت عليَّ لطيب صحبتي مع هذه القصورة ومعانقتي اياها حتى طالت صحبة اليد للعقد في جيدها •

تعليق :

قالوا : وتسمى المقصورة من النساء « قصورة » والجمع القصائر ، فاذا ارادوا قِصَر القامة قالوا : امرأة قصيرة وتجمع قصاراً • وقد توسعوا في « القصيرة » وأجروها مجرى « قصورة » اي المصونة المحبوسة ، قال كثير :

وأنتِ التي حَبَّبْتِ كلَّ قصيرةٍ اليَّ وما تدري بذاك القصائر
عَنَيْتُ قصيراتِ الحِجال ولم أرِدْ قِصارَ الخُطَى شر النساء البحاترِ

وفي « التهذيب » : « عنيت قصورات الحجال » •

أقول : ومن هنا سميت المقصورة مقصورة لانها في الأصل قُصِرَتْ على الإمام دون الناس • غير اننا توسّعنا فيها في عصرنا الحاضر فأطلقت على كل حجرة أو غرفة خاصة في مكانٍ ما أو في القطارات •

١٦٥ ـ قطع

قال المتنبي :

أسير الى اِقطاعه في ثيابه على طِرفِه من داره بحسامِه

من مقطوعة يودع فيها سيف الدولة وقد خرج الشاعر الى الاِقطاع الذي اقطعه اِيّاه ومطلعها :

أيا رامياً يُصمي فؤادَ مَرامِهِ تربى عِداه رِيشَها لسِهامِهِ

اللغة والشرح :

يريد ان جميع ما يتصرف فيه من ضروب مملوكاته انما هو من جهته واِنعامه •

تعليق :

أود ان أقف وقفة على « الاقطاع » وهو الكلمة موضوعة الدرس في البيت ، فهي من غير شك تعني ارضاً أقطعه اياها الممدوح وهو سيف الدولة ومعنى « الاقطاع » أنه فوض إليه تملكها والافادة منها .

وفي « النهاية » لابن الاثير : ان أبيض بن حمّال استقطعه الملح الذي بمأرب فأقطعه إياه . قال ابن الاثير : سأله ان يجعله له إقطاعاً يتملكه ويستبدّ به وينفرد . والاقطاع يكون تمليكاً وغير تمليك . ولهم فيه حقوق وحدود دوّنها أهل العلم بهذه الأمور التي تتصل بحقوق الناس وعلاقتهم بالارض التي يقيمون فيها فيفيدون منها والفائدة متعددة كثيرة .

ومن المفيد ان أشير الى ان الكلمة ما زالت حية ، ولعل كثيراً من مفهوم الكلمة في عصرنا جاء مترجماً لما كان عليه النظام في أوربا ومنقولاً الى اللغة العربية عن هذا اللون الغربي القديم .

ولما كنتُ ابحث في مادة « قطع » يحسن ان أضيف ان المتنبي استعمل كلمة « قِطْع » بكسر فسكون للطنفسة تكون تحت الرحل على كتفي البعير والجمع القطوع فقال :

رَآني بعدَ ما قَطَعَ المطايا تَيَمُّمَهُ وقَطَّعَتِ القطوعا

من قصيدة يمدح فيها علي بن ابراهيم التنوخيّ ومطلعها :

مُلِثّ القَطرِ أَعْطِشْهَا رُبوعا ......

الشرح : رآني بعد ما طال سفري حتى قطع رواحلي قصدي إيّاه وقطّعت الرواحل طنافسها يعنى أبْلَتها بكثرة السير وطول المسافة .

تعليق :

أقول والقارىء في هذا الأدب القديم يعجب من سعة ما يملكون من لغة ، فاذا كان رحيل فأنت ممتحن ازاء هذه الثروة اللفظية مما يتصل بالرحيل وادواته وحاجاته وهذا شيء لا ندركه في اللغات السامية الأخرى .

١٦٦ ـ قعا

قال المتنبي :

يُقعي جلوس البدوي المصطلي ... بأربع مجدولة لم تُجدَل

انظر مادة (٣٢) من هذا المعجم .

١٦٧ ـ قنس

قال المتنبي :

من وَجَدَ المَذْهَبَ عن قدرِهِ ... لم يجدِ المذهَبَ عن قَنْسِهِ

من مقطوعة يهجو فيها كافوراً ومطلعها :

أنْوَكُ من عَبْدٍ ومن عرسِهِ ... من حكَّمَ العَبْدَ على نفسه

اللغة والشرح :

القنس : الأصل .

يقول : من ذهب عن قدر استحقاقه في الدنيا فنال ملكاً وولاية أو غنىً وهو لا يستحق ذلك لم يذهب عن أصله في اللؤم لان الاشياء تعود الى أصولها ، ومن كان لئيم الأصل فهو ينزع الى ذلك اللؤم .

تعليق :

القَنْس والقِنْس : الأصل ، قال العجاج :

وحاصنٍ من حاصناتٍ مُلْسِ
من الأَذَى ومن قِراف الدَقْس
في قَنْسِ مَجدٍ فاتَ كلَّ قَنْسِ

ويقال : انه لكريم القَنْس .

أقول : ولا أشك في أن « القَنْس » من غريب العربية في عصر الشاعر ، ولكنه يتوخى الغريب النادر وماذا يصنع وسلطان القافية يضطره أن يأتي بها شروداً نافراً ؟

١٦٨ ـ قنا

قال المتنبي :

جَوائِلَ بالقُنِيِّ مُثَقَّفاتٍ كأنَّ على عوامِلِها الذُبالا

من قصيدة يمدح فيها بدر بن عمار ومطلعها :

بَقائي شاءَ ليس هُمُ ارتحالا ••••••

اللغة والشرح :

القُنِيّ جمع القنا (كذا) والجوائل : الخيل تجول بأرماح فرسانها وهي مثقّفة اي مقوّمة بالثِقاف وهو الحديد الذي يُسَوّى به الرمح ، وشبّه أسنّتها في اللمعان بالفَتائل التي في السُرُج •

تعليق :

ذهب الشارح الى جعل القُنِيّ جمع « القنا » ، وذلك لان « القنا » اسم جمع لقناة مثل : شجر وثمَر ونحوهما •

والصواب : القُنِيّ جمع قناة مثل دَواة ودُوِيّ •

أقول : ولم يبق هذا الجمع لقناة ، ولا لدواة بل يقال : قنوات • ثم ان القنوات لا تدل على ما كانت تدل عليه وهو الرمح ، فالقناة في عصرنا مجرى الماء الذي يصل بين نهرين مثلاً وهذا من باب التشبيه ، وله شيء من اصل قديم فقد ذكروا ان القُنِيّ هي الآثار التي تُحفَر في الارض ، وقيل للكظائم التي تجري تحت الارض قنوات •

١٦٩ ـ قوز

قال المتنبي :

وهِجانٍ على هِجانٍ تأيّيك عَديدَ الحبُوبِ في الاقواز

انظر مادة (١١) من هذا المعجم •

١٧٠ ـ قيل

قال المتنبي :

يَتَقَيَّلونَ ظِلالَ كلِّ مُطَهَّمٍ أَجَلِ الظليمِ ورِبقةِ السِرحان

من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة ومطلعها :

الرأيُ قبلَ شجاعة الشجعان ......

اللغة والشرح :

روى ابن جنيّ والناس كلهم « يتقيّلون » من قولهم : فلان يتقيّل أباه اذا كان يتبعه ثم قال : يتقيّلونَ آباءهم السابقين الى المجد والشرف كالفرس المطهّم •

وقال غيره على هذه الرواية : معنى « يتقيّلون » ينامون وقت الظهيرة في ظل خيلهم أي هم بُداة لا ظلّ لهم فاذا قالوا لجأوا الى ظلال خيلهم ، وهذا قول العروضيّ •

وقال ابن فورجة : ليست الرواية الا يتفيّأون ، والمعنى : انهم يستظلّون بأفياء خيلهم في شدة الحرّ يصفهم بالتغرّب والتبدّي ، ومعنى قوله : « اجل الظليم وربقة السرحان » انها اذا طردت النعام والذئاب ادركَتْها وقتَلتْها ومنعَتْها من العدو •

تعليق :

أقول : مهما كانت الرواية فان مادة البيت تتصل بنمط من حياة البداوة وقد تم للشاعر احراز هذه الصورة البدوية بما تهيأ له من لوازم تلك البيئة الجافية •

حرف الكاف

١٧١ ـ كبا

قال المتنبي :

ويُضحي غبارُ الخَيلِ أدنى ستورِه
وآخِرُها نَشرُ الكِباءِ المُلازِمُه

من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة ومطلعها :

وفاؤُكما كالربْعِ أشجاهُ طاسِمُه

••••••

اللغة والشرح :

الكباء العود الذي يتبخر به ونشر رائحته .

يقول : أدنى ستر اليك ايها الطالب الوصولَ إليه غبار الخيل ، وأبعد ستر عنك نشر الكباء الذي يلزمه . يريد ان دخان العود الذي يُتَبَخَّر به كثرُ عنده حتى صار كالحجاب بينه وبين ما يطلبه ، ويُروى : « أولها نشر الكباء » يعني اول ستر دونها مما يليها ، ويمكن ان يقلب هذا فيقال : أدنى ستر اليها من الستور دونها غبار الخيل ، وأبعد ستر عنها نشر الكباء ، يعني ان غبار الخيل كثر حتى وصل اليها فصار أدنى ستر منها دونها ، وكذلك ارتفع دخان العود حتى تباعدَ منها الدخان فصار آخر ستر دونها وهذا أشبه بطريقة المتنبي في ايثار المبالغة .

تعليق :

الكباء : قالوا : العود المُتبَخَّر به ، قال امرؤ القيس :

وباناً وأَلْوِيّاً مِن الهِند ذاكياً ورَنْداً ولُبْنَى والكِباءَ المقتَّرا

والكُبَة : كالكِباء عن اللحياني ، قال : والجمع كُباً . وقد كَبَّى ثوبه ، بالتشديد أي بَخَّره . وتَكَبَّتْ المرأة على المِجمرَ : أكبَّت عليه بثوبها . وتَكَبَّى واكْتَبَى اذا تَبَخَّر بالعود .

أقول : وهذا من المواد التي أميتت من اللغة الحديثة ، وليس من حاجة اليهـا .

١٧٢ ـ كبت

قال المتنبي :

لأَكبِتَ حاسداً وأرَى عـدوّاً كأنَّهمـا وَداعُك والرَّحيـلُ

من قصيدة قالها عند مسير سيف الدولة من انطاكيّة وقد كثر المطـر ومطلعها :

رُوَيَدك أيّها الملكُ الجليـلُ تأنَّ وعُـدَّهُ مِمّـا تُنيـلُ

اللغة والشرح :

يقول : جُدْ بالمقام لأَكْبتَ من يحسدني قربك وأوجع رِئة عُدوّي ثم شبَّه الحاسد والعدو بوداعه وارتحاله لانّهما ينكيان في قلبه ويوجعانه .

تعليق :

قالوا : الكبْت هو الصَرْعِ ، وقيل صرع الشيء لوجهه ، وقالوا كبَتَه يكبِتُه كبْتاً فانكَبَتَ .

وفي الحديث : ان الله كَبَتَ الكافر أي صرعه .

وفي التنزيل : كُبِتُوا كما كُبِتَ الذين من قبلهم ، وقوله تعالى : أو يَكْبِتَهم فيَنْقَلبوا خائبين .

قال ابو اسحاق : معنى « كُبِتُوا » أُذِلّوا وأُخِذوا بالعذاب بأن غُلِبوا .

قال الفرّاء : اي غيظوا وأُحزِنوا يوم الخندق .

أقول : وقد استعملت هذه المادة في عصرنا هذا ، والكَبْت : هو الستر وكظم الحزن والمرارة وهذا شيء جديد يتصل بتطور المعاني والدلالة •

ومن المفيد ان اشير الى ان « الكبت » من مصطلحات علم النفس الحديث فيقولون كبت النوازع أو العواطف بمعنى حصرها وحبسها وسترها مع شيء من العذاب •

وقد استعمل المتنبي هذه المادة اللغوية في صيغة المصدر فقال مخاطباً سيف الدولة بقوله :

أزِلْ حَسَدَ الحُسّاد عنّي بكبتِهم
فانتَ الذي صيَّرتَهم لِيَ حُسَّدا

أي أبعِدْهم عنى وأخزِهم بالإعراض عنهم •

وقال ايضاً في صباه :

انشر بجودك ألفاظاً ترَكتُ بها
في الشَرق والغَرب من عاداك مكبوتا

أي مغيظا •

١٧٣ ـ كثف

قال المتنبي :

مُتَصَعلِكينَ على كَثافةِ مُلكِهم
مُتَواضعينَ على عظيم الشانِ

من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة وقت منصرفه من بلاد الروم ومطلعها :

الرأيُ قبلَ شجاعة الشجعانِ
هو أوّل وهي المَحَلُّ الثاني

اللغة والشرح :

التصعلك : التشبّه بالصعاليك وهم المتلصّصون الذين لا مال لهم •

يقول : هم على عِظَم ملكهم كالصعاليك لكثرة اسفارهم وغاراتهم ، وهم مع عظم شأنهم يتواضعون تقرّباً من الناس •

تعليق :

والكثافة الغِلَظ ، وكَثُفَ الشيء فهو كثيف ، وتكاثف الشيء •

وفي صفة النار : لسُرادِق النار أربعة جُدُر كُثُف • وهو جمع كثيف وهو الثخين الغليظ •

أقول : وما زالت هذه الكلمة محتفظة بهذه الخصائص المعنوية غير أن وصف الشاعر للملك بالكثافة لا نعرفه في لغتنا المعاصرة •

ومن المفيد ان أشير ان الكلمة في عصرنا قد اتخذها ايضاً أهل العلم مصطلحاً لهم فيقولون كثافة الماء وكثافة الهواء وكثافة السوائل الأخرى •

١٧٤ ــ كرن

قال المتنبي :

تَسُرُّ طَرْباتُه كَرائِنَه ثم تُزيلُ السُرورَ عُقباها

من قصيدة يمدح فيها أبا شجاع عضد الدولة فَنّا خُسرَو ومطلعها :

أَوْهِ بديلٌ من قَوْلَتي واها لِمَنْ نَأَتْ والبَديلُ ذِكراها

اللغة والشرح :

اي اذا طرب عند الشرب سَرَّ طرَبُه جَواريَه المغنية ثم عاقبة طَرَبه تُزيل سرورهن وذلك انه يَهَبُهُنَّ المال ثم لا تزال به أريحيّة الجود حتى تَهَب الجواري ايضاً ويزول ملكه عنهنَّ وذلك زوال سرورهن • والكرينة : المغنية وجمعها الكرائن •

تعليق :

قالوا : الكِران (بالكسر) : العود ، وقيل : الصَنج ، قال لبيد :

صَعْلٌ كسافلةِ القَناةِ وظيفُهُ وكأنَّ جُؤجُؤه صفيحُ كِرانِ

والجمع أكرنة . والكرينة المغنية الضاربة بالكران .

أقول : والكران على « فِعال » من اسماء الادوات القديمة عندهم . وقولي : « القديمة » أريد ان هذا البناء عرف قبل ان تكون ابنية قياسية للآلة وهي المعروفة من « مِفْعَل ومفعَلة ومفعال » . ان في العربية أبنية نعرفها في النصوص القديمة تشير الى الآلة او الأداة القديمة عندهم غير هذه القياسية وهي كثيرة .

والكرينة المغنية الضاربة بتلك الآلة . وهذا شيء لا نعرفه الا في فرائد الادب القديم . وقد توخي المتنبي ان يشمل شعره هذه الفرائد الغالية .

اما جمعه « طَرَب » على « طربات » بسكون الراء فمن مولّداته التي اتصفت بالخروج والتجاوز الجريء فلم يعرف هذا الجمع الذي اضطره الى تسكين الراء والأصل الفتح في المصدر المفرد . وقد جمعوا « طرَب » على « اطراب » للدلالة على الشوق كقول ذي الرمة :

استَحْدَثَ الركبُ عن أشياعِهم خَبَراً

أم راجَعَ القلبَ مِن أطرابِهِ طَرَبُ

١٧٥ ــ كعع

قال المتنبي :

وكِفاحاً تكِعُ عنه الأعادي وارتياحاً تحارُ فيه الأنامُ

من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة وقد عزم على الرحيل عن أنطاكيَّة ومطلعها :

أينَ أزمعْتَ أيُّهذا الهُمامُ نحنُ نَبْتُ الرُبَى وانتَ الغَمامُ

اللغة والشرح :

أيْ وأرانا قتالاً يجبُنُ عنه الاعداء ، واهتزازاً للجود يَتَحيَّر فيه الخَلْق •

تعليق :

قال الليث : رجل كَعٌ وكاعٌ وهو لا يمضي في عَزم ولا حَزم ، وهو الناكص على عَقِبَيه •

وفي الحديث : ما زالت قريش كاعَّةً حتى مات ابو طالب • والكاعّة جمع كاعّ وهو الجبان ، ارادَ انهم يجبُنون عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ في حياة ابي طالب ، فلما مات اجترؤوا عليه •

أقول : وما زال الفعل معروفاً في العامية الدارجة العراقية بمعنى زَجَر ونَهَى فيقال كعَّت الام ولدها اذا أظهر شرّاً أي زجرته ونهته وأمسكت به لئلا يندفع في شرٍ •

١٧٦ ـ كُفء

قال المتنبي :

واذا لم تجِدْ من النــاس كُفْواً
ذاتُ خِدْرٍ أرادَتِ الموتَ بَعْلا

من قصيدة يعزّي فيها سيف الدولة بأخته الصغرى ويسلّيه ببقاء الكبرى ومطلعها :

ان يكنْ صبرُ ذي الرزِيَّةِ فَضْلا
تكنِ الافضَلَ الاعَزَّ الأَجَلا

اللغة والشرح :

يقول : المرأة الشريفة اذا لم تجد كفواً من الناس ارادت ان يكون الموت لها كالبَعْل لانها اذا عاشت وحدها لم تنتفع بالدنيا وبشبابها فاختارت الموت على الحياة •

تعليق :

أقول : قوله « كفواً » من باب تسهيل الهمزة وأصله « كفء » وهو المثيل النظير المكافيء • كقوله تعالى : « ولم يكن له كفواً احد » • والمتنبي باستعماله لهذه الكلمة يشير الى الكفاءة بين الزوج وزوجه وهي الكفاءة المتطلّبة في الزواج والعقد •

ولكن لغتنا المعاصرة اتخذت من « الكفء » القدير الجدير ذا المقدرة • والصواب في هذا المعنى ان يستعمل « كاف » أي يكفي الامر وهو ذو « كفاية » وليست « كفاءة » •

حرف اللام

١٧٧ ـ اللذ

قال المتنبي :

واذا الفَتَى طَرَحَ الكلامَ مُعرِّضـا
في مجلِسٍ اخَـذَ الكلامَ اللّذْعَنَى

من قصيدة يمدح فيها بدر بن عمار ومطلعها :

الحبُّ ما مَنَعَ الكلام الالسُنا
وألَذُّ شَكْوى عاشقٍ ما أعْلَنا

اللغة والشرح :

يعنى انه قد عرَّضَ بذكر أولاد الزنا وقد فهمه من عناه بهذا الكلام •

تعليق :

أقول : كان المتنبي يتوخى استعمال الابنية التي لا تتردد في الاستعمال الا قليلاً ومن هذا قوله « اللذ » وهي لغة في « الذي » •

وقد استعمل المتنبي « اللَّذيا » في قوله :

أهـذا اللَّذيّا بنتُ وَرْدانَ بنتُـهُ
هما الطالبانِ الرِزقَ من شـرِّ مَطْلَبِ

من مقطوعة يهجو فيها وردان بن ربيعة من طيء الذي نزل به في طريقه الى مصر •

اللغة والشرح :

يقول تجاهلاً وهزءاً : اهذا الذي تُنسَبُ اليـه بنت وردان هـذه الحشرة الذميمة ثم قال : هو وهي يطلبان الرزق من شرّ مطلب لانها تطلبه في الحشوش وأماكن الخبث وهو يطلبه من هن عرسه •

تعليق :

واللذ بمعنى الذي من الابنية القديمة التي لا ترد في العربيــة الا مع الندرة والحاجة اليها ولا سيما في الشعر •

١٧٨ ـ لطط

قال المتنبي :

لنــا عنــدَ هذا الدهــرِ حــقٌ يلِـطّه
وقــد قــلَّ اِعتــابٌ وطالَ عِتــابُ

من قصيدة يمدح فيها كافوراً ومطلعها :

مُنىً كُنَّ لي أنَّ البيــاضَ خِـصــابُ
فيَخْفَى بتَبييض القُــرونِ شبابُ

اللغة والشرح :

يلِطّه : يدفعه ويمطِّل به ، وكلُّ شيءٍ سترتَ دونه فقد لططتَه •

يقول : لنا عند الزمان حقّ يدافعه ولا يقضيه ، وطال العتاب معه فلم يُعتب ولم يُرضِنا بقضاء الحقّ •

تعليق :

أقول : وهذا من الافعال التي ماتت في فصيح العربية في عصرنا • غير ان العامية العراقية قد احتفظت بالفعل ويعني فيها الضرب فيقال لطّــه اي ضربه • ولطَّ الباب اغلقه بضربة وهذا الاستعمال الأخير معروف في العربية القديمة وعلى ذلك هو من بقايا الفصاح في العامية العراقية •

وقد يستعمل الفعل ايضاً في العامية العراقية بمعنى الجحــد والانكار فيقال « لطّ حقه » أي جحده وهو كذلك في الفصيحة القديمة فهو من بقايا الفصاح أيضاً •

١٧٩ ـ لكك

قال المتنبي :

وان البُدْنَ لا يُعرَمْنَ الا   وقد أَنْضَى العُذافِرةَ اللّكاكا

انظر مادة (عذفر) (١٣٣) .

١٨٠ ـ لمع

قال المتنبي :

وأنفسٌ يَلْمعِيّاتٌ تُحِبُّهُمُ   لها اضطِراراً ولو أقصَوكَ شَنْآنا

من قصيدة يمدح أبا سهل سعيد بن عبدالله بن الحسن الانطاكي الحمصيّ ومطلعها :

قد علّم البين منا البَيْنَ اجفانا   تَدْمَى وألّفَ في ذا القَلْبِ أحزانا

اللغة والشرح :

اليَلْمعِيّ والأَلْمَعيّ : الحادُّ الفطنة .

يقول :

لهم أنفس زكيّة وتحبهم لاجل انفسهم ضرورة ولو أبعدوك بغضاً لك ، يعني ان من عادوه يحبُّهم لما فيهم من الفطانة فحبهم ضرورة .

تعليق :

أقول : اتخذ من الأفعال العربية ومعانيها مواد لمدلولات أخرى وكأن الألمعي ويراد الفطِن الذكي ذو فكر وحس يتأثر ويتحسس فيظهر لامعاً كالبرق مثلاً .

واحب ان أقول : ان المجاز الجديد « فلان لامع » اي ذكي فطن منقول من لغة أعجمية هي انكليزية وفرنسية ولا صلة لها بألمعي . وهذا من توافق اللغات في اطلاق الدلالة .

١٨١ ـ لات

قال المتنبي :

لقـــد تَصَبَّرتُ حتىّ لاتَ مُصْطَبَرٍ
فالآنَ أقحَـــمُ حتى لاتَ مُقْتَحَـــمِ

من قصيدة في صباه ومطلعها :

ضَيْفٌ أَلَمَّ برأســـي غير مُحتَشِمِ
والسيفُ أحســـنُ فِعـــلا منه باللَّمَمِ

اللغة والشرح :

يقول : لقد تكلفت الصبر حتى لم يبق اصطبار فالآن أقحم أي أورد نفسي المهالك وأوقِعُها في الحرب حتى أُدرك مرادي فلا يبقى اقتحام .

والتقدير : حتى لات الوقت وقت اصطبار ولات الوقت وقت اقتحام .
التعليق : انظر مادة (٣) من هذا المعجم .

١٨٢ ـ لوح

قال المتنبي :

لو كنتَ بحـــراً لم يكنْ لك ساحِـــلٌ
او كنتَ غيثـــاً ضـــاقَ عنـــك اللـــوحُ

من قصيدة يمدح فيها مساور بن محمد الرومي ومطلعها :

جَلَلاً كمـــا بي فَلْيَكُ التَبريـــحُ
أَغـــذاءُ ذا الرَشَـــأِ الأغَنِّ الشيـــحُ

اللغة والشرح :

الغيث : السحاب فيه مطر ، واللوح : الهـــواء ، اي لم يكن يَسَعُك الهواء لو كنت سحاباً .

تعليق :

أقول : واللوح من الكلم القديم الذي يُعَدّ من الغريب النادر والشاعر ممتحن ان يأتي بهذه الاوابد ان اقتضت القافية .

وقال المتنبي :

سجيّةُ نَفسٍ لا تزالُ مُليحةً
من الضَيْمِ مَرْمياً بها كل مَخْرَمِ

من قصيدة يمدح فيها كافوراً ومطلعها :

فِراقٌ ومَنْ فارقتُ غَيرُ مُذَمَّمِ
وأَمٌّ ومَن يَمَّمْتُ خيرُ مُيَمَّمِ

اللغة والشرح :

المُليحة : المُشفقة الخائفة ، يقال : ألاحَ من الأمر اذا أشفَقَ منه ، والمَخْرَم : الطريق في الجبل .

يقول : هذا الفراق سجية نفسي التي هي ابداً خائفة من أنْ تُظلَم ويُبْخَس حقّها من الاكرام ، وأنا أرمي بها كلّ طريق هارباً بها من الضيم والذّل .

تعليق :

أقول : قوله « المليحة » بضم الميم من الفعل « ألاح » ولهذا الفعل دلالات كثيرة ومنها الاشفاق والخوف . وهذه الدلالة من غريبه الذي يتوخّاه ويقصد إليه .

١٨٣ – ليق

قال المتنبي :

وما لاقَني بَلَدٌ بعدَكُم
ولا اعتَضْتُ من رَبِّ نُعماي رَبّ

من قصيدة أجاب بها سيف الدولة حين كتب إليه يستدعيه ومطلعها :

فَهِمتُ الكتابَ أبَرَّ الكُتُبْ

فسَمْعاً لأمْرِ أميرِ العَرَبْ

اللغة والشرح :

لاقني وألاقني : أمسكني وحَبَسني أي لم أقم ببَلَدٍ بعدكم ولا أخذت عوضاً ممن أنعَمَ عليَّ .

تعليق :

وهذه الدلالة للفعل « لاق » و « ألاق » مما لا نجده في لغتنا الحديثة . واستعملوا هذا الفعل فقالوا : هذا أمر لا يَليق بك ، معناه لا يحسن بك حتى يلصق بك .

هذا قول الازهري ، ان الاصل في هذا المعنى من لِيقة الدواة وهي ما اجتمع في وَقْبَها من سوادها بمائها فيقال : لِقتُ الدواة أي أصلحت مدادها .

أقول : وقد بقي شيء من هذا المعنى في الاستعمال الحديث حين يقال : لا يليق بك ان تفعل هذا أي لا يحسن .

حرف الميم

١٨٤ ـ مجن

قال المتنبي :

قــد كنتَ تهزأُ بالفراقِ مَجانــةً   وتجُرُّ ذَيْلَيْ شِــرَّةٍ وعُرام

من قصيدة قالها في سيف الدولة حين أوقع بعمر بن حابس من بني اسد وبني ضبّة ومطلعها :

ذِكــرُ الصِبا ومَرابــعُ الآرامِ   جَلَبَت حِمامي قبلَ وقتِ حِمامي

اللغة والشرح :

المجانة مثل الخلاعة ، والماجن الذي لا يبالي ما يتكلم أو هــو الذي يرتكب المقابح المردية والفضائح المخزية ، والعُرام : الخبث ، والشِرّة من اخلاق الشباب .

يقول لنفسه : حين كنتَ شاباً ولم تَبْتَلَ بالفــراق وما كنت تدري وجدَ الفراق وشدّته فكنت تهزأ به غافلاً عنه في شرّتك وعرامك .

تعليق :

أقول : والمجانة في بيت المتنبي أخفّ مما نستعمل في لغــة عصــرنا الحاضر ، ذلك ان المراد بها المجون ليس غير . وهــذا من باب الاختصاص في المعنى وضيق الرقعة التي تتحرك فيها الدلالة .

١٨٣ ـ محك

قال المتنبي :

فلا تَسْمَعَنَّ من الكاشحــينَ   ولا تَعْبَأَنَّ بمَحْكِ اليهــودِ

من قصيدة من قصائد صباه وقد وَشَى بــه قوم الى السلطان حتى حبسه فكتب اليــه وهو في السجن يمدحــه ويبرأ إليــه ممّا رُمِي بــه ومطلعها :

أيا خدَّدَ اللهُ وَرْدَ الخـدودِ وقَدَّ قُدودَ الحسانِ القدُودِ

اللغة والشرح :

الكاشح : العدو الذي يضمر العداوة في كشحه ، وهذا على ما قال لان شهادة العدوّ في الشرع لا تُقْبل .

يقول : لا تسمع عليَّ قولَ اعدائي ، ولا تُبالِ بلَجاج اليهود في اساءة القول فيَّ . ويُروَى : « بمَحْك اليهود » وهو السعاية .

قال ابن جني : جَعَل خصومه يهوداً ولم يكونوا في الحقيقة يهوداً ، وردَّ ابن فورجة فقال : هذا نفي ما أثبته قائل الشعر ولا يُقبَل الا بحجّة من نفس الشاعر .

تعليق :

أقول : المحك بمعنى اللجاجة كلمة لا نجدها في لغتنا المعاصرة وانما نجد المصدر الرباعي « ماحك » وهو « المماحكة » للمعنى نفسه اي الملاجّة والمنازعة في الكلام .

وقد استعمل الشاعر الوصف « مَحِك » مثل « فَرِح » من هذه المادة فقال :

مَحِكٌ اذا مَطَلَ الغريمُ بدَيْنِه
جعل الحسامَ بما اراد كفيلا

من قصيدة ذكر فيها منازلة بدر بن عمار للأسد ومطلعها :

في الخدّ أَنْ عَزَمَ الخليط رحيلا
مَطَرٌ تَزيدُ به الخدودُ مُحولا

اللغة والشرح :

المَحِكُ : اللجوج ، وسمع الأصمعيّ اعرابيّةً تُرقّصُ ابنها وهي تقول :

اذا الخصومُ اجتَمَعَتْ جُثِيّا
وُجِدْتَ أَلْوَى مَحِكاً أَبِيّا

يقول : يلجّ فيما يطلب ولا يتوانى ، فاذا مَطَلَ الغريمُ ولم يقضِ دينَه طالبَ سيفه بذلك مطالبة الكفيل يعني أنه يقتضي الدين بالسيف ، واذا كان السيف متقاضياً صار الغريم قاضياً •

تعليق : وكذلك « المَحِك » وصفا مما لا نعرفه في لغة هذه الأيام •

١٨٥ ـ مذل

قال المتنبي :

أنت الجوادُ بلا مَنٍّ ولا كَدَرٍ
ولا مِطالٍ ولا وَعدٍ ولا مَذَلِ

من قصيدة يعتذر فيها الى سيف الدولة ممّا خاطبه في قصيدته الميمية ومطلعها :

أجابَ دَمْعي وما الداعي سوى طَلَلٍ
دَعا فلَبّاه قبلَ الركبِ والإبِلِ

اللغة والشرح :

أي لا تمنّ بما تُعطي ولا تُكَدِّرُه بالمِنّة والمَطْل والمَذَلُ الضَجَر ، يقال : مَذِلْتُ بكذا أي ضجرت به •

تعليق :

المَذَلُ مصدر قولك مَذِلْتُ أمذَل مَذَلاً مثل « فَرِح » ، وهذا من الكلم الغريب الذي يتوخاه الشاعر جرياً على طريقته التي اتبعها • ثم انه من الكلم الذي لا نعرفه في عربيتنا المعاصرة •

١٨٦ ـ مشق

قال المتنبي :

قلوبُهُمْ في مَضاءِ ما امتَشَقوا قاماتُهُم في تَمامِ ما اعتَقَلوا

انظر مادة (عقل) ١٣٦ من هذا المعجم •

١٨٧ ـ مقق

قال المتنبي :

وأمَقَّ لو خَدَتِ الشَمالُ براكبٍ
في عَرْضِهِ لأَنَاخَ وهي طَليحُ

من قصيدة يمدح فيها مساور بن محمد الرومي ومطلعها :

جَلَلاً كما بي فَلْيَكُ التبريحُ

••••••

اللغة والشرح :

يصف بلداً طويلاً ، والمقق : الطول ، والأمَقّ : الطويل •

يقول : لو أسرعت ريح الشمال في ذلك البلد براكب أي وعليها راكب لأناخ ذلك الراكب والشمال طليح ، أي مُعْيِيَة ، واذا كانت الشمال تُعيي فيه فكيف الانسان وانما ذَكرَ العَرْض لانه أقلّ من الطول •

تعليق :

كل هذا من مادة لغوية قديمة حفل بها أدب المتنبي التماساً للفصيح والغريب والنادر الذي لا تلتمسه الا في شعر المتقدمين ، ومن هنا توفرت للمتنبي أصالة في انه استطاع ان يستوعب من العربية اصولها العتيقة فيحسن الافادة منها في عصر آخر ومناسبة أخرى وظروف حضارية غير البداوة العتيقة •

١٨٨ ـ مكن

قال المتنبي :

خُرّابُ باديةٍ غَرْثَى بطونُهُمُ مَكْنُ الضِباب لهم زادٌ بلا ثَمَنِ

انظر مادة (خرب) ٥٩ من هذا المعجم •

١٨٩ ـ ملك

قال المتنبي :

يا أيّها الملكُ المُصَفّى جوهراً من ذات ذي الملكوت أسمى من سَمَا

انظر مادة « اله » ٦ من هذا المعجم •

حرف النون

١٩٠ ـ نأم

قال المتنبي :

يستعظِمونَ أُبَيّاتٍ نَأَمتُ بها
لا تحسُدُنَّ على أنْ ينئِمَ الأسَدا

احد بيتين قالهما الشاعر بعد ان جعل قوم يستعظمون قصيدته الميمية المشهورة التي رثى بها جدته .

اللغة والشرح :

ابَيَّات تصغير أبيات وانما صغَّرها تحقيراً لها يعنى انهم يستعظمونها وانا احقِّرها وجَعَل صوته نئيماً اشارة الى أنه أسد في شجاعته .

تعليق :

النئيم من مصادر الأصوات على « فعيل » مما لا نعرفه في لغتنا الحاضرة. واصل النئيم للأسد ولكنهم قالوا نأم الظبيُ عن ابن الأعرابي ، وأنشد :

الا إنَّ سلمى مُغزِل بتَبالةٍ تراعي غزالاً بالضُحَى غير تَوأَمِ
متى تَستَثِره من منامٍ ينامه لترضِعَه يَنئِمْ اليها ويَبْغَمِ

١٩١ ـ نثا

قال المتنبي :

واذا غابَ وجهُه عن مكانٍ فَبِه من نَثاهُ وجهٌ جميلُ

من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة ومطلعها :

ما لنا كُلّنا جَوٍ يا رَسولُ أَنَا أَهْوَى وقلبُكَ المتبول

اللغة والشرح :

النّثا : الخَبَر وهو ما يُنْثَى اي يُنْشَر من حديث •

يقول : بكل مكانٍ يُسمَعُ له خبرٌ جميل •

تعليق :

قالوا : النّثا هو ما أخبرتَ به عن الرجل من حَسَن أو سَيّء ، وتثنيته نَثَوان وثيان ، يقال : فلان حسن النّثا وقبيح النثا •

ولا يشتق من النثا فِعل ، وانكر ذلك الازهري •

وفي حديث ابن ابي هالة في صفة مجلس رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ :

ولا تُنْثَى فَلَتاتُه اي لا تُشاع ولا تذاع ، قال أبو عبيد : معناه لا يُتَحدَّث بتلك الفلتات • يقال : نثوت الحديث أنثوه نثواً •

وأقول : وهذا من الكلم الذي استعمله المتنبي وانت تجد مصداقه في حديث قويم ونص قديم فصيح •

١٩٢ ـ نجم

قال المتنبي :

كُفِّي أراني ويكِ لومَكِ ألوَما   هَمٌّ اقام على فؤاد أنجما

مطلع قصيدة يمدح فيها انساناً اراد ان يستكشفه عن مذهبه •

اللغة والشرح :

يقول للعاذلة : كُفِّي واتركي عَذَلي فقد أراني لومَك ابلغ تأثيراً واشدّ علي هَمٌّ مقيم على فؤاد راحل ذاهب مع الحبيب وذلك ان المحزون لا يطيق استماع الملام فهو يقول : لومك أوجع في هذه الحالة فكُفِّي ودعي اللوم •

وقال ابن جني : يقول أراني هذا الهمّ لومك اِيّاي أحقّ بأن يلام مني • وعلى ما قال : أَلوَم مبني من المعلوم ، وأفعل لا يبنى من المفعول الا شاذّاً •

وقال قوم : ألوَم من المليم وهو الذي استحق اللوم •

يقول لها : الهمّ اراني لومَك ابلغ في اِلالامة واستحقاق اللوم وهذا من الشذوذ كما ذكره ابن جني •

ويقال : انجمت السماء اذا أقلعت عن المطر ، وأنجَمَ المطر اي أمسك ولا يقال : انجم الفؤاد ، ولا فؤاد مُنجِم ولكنه استعمله في مقابلة أقام على الضدّ ، ومعنى أراني عرّفني وأعلمني •

تعليق :

أقول : لقد استعمل الشاعر « انجم » بمعنى رَحَل وذهب ، وقد أفاد هذا المعنى من قولهم في الاصل : انجم المطر اي اقلع ، وانجمت السماء : أقشعت • وكأنه يدرك أن الأصل لا يبتعد عن هذا فقد كان الاستعمال خاصاً فأتّسع فيه • وأرى ان مجتهداً كبيراً ضليعاً من اللغة واسرارها جدير به ان يذهب هذا المذهب •

١٩٣ ــ نحز

قال المتنبي :

وأطاعَتْهُمُ الجُيوشُ وهيبوا فكلامُ الوَرَى لهم كالنُحازِ

من قصيدة يمدح فيها ابا بكر علي بن صالح الروذباريّ الكاتب ومطلعها :

كفِرِنْدي فِرِنْدُ سَيْفي الجُرازِ لـذّةُ العَيْنِ عُـدّةٌ للبِرازِ

اللغة والشرح :

اي كانوا مُطاعين في جُيوشهم ومهيبين • والنُحاز شبه السعال يأخذ في الصدور •

قال ابن جني : اي لم يعبأوا بكلام أحد لما صاروا الى هذه الحالة ، وأجود من هذا أن يقال : السعال يُرقق الصوت .

والمعنى : لهيبتهم كانوا لا يرفعون الصوت بين أيديهم .

تعليق :

النُحاز من مصادر الأصوات التي جاءت على بناء « فُعال » مثل السُعال والصراخ ، ولكن هذا المصدر لا نعرفه فهو من غرائب العربية التي أفرِدَ فيها للأصوات باب كبير وقد تنوعت هذه الاصوات شدة ولينا ، وكان منها اصوات للانسان في احوال مختلفة واصوات للحيوان وأخرى لشخوص الطبيعة واحوالها . وهذا مثل واضح لسعة العربية القديمة .

١٩٤ ـ ندس

قال المتنبي :

نَدٍ أبيٌّ غَمرٍ وافٍ أخي ثقةٍ
جَعْدٍ سَريٌّ نَهٍ نَدبٍ رَضٍ نَدُسِ

من قصيدة يمدح فيها عبيدالله بن خراسان الطرابلسيّ ومطلعها :

أظبيةَ الوَحْشِ لولا ظَبيَةُ الأَنَسِ
لمّا غدَوتُ بجَدٍّ في الهَوى تَعِسِ

اللغة والشرح :

نَدٍ : جوادٌ أي هو ندِيُّ الكفّ ، وأبيّ : يأبَى الدنايا ، والغريّ هو المُغرَى بالشيء ، يقول : هو مُغرًى بالفعل الجميل ، واف بالعهد والوعد ، أخي ثقةٍ : صاحب ثقة يوثق به ، ورَوى ابن جني : أخٍ ثقةٍ اي هو مستحقّ لاطلاق هذا الاسم عليه لصحة مودّته لمن خالطه ، وثقة موثوق به ، مأمون عند الغيب ، وهو مصدر وصف به ومعناه ذو ثقة وصاحب ثقة ، وجَعْد : ماضٍ في أمره خفيف النفس يشبَّه بجعد الشعر وهو ضد المسترسل ، وسَريّ من السَرْو ، يقال : سَرُوَ يَسرو سَرْواً فهو سريّ اذا صار شريفاً ،

ونَهٍ : ذو نُهية وهي العقل ، والنَدب : الخفيف في الأمور يُندَب لها أي يدعى فينتدب ، رضٍ : مَرْضِيّ ، والنَدْس : الفطن البحّاث عن الأمور العارف بها ، يقال : رجل نَدْس ونَدِس •

تعليق :

هذه جملة أوصاف جمعها الشاعر باحكام ايما احكام فكان جامعاً لخصال ذوي الفضل من الرجال •

وأود ان اقف على « ندس » لأشير الى انها من غريب اللغة التي لا تصل إليها معرفة كثير من دارسي الأدب •

١٩٥ ـ نسس

قال المتنبي :

هذي بَرَزتِ لنا فهِجْتِ رَسيسا   ثم انصرفْتِ وما شَفَيْتِ نَسيسا

انظر مادة (رسس) ٨٦ من هذا المعجم •

١٩٦ ـ نسم

قال المتنبي :

يُريكَ من خَلقِه غرائبَه   في مجده كيف تُخلَق النَسَمُ

من قصيدة يمدح فيها علي بن ابراهيم التنوخيّ ومطلعها :

أحَقّ عافٍ بدَمْعِكَ الهِمَمُ   احدَثُ شيء عهداً بها القِدَمُ

اللغة والشرح :

النَسَم جمع النَسَمة وهي النَفَس والروح ، قال الشاعر :

ما صوَّر اللهُ حينَ صوَّرها   في سائر الناس مثلَها نَسَمَه

يقول :

خَلْقه الغرائب من المجد وابداعه منه ما لم يُسْبَق الى مثله يعرّفك ويُصحّح لك خلق الله ـ عزّ وجلّ ـ النَسَم لانّ المخلوق اذا قدِرَ على خلق شيء كان الخالق أولى ان يقدر •

تعليق :

أقول : اطلاق النَسَمة على المخلوق اشارة الى ان المخلوق « رُوح » ، والروح والريح مادة واحدة وهي النَفَس ايضاً . وكل هذا يشير الى الحياة .

١٩٧ ـ نصل

قال المتنبي :

خَضَعَت لمُنصُلِكَ المناصِــلُ عَنْوةً
وأذلَّ دينُــكَ ســائرَ الاديــانِ

من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة ومطلعها :

الرأيُ قبــلَ شَجـاعةِ الشُجعـانِ

••••••

اللغة والشرح :

المُنْصُل (بضم الميم والصاد) ، والمُنصَل (بفتح الصاد) : السيف .
قال ابن سيده : لا نعرف في الكلام اســماً على مُفعُــل (بضمتين) ومُفعَل (بضم وفتح) الا هذا وقولهم : مُنْخُل ومُنْخَل .

ومعنى البيت واضح .

تعليق :

أقول : وهذا من أبنية الآلة التي لا تعرف قياساً في العربية كما أشرنا الى ذلك في مكان آخر .

١٩٨ ـ نغر

قال المتنبي :

فان الجُرْحَ يَنْغَر بعــدَ حينٍ اذا كانَ البنـــاءُ على فَســادِ

من قصيدة يمدح فيها علي بن ابراهيم التنوخيّ ومطلعها :

أُحادٌ ام سُــداسٌ في أُحــادِ لُيَيْلَتُنــا المَنوطــةُ بالتنــادي

اللغة والشرح :

يقال : نغر الجُرح ينغَر اذا وَرِمَ بعد البُرء •

وقوله : اذا كان البناء على فساد أي اذا نبت اللحم على ظاهره وله غَور فاسد وهذا من قول البحتري :

اذا مـا الجُرحُ رُمَّ على فسـادٍ تبيَّنَ فيـه تفريطُ الطبيبِ

والمعنى : انهم يطوون العداوة في نفوسهم الى ان يمكنهم الفرصة •

تعليق :

قوله : نَغَرَ الجُرح أي وَرِمَ وهذا من غريب دلالة هذه المادة التي لا نعرفها وذلك لان نغر الجرح ونَعَرَ ايضا بالعين المهملة يدل على الانفجار واستعمال المتنبي لهذا الفعل بدلالته هذه وهي الورم يدل على تصرفـه في العربية الواسعة سعة لا يدركها الا الأقلون •

١٩٩ ــ نقش

قال المتنبي :

اذا ذُكِرَتْ مواقِفُـهُ لحـافٍ وشيكَ فما يُنَكِّسُ لانتِقاشِ

من قصيدة يمدح فيها ابا العشائر الحسين بن علي بن حمدان ومطلعها :

مَبيتي مـن دِمَشْقَ على فِراشِ حشاهُ لي بحَـرٍّ حَشايَ حاشِ

اللغة والشرح :

شيك اي دخلَتْ الشوكة رجلَه ، والانتقاش : اخراج الشوكة مـن الرجل •

قال ابن جني اذا ذُكِرت مواقف أبي العشـائر في السـخاء والعطاء لانسان حافٍ ودخل الشوكُ في رجله لم ينكِّس رأسه ليستخرج الشوكة من رجله ، بل يمضي مسرعاً اليه •

قال ابن فورجة : المواقف قلّ ما يستعمل الا ّ في الحرب ، وانما يريد ان الشجاع اذا وُصِفَت له مواقفه تاقَ اليه ورَغِبَ في صحبته فاسرع اليه ، والذي يدلّ على صحة قول ابن فورجة رواية من روى « وقائعه » هي لا تستعمل الا ّ في الحرب .

تعليق :

الفعل « انتقش » بمعنى أخرج الشوكة ومثله الثلاثي « نقش » .

والذي نستعمل في لغتنا الحديثة هو الثلاثي ولكن الشاعر ذهب الى المزيد لحاجته في النظم الى هذه الصيغة .

٢٠٠ – نقم

قال المتنبي :

وما تَنْقِمُ الأيّامُ ممَّن وُجوهُها
لأخمَصِهِ في كلّ نائبةٍ نَعْلُ

من قصيدة يمدح فيها شجاع بن محمد بن عبدالعزيز الطائيّ المنبجيّ ومطلعها :

عزيزٌ أسىً مَن داؤه الحَدَقُ النُّجْل
عَياءٌ به ماتَ المحِبّون من قَبْلُ

اللغة والشرح :

يقال : نَقِمتُ الشيء اذا كرهته وعبته ومنه قوله تعالى : وما نَقِموا منهم الا ّ أنْ يؤمنوا أي ما كرهوا ولا عابوا الا ّ ايمانهم .

يريد : انه غَلَبَ الايام بعزّه ، وذلّتْ له الايام ذُلّ من يطؤه بأخمصه حتى يصير تحت رجله كالنعل في الذلة ، فالأيام لا تقدر أن تخالفه أو تعيب فعله وما تنقم استفهام معناه الانكار ، ويجوز ان يكون نفياً واخباراً .

تعليق :

قوله « تنقم » للدلالة على الكره والعيب من استعماله الذي تجده في أقوم النصوص الفصيحة وعلى رأسها كتاب الله – جلّ وعلا – . وهو يدل على مبلغ احاطته بفرائد الاستعمال القرآني .

٢٠١ - نكر

قال المتنبي :

اذا صديقٌ نَكِرتُ جانبَهُ   لم تُعْيِني في فِراقِهِ الحِيَلُ

من قصيدة يمدح فيها بدر بن عمار وكان قد وجد علة ففصده الطبيب فغرّق المبضع فوق حقه فأضَرّ به ومطلعها :

ابعَدُ نَأيِ المليحةِ البَخَلُ   في البُعدِ ما لا تُكَلَّفُ الابِلُ

اللغة والشرح :

يقول : أبعد بُعد المليحة بخلها اذ لا يمكن قطع مسافة البخل ثم قال : في البعد أي في جملة البعد وأنواعه ما لا تكلّف الابل قطعه وهو البعد بالبخل فان الابل لا تقرّب هذا البعد •

تطبيق :

لقد استعمل الشاعر الفعل الثلاثي « نكر » جرياً على الأساليب الفصيحة التي يستحسن فيها استعمال الفعل الثلاثي ان لم يكن في المزيد فائدة خاصة • ومعنى هذا اذا استوى المجرد والمزيد في المعنى والدلالة فالافصح هو الثلاثي المجرد ، وقد يكون كلاهما سواء •

قال الأعشى :

وأنكرتْني وما كان الذي نَكِرَتْ

مِن الحوادثِ الاّ الشيبَ والصَلَعا

وفي لغة التنزيل : « نَكِرهم وأوجس منهم خيفة » •

قال الليث : ولا يستعمل « نكر » في غابر ولا أمر ولا نهي •

٢٠٢ - نوش

قال المتنبي :

ناشُوا الرماحَ وكانتْ غيرَ ناطقةٍ

فعلَّمُوها صِياحَ الطَيْرِ والبُهَمِ

من قصيدته التي قالها بعد خروجه من مدينة السلام يذكر مسيره من مصر ويرثي فاتكاً ومطلعها :

حتّامَ نحن نُساري النَجمَ في الظُلَمِ
وما سُراهُ على خُفٍّ ولا قَدَمِ

اللغة والشرح :

يقول : تناولوا الرماح وكانت جماداً لا تنطق فاسمعوا الناس صريرها في طعان الشجعان وصارت كأنها طير تصيح •

تعليق :

قوله : « ناشوا » اي تناولوا وهو من الكلم التي لا توجد في الفصيحة المعاصرة ولكنها توجد في العامية في أقاليم عدة ، وعلى هذا فهي من بقايا الفصاح وحق المعربين أن يعيدوا لها الحياة •

وقد استعمل الشاعر الفعل المزيد « انتاش » في قوله :

وكم انتَشْتَ بالسُيوفِ من الدَهْر اسيراً وبالنوال مُقِلا

من قصيدة يعزّي فيها سيف الدولة باخته الصغرى ومطلعها :

اِنْ يكنْ صبرُ ذي الرَزِيَّةِ فَضْلا
تكنِ الأَفضَلَ الاعَزَّ الأجَلّا

اللغة والشرح :

يقال انتاشه من صرعته اذا نَعَشه •

يقول : كم نَعَشتَ ونَصَرتَ اسيراً للزمان بسيفك فأستنقذتَه من الأسر ، وكم من مُقلٍّ عديم نَصَرْتَه بنوالك وجبرتَه على كره الزمان •

تعليق :

قالوا : انتاشه مثل ناشه •

وفي حديث عائشة تصف اباها : فانتاش الدين بنعشه اي استدركه واستنقذه وتناوله واخذه من مهواته •

أقول : وهذا كله مما عافته العربية المعاصرة •

٢٠٣ ـ نول

قال المتنبي :

وكيف أسترُ ما أوليْتَ من حَسَنٍ

وقد غَمَرتَ نَوالاً أيُّها النالُ

من قصيدة يمدح فيها ابا شجاع فاتكاً ومطلعها :

لا خيلَ عندك تُهديها ولا مالُ

فليُسْعِدِ النطقُ إنْ لم تُسعِدِ الحالُ

اللغة والشرح :

النال : الرجل الكثير النوال وهذا كما يقال : كبش صافٌ أي كثير الصوف ، ويومٌ طانٌ أي كثير الطين .

يقول : لا أقدر ان أستُرَ إنعامَك وإحسانك وقد عرَّفتَني فيهما أي هو أشهر من أن يستتر .

تعليق :

أقول : كأن أصل « نالٌ » نائل .

قال ابن سيده : يجوز ان يكون فَعْلاً وان يكون فاعلاً ذهبت عينه .

أقول : وهذا من الفرائد التي حفل بها شعر المتنبي وهو من غرائب الأبنية ذات الدلالة .

حرف الهـاء

٢٠٤ ـ هبل

قال المتنبي :

جازَ حـدودَ اجتهـاده فأتـى   غير اجتهادٍ لأمـِّـهِ الهَبَلُ

من قصيدة يمدح فيها بدر بن عمار ومطلعها :

أبْعَدُ نأيِ المليحـةِ البَخَلُ   في البعـد مالا تُكلِّفُ الابِلُ

اللغة والشرح :

يقول : بالغَ في الأجتهاد حتى جاوز حدَّ الاجتهاد ففعـل ما هو غير اجتهاد لان الخطأ من فعل المقصرين ثم دعا عليه فقـال : « لأمِّ المخطىء الهَبَلُ » . وهو « الثُكل » .

تعليق :

لقد استوعب المتنبي الكثير من وجوه القـول من مثل قديم وحكمـة فطن اليها حتى كان أشهر شعراء العربية في هذا الباب . وقد ختم بيته هذا بأسلوب من الدعاء وهو دعاء قديم . وقد يكون هذا الدعاء للمدح والاعجاب فيقال هَبِلتْه أمه اي ثَكِلتْه .

٢٠٥ ـ هنن

قال المتنبي :

لَهِنَّكِ أولى لائـمٍ بمَلامـةٍ
وأحوَجُ ممّن تَعذُلينَ الى العَـذْلِ

من قصيدة يمدح فيها دلاّر بن كشكروز ومطلعها :

كدعواكَ كلٌّ يدّعي صحّةَ العقلِ
ومن ذا الذي يَدري بما فيه من جَهْلِ

اللغة والشرح :

لهنّكِ فيه قولان : قال سيبويه : أصله « للّه إنّكِ » ، وقال ابو زيد لانّكِ فابدلت الهمزة هاء لئلاّ يجتمع حرفان للتوكيد اللام وإنّ وبينهما في هذا كلام واحتجاج .

يقول : أنتِ أولى بالملامة وأنتِ أحوجُ الى العَذل منّي لانّ من أحبَبْتِه لا يُلام على حبّه .

تعليق :

قلت غير مرة ان المتنبي كان يتوخى الكلم النادر الغريب فيعد قوله شاهداً آخر يجري فيه على الشواهد القديمة ، ومن اجل ذلك كثرت هذه الابيات الشواهد التي تشتمل على الفرائد والغرائب .

٢٠٦ ــ هوى

قال المتنبي :

وأَلحَقْنَ بالصفصاف سابورَ فانْهَوى
وذاق الردَى اهلاهما والجلامدُ

من قصيدة في سيف الدولة وقد خرج قاصداً خرشنة فعاقه الثلج عن ذلك ومطلعها :

عواذِلُ ذاتِ الخالِ فيَّ حَواسِدُ
وإنَّ ضجيعَ الخَود منيّ لماجِدُ

اللغة والشرح :

انْهَوَى غريب في القياس لان « انفعَلَ » انما يبنى من الثلاثي المتعدي و « هوى » غير متعد .

يقول : الحَقَنَ الحصن الثاني في التخريب بالاول حتى سقط مثل سقوطه وذاق الهلاك اهل الحصنين وحجارتهما التي ببنائهما لانّك احرقتَهما بالنار فانفلَقَت الصخور .

تعليق :

أقول : قوله « انهوى » على طريقته احياناً في مخالفة القياس وكأنه يريد ان يبني جديداً في اللغة ، ولا اريد ان احمل ذلك على السهو والخطأ .

٢٠٧ ــ هدب

قال المتنبي :

أَلَا كلُّ ماشيةِ الخيزَلَى فِدًى كلِّ ماشيةِ الهَيْدَبَى

مطلع قصيدته المقصورة لما دخل الكوفة يصف فيها طريقه من مصر اليها وهجا فيها كافوراً .

انظر مادة (خزل) ٦٢ من هذا المعجم .

حرف الواو

٢٠٨ ـ وأل

قال المتنبي :

ها فانظري أو فظُنّي بي تَرَيْ حُرَقاً
مَنْ لم يذُقْ طَرَفاً منها فقد وَأَلا

من قصيدة في صباه يمدح فيها سعيد بن عبدالله بن الحسين الكلابيّ ومطلعها :

أَحيَى وأيسَرُ ما قاسَيْتُ ما قَتَلا
والبَيْنُ جارَ على ضَعْفي وما عَدَلا

اللغة والشرح :

ها : تنبيه ، ويجوز ان يكون اشارة .

يقول : ها أنا ذا فانظري اليَّ أو فكرّي فيَّ ان لم تنظري فظُنّي بي أي فاستعملي فيَّ الرؤية او الرَوِيّة تَرَيْ حُرَقاً من حُبّكِ من لم يُجرِّب القليل منها فقد نجا من بلاء الحب .

يقال : وَأَل يَئِلُ وَأْلاً اذا نجا . والنصف الآخر من البيت وصف لما ذَكَرَ من الحُرَق .

تعليق :

أقول : ولم يبق من مادة « وأل » شيء في عربيتنا المعاصرة سوى العلَم للرجل « وائل » وهو إحياء لعلم قديم من اعلام العرب المشهورة في جاهليتهم واسلامهم .

٢٠٩ ـ وحى

قال المتنبي :

ويطعَنُ الخيلَ كلَّ نافذةٍ   ليسَ لها من وَحائها أَلَمُ

من قصيدة يمدح فيها علي بن ابراهيم التنوخي ومطلعها :

أَحَقٌّ عافٍ بدمعِك الهِمَمُ   احدَث شيءٍ عهداً بها القِدَمُ

اللغة والشرح :

يعني كل جراحه نافذة تنفُذ في المطعون الى الجانب الآخر ولا يتأَلّمُ بها لسرعتها حتى يموتَ ولا الَم بعد الموت •

تعليق :

قالوا الوَحاء (بفتح الواو) : الاسراع يمدونها ويقصرونها ، قال ابو النجم :

يفيض عنه الربْوُ من وَحائِهِ

والوَحيّ : السريع ، وقد توحَّيْت أي اسرعت •

أقول : وهذا من الكلم القديم الذي ثقفه المتنبي في أصوله واهتدى الى استعماله •

٢١٠ ـ ودد

قال المتنبي :

لِساني وعيني والفؤادُ وهِمَّتي   أوَدُّ اللواتي ذا اسمها منك والشطر

من قصيدة يمدح فيها علي بن أحمد بن عامر الانطاكي ومطلعها :

أُطاعِنُ خَيْلاً من فَوارسِها الدهر

وَحيداً وما قَولي كذا ومعي الصَبْرُ

اللغة والشرح :

يقال : رجلٌ وُدٌّ ووَدٌّ ووِدٌّ وجمعه أَوُدٌّ .

قال ابن جني : يقول : لساني وعيني وفؤادي وهمّتي تودُّ لسانك وعينك وفؤادك وهمتك .

والشَطر : النصف أي هنّ شطرها كأنّها شقّت منها فصارتا شطرين ولشدة محبّتي لك كأنك شقيقي .

تعليق :

اقول :

واستعماله « ودّ » وصفاً يظهر ما عنده من علم في لغة العرب .

٢١١ - وضم

قال المتنبي :

أيَملك الملك والاسياف ظامئة والطير جائعة لحم على وَضَمِ

من قصائد صباه التي مطلعها :

ضيف ألَمَّ برأسي غيرَ مُحتَشِمِ ......

اللغة والشرح :

الوَضَم : كل شيء يوضع عليه اللحم ، ويُضرَب اللحم على الوَضَم مثلاً للضعيف الذي لا امتناع عنده . ويقال للمرأة : لحم على وَضَم .

وذلك ان الحيوان فيه نوع امتناع فاذا ذُبِحَ ووُضِعَ لحمه على الوَضَم كان عرضةً لكل أحد حتى الطيور والذباب .

يقول : لا يملك الملك ضعيف لا يمنع ولا يدفع عن نفسه والأسياف عطاش الى دمه ، والطير لم تشبع من لحمه يعني انه يقتل ويُلقَى للطيور ولا يملك .

تعليق :

أقول : ومن فرائده استعماله العربية القديمة التي يأتي فلا تحس انها نافرة عن بيئتها العربية القديمة ومن ذلك قوله : « لحم على وضم » •

٢١٢ ـ وطس

قال المتنبي :

أرَكائِبَ الأحبابِ انَّ الأدمعــا
تطِسُ الخــدود كما تطِسْنَ اليَرْمَعا

انظر مادة (رمع) ٩٢ من هذا المعجم •

٢١٣ ـ وعى

قالَ المتنبي :

يهتزُّ للجَـدْوَى اهتزازَ مُهَنَّـد
يومَ الرَّجـاء هزَزْتَـه يـومَ الوعَى

من قصيدة يمدح فيها عبدالواحد بن العباس بن ابي الأَصبَع الكاتب ومطلعها :

أرَكائبَ الاحبـابِ انَّ الادمُعـا
تَطِسُ الخدودَ كما تَطِسْنَ اليَرْمَعا

اللغة والشرح :

الوعى : الصوت في الحرب • وتقدير البيت : يهتزّ للجدوى يوم الرجاء اهتزاز مهنَّد يوم الوعى •

تعليق :

أقول : ان « الوعى » مثل « الوغى » حكاية لما يعرض للحرب من جلبة

وأصوات فترجمت هـــذه الأصوات احساساً بهـــا في كلمة « وعى » أو « وغى » •

ومن العجيب ان « الوغى » اشتهرت وبقيت وماتت « الوعى » •

٢١٤ = وكع

قالَ المتنبي :

أيَموتُ مثــلُ أبي شجاعٍ فاتكٍ ويعيش حاسدُه الخَصي الأَوكَعُ

من قصيدة يرثي فيها ابا شجاع فاتكاً ومطلعها :

الحــزنُ يُقلق والتجمّل يَردَعُ والدَمــعُ بينَهما عَصَيَ طَيِّعُ

اللغة والشرح :

هذا استفهام تعجّب حين مات هو في جوده وفضله وعاش حاسده يعني كافوراً • والأوكع الجافي الصلب من قولهم : سقــاء" وَكيــع اذا اشتدّ وصَلُبَ •

تعليق :

أقول : كان سبيل العربية في اطلاق الدلالة على الصفات والاحــوال ان تأخذها مما يعرفه العرب ويباشرونه في بيئتهم ببواديها وحواضــرها • والأوكع : الصلب الجافي من هذا الذي اتصف بالشدة والصلابة وهو سقاء اللبن • ومن أجل هذا كان من اعلامهم « وكيع » اي صلباً قاسياً وكانــوا يكثرون من هذه الاسماء التي تعنى الشدة والصلابة مثل صخــر وحجــر وصفوان ونحو هذا •

٢١٥ ــ ولى

قالَ المتنبي :

كلا الرجُلَــينِ أتَلّى قَتْلَــه فايُّكُما غــلّ حُرَّ السَلَبْ

انظر مادة (سلب) ١٠٨ من هذا المعجم •

٢١٦ ـ ونى

قال المتنبي :

فأرحامُ شِعرٍ يتَّصِلْنَ لَدُنَّهُ
وأرحامُ مالٍ لا تَني تتقطَّعُ

من قصيدة يمدح فيها علي بن احمد الخراساني ومطلعها :

حُشاشةُ نَفسٍ وُدِّعَت يومَ وُدِّعوا
فلم أَدرِ أيَّ الظاعنين أشَيِّعُ

اللغة والشرح :

قال ابن جني : قوله « لَدُنَّه » فيه قبح وبشاعة لان النون انما تُشدَّد اذا كانت نون بعدها نون نحو لدنّي ولدُنّا ، واذا لم يكن بعدها نون فهي خفيفة • ثم روى : يتصلْنَ بجوده ، واتصال أرحام الشعر يحتمل وجهين : احدهما انه يقبل الشعر ويثيب عليه فيحصل بينه وبين الشعر صلة كصلة الرحم • والوجه الآخر انه يمدح باشعار كثيرة تجتمع عنده فيتصل بعضها ببعض كاتصال الارحام ، وكذلك تقطعّ ارحام الاموال فيه وجهان : أحدهما انقطاع المالَ بتفريقها فكأنه قطع أرحامها ، والآخر لا تجتمع عنده •

تعليق : قوله : « لا تني تنقطع » أي لا تزال وكأن هذا الفعل استعمل استعمالاً خاصاً كافعال الاستمرار ولا وجود له معها الا في النصوص •

٢١٧ ـ ينم

قال المتنبي :

تَخْدي الركابُ بنا بيضاً مشافِرُها
خُضْراً فَراسِنُها في الرُغْلِ واليَنَمِ

انظر مادة (رغل) ٨٩ من هذا المعجم •

خاتمة :

كان لى ان عرضت في هذا العمل المعجمي نموذجاً من نماذج البحث اللغوي أشرت فيه الى بعض الكلم في العربية مما كان فيه للمتنبي تصـور خاص أو ما استعمله الشاعر في صيغ خاصة ندرت في العربية . كما كان منها شيء يتصل بتطور العربية من بيئتها البدوية القديمـة الى استجابتهـا الى الحضارة عاقداً صلة بين تلك الفرائد وما بقي منها في عصرنا الحاضر .

والعمل في مجموعه يشهد ان المتنبي قد استوعب من هذه اللغة العريقة مادة ثرة فجاءت في شعره عامرة بالحياة لما كان له من دقة في الادراك واحكام في التصور فبلغ ما بلغه من مكانة في أدب العربية .

الفهــرس

تصميم الغلاف : بدروس بدروسيان
الخطوط : رضا الخطاط
التصميم الداخلي : عبدالحافظ جاسم

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد
٩٤٠ لسنة ١٩٧٧

دار الحرية للطباعة ـ بغداد
١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م